الإباضية في الخليج العربي

في

القرنين الثالث والرابع الهجريين

دكتور
نايف عيد جابر السهيل

الناشر
مكتبة الاستقامة
مسقط

الطبعة الثانية : ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م

الإباضية فى الخليج العربى
فى القرنين الثالث والرابع الهجريين

دكتور
نايف عيد جابر السميل

الناشـــر
مكتبـــة الاستقامـــة
مسقـــط

الطبعة الثانيـــة
١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

محتويات البحث

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وسيد الخلق أجمعين، سيدنا محمد الهادى الأمين، وبعد

يرتبط الخليج. العربى فى تكوينه الحضارى والسياسى فى ظل الإسلام بالإباضية «وهى إحدى الفرق الإسلامية الكبرى» التى نشأت بالبصرة نتيجة قبول على بن أبى طالب التحكيم بينه وبين معاوية بن أبى سفيان بعد معركة صفين (سنة٣٧هـ/٦٥٧م) .

وقد تناولت الدراسات العديدة انتشار مذهب الإباضية وتركز اهتمامها على نشاطه فى المغرب الإسلامى، كما تعددت المؤلفات قديماً وحديثاً عن الإباضية من حيث نشأتها وانتشارها فى القرنين الأول والثانى للهجرة، سواء في الخليج العربى أو فى المغرب الإسلامى، ولم تتطرق تلك الدراسات إلى الحديث عن الإباضية بعد القرنين الأول والثانى للهجرة إلا نادراً، أو فى معالجة بعض القضايا المتفرقة، وهو الأمر الذى جعل تاريخ الإباضية فى القرنين الثالث والرابع الهجريين بحاجة إلى دراسة علمية، تتناول جوانب هذه الفرقة ونشاطها الذى تبلورت معالمه فى القرنين الثالث والرابع للهجرة، وأتخذت من الخليج العربى مقراً لها وأرضاً لاستمرارها وكيانها .

وكانت هذه الفترة من حياة الإباضية فى القرنين الثالث والرابع للهجرة - لذلك - موضوع دراستى.

وزاد من أهمية إختيارى لدراسة الإباضية خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين - وهى الفترة التى تعالجها الرسالة - ، أنه قام ارتباط عضوى واضح بين سكان الخليج العربى والإباضية تدعمت فيه أواصر الصلة التى بدأت معالمها بين سكان الخليج العربى والإباضية، على امتداد القرنين الأول والثانى للهجرة، فقد كانت البصرة فى تلك المرحلة الزمنية الأولى مركز «إمامة الكتمان للإباضية». وتميزت بقيام رواد الإباضية فى البصرة من أبناء عمان من الخليج العربى، ومن ثم جاءت معالجة الرسالة للإباضية فى القرنين الثالث والرابع للهجرة دراسة للإباضية فى مرحلة «إمامة الظهور» ، وهو ما لم تتناوله الدراسات بالبحث المتكامل المستفيض.

وشهدت حركة الإباضية خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة أحداثاً وتطورات جعلت الإهتمام بموضوع الرسالة ومجالها الزمنى فى القرنيين الثالث والرابع للهجرة. ومن تلك الأحداث والتطورات الكبرى ما يلي :

أ - أن مصطلح الإباضية لم يظهر ولم يستخدم إلا فى القرن الثالث الهجرى، وقد قبل الإباضية أنفسهم استخدام هذا المصطلح دلالة عليهم بعد أن كانوا يطلقون هم على أنفسهم اسم «الشراة» و«جماعة المسلمين»، على حين أطلق عليهم اعداؤهم اسم «القعدة». وكان شيوع مصطلح الإباضية فى القرن الثالث الهجرى نقطة انطلاق فى حياة هذه الفرقة ليست فى الخليج العربى فحسب، بل فى علاقاتهم الخارجية .

ب- وحفلت تلك التطورات أيضاً فى حياة الإباضية منذ القرن الثالث الهجرى بأحداث هامة فى نشاطها وكيانها ، ومنها انتقال مركز الإباضية من البصرة فى القرن الثالث الهجرى إلى عمان، ذلك أن البصرة أصبحت مكانًا غير آمن للدعوة الإباضية

بسبب ما تعرضت له تلك المدينة من أخطار متلاحقة تمثلت فى ثورة الزط(1) وثورة الزنج(2) ، وأخيراً حركة القرامطة .

جـ- استطاعت الإباضية أن تسهم فى الأحداث والتطورات التى وقعت فى القرنين الثالث والرابع للهجرة من مركزها الجديد فى عمان وأن تتابع فى ظل «إمامة الظهور» الانطلاق وإثبات كيانها فى العالم الإسلامى، وهو الكيان الذى ما زال قائماً إلى اليوم ، فى مهده الخليج العربى، حيث كانت الدولة الرستمية قد زالت من بلاد المغرب فى أواخر القرن الثالث الهجرى .

ولقد سار منهج البحث على اتباع أسلوب الدراسة والاستقصاء والتحليل والمقارنة لكل المصادر والمراجع التى تم العثور عليها بمختلف اتجاهاتها وتنوع مذاهبها بروح علمية بعيدة عن الهوى والتعصب، ووثقت النتائج مؤيدة بالأدلة والأسانيد قدر جهدى، أملاً فى أن يتدارك أهل العلم ما جاء فى هذا البحث من نقص أو خطأ إحقاقاً للحق، وتطويراً لهذا البحث للانتفاع به خير انتفاع.

أما صعوبات البحث، فتمثلت فى ندرة المادة التاريخية عن الإباضية أولاً ، وندرة المصادر السياسية عن الحركة الإباضية ثانياً. لذا كان الاعتماد على المخطوطات التى ألفها كُتّاب الإباضية، ولحسن الحظ أن الكثير منها قد وثق فى كتب حديثة فى أيامنا المعاصرة مما يسهل الحصول على المعلومات المطلوبة عن الدعوة الإباضية ونشاطها فى القرنين الثالث والرابع للهجرة ، هذا فضلاً عن الحوليات

(1) وهى فتنة حدثت من عناصر هندية هددت مركز الخلافة العباسية، انتهزت فوضى النزاع بين الأمين والمأمون وقامت بفتنة واستقلوا ببلادهم وهزموا عسكر المأمون (الطبرى ١٠/٢٥٧) .

(2) حركة الزنج من الحركات المارقة، وهى تنسب للزنج الذين كانوا يعيشون فى البصرة واستغلهم على بن محمد (صاحب الزنج) فى حركة كان يرمي بها إلى تحقيق اطماعهم فى السيطرة على البصرة والكوفة والسيطرة على الخليج العربى (انظر : حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلامى السياسى والدينى، ج٣، ص ٢٠٩) .

(كتب التاريخ العام) التى تناولت تلك الفترة أيضاً بالدراسة .

وزاد من صعوبات البحث تباين وجهات النظر واختلاف الآراء حول نشأة ومذهب ومبادىء الإباضية بطريقة جوهرية، حيث كان لكل رأى وجهة نظر مؤلفاته وأسانيده، التى تطلبت مزيداً من الوقت لدراستها دراسة وافية، ونقدها النقد السليم البناء القائم على الأسانيد والإثباتات فى سبيل الوصول للحقيقة.

وقد اعتمد البحث - فى هذه الرسالة - على المصادر الأصلية، واستخلاص المادة العلمية التى توضح جوانب الدراسة وذلك فى ضوء المناقشة والتحليل والمقارنة.

والمصادر التى أفاد منها البحث كثيرة ومتعددة منها المخطوط، ومنها المطبوع، ومن أهمها ما يلى :

من المصادر المخطوطة نجد مخطوطة «كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة» لسرحان بن سعيد الأزكوى (عاش فى القرن ١٢هـ/١٨م)، وهو مخطوط بمكتبة معالى السيد محمد بن أحمد بن سعود البوسعيدى برقم ٥٧١ . وهذا المخطوط أورد أخباراً هامة عن الإباضية، فتناول نشأة الإباضية وسير «أئمة الظهور» وغير ذلك من أخبار هامة ونادرة عن الإباضية .

ويعتبر هذا المخطوط من أهم مصادر الإباضية، وقد استفاد البحث كثيراً من الأخبار والمعلومات التى أوردها صاحب هذاالمخطوط والتى كانت لها أهمية خاصة فى هذا البحث، خصوصاً عند الحديث عن بداية نشأة الإباضية، وعند دراسة الأسس والمبادىء التى قامت عليها الإباضية كفرقة مستقلة فيما بعد فضلاً عن نشاطها فى القرنين الثالث والرابع للهجرة .

ومن المصادر الأساسية : كتاب «تاريخ أهل عمان» لمؤلف مجهول، تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور (وزارة الثقافة ، مسقط ١٩٨٦م). وقد أفاد البحث من هذا الكتاب إفادة كبيرة حيث إنه تناول تاريخ عمان منذ دخول الإسلام فيها وشرح الكثير من الأحداث التى تخص تاريخ عمان خصوصاً أثناء فترة الحكم الإباضى لعمان .

واعتمد البحث كذلك على مراجع منها كتاب «إزالة الوعثاء عن أتباع أبى الشعثاء» لمؤلفه سالم بن حمود بن شامس السيابى (مسقط ١٩٨٢م). وهو أيضاً صاحب كتاب «عمان عبر التاريخ» وكذلك هو مؤلف كتاب «طلقات المعهد الرياضى فى حلقات المذهب الإباضى». وقد استفاد البحث من هذه الكتب خصوصاً كتاب إزالة الوعثاء عن أتباع أبى الشعثاء، الذى يلقى الضوء على نشأة فرقة الإباضية، ويتناول معلومات قيمة عن رواد الإباضية وسيرهم، ويوضح موقف المذهب الإباضى من بقية المذاهب الأخرى.

واعتمد البحث أيضاً على مراجع حديثة منها كتاب : «قيام دولة الأدارسة بالمغرب: قيامها وتطورها حتى منتصف القرن الثالث الهجرى» للأستاذ الدكتور حسن على حسن.

كما أفاد البحث من هذا الكتاب أثناء تناوله فصل العلاقات الخارجية حيث إن مؤلف الكتاب المذكور أتبع فيه طريقة جديدة، جديرة بالتقليد ، هذا إضافة إلى المعلومات المستفيضة عن رواد الإباضية وطريقهم فى إنشاء الدول المستقلة .

واستفاد البحث أيضاً من كتاب «عمان فى فجر الإسلام» للدكتورة سيدة إسماعيل الكاشف (الطبعة الثالثة ١٩٨٩، سلطنة عمان) ويتناول هذا الكتاب بداية نشأة الفقة الإباضى ودراسة سير رواد الإباضية، وكذلك أفكار وآراء علماء

إباضية عمان بعد عزل الإمام الصلت إلى سقوط الدولة الإباضية الثانية فى عمان على أيدى الجيوش العباسية فى القرن الثالث الهجرى (٢٨٠هـ/٨٩٣م) .

وقد أفاد هذا الكتاب الرسالة فى جوانب مهمة خصوصاً فى نشأة الإباضية، وأفكار وآراء علماء الإباضية بعد افتراقهم سنة ٢٨٠هـ (القرن الثالث الهجرى) وظهور فرقتين ، تختلفان فى الرأى وهما فرقة أو حزب «نزوى» وفرقة أو حزب «الرستاق».

واعتمد البحث أيضاً على كتاب «نشأة الحركة الإباضية» للدكتور عوض خليفات (الأردن ١٩٧٨) . ويتناول هذا المرجع الأصول التاريخية للإباضية وطور كتمان الدعوة وبداياتها، وقد شرحها وبينها بدراسة مستخلصه بين فيها الخطوات التى اتبعها رواد الإباضية فى سبيل المحافظة على دعوتهم وتطورها فى مرحلة الكتمان والتخفى وراء التقية الدينية والإجراءات المشددة حتى لايفضح أمرهم.

واستفاد البحث من هذا الكتاب فى توضيح ودراسة الأصول التاريخية لفرقة الإباضية، والمجالس التى كانوا يعقدونها أثناء فترة كتمان الدعوة .

وقد اقتضى معالجة ودراسة موضوع «الإباضية فى الخليج العربى خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين» تقسيم الدراسة إلى مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمه، وثبت لأهم المصادر.

وقد تناولت المقدمة أهمية الموضوع، وسبب اختياره، والمنهج الذى اتبع فى دراسته، مع توضيح لأهم المصادر التى أفاد منها البحث.

أما الفصل الأول: وعنوانه: «عوامل انتشار المذهب الإباضى في الخليج العربى».

تضمن ثلاثة عناصر رئيسة هى :

أ - التوطئة وتناول فيها الباحث التعريف بجغرافية الخليج العربى، وتوضيح أهمية منطقة الخليج العربى فى الدولة الإسلامية سياسياً واقتصادياً واجتماعياً.

ب- «نشأة فرقة الإباضية فى البصرة - حاضرة الخليج العربى». وتتناول بدايات ظهور الفكر الإباضى فى البصرة بعد الفتنة الكبرى، وظهور الحركات المناوئة للدولة الأموية،و التى انبثقت منها الحركة الإباضية، مع تبيين حقيقة تسمية أتباع جابر بن زيد بالإباضية. ويتناول سير رواد الإباضية، وبخاصة جابر بن زيد المؤسس الحقيقى للفقه الإباضى، إضافة إلى لسان الإباضية عبد الله بن إباض.

جـ - «تجاوب أهل الخليج العربى مع مبادىء الإباضية».

ويتناول بالدراسة والتحليل أهم العوامل والدوافع التى حملت أهل الخليج العربى على التجاوب مع مبادىء الإباضية، وتنوعت هذه العوامل والدوافع، فمنها ما كان يخص طبيعة أهل الخليج أنفسهم، ومنها ماكان يخص الحركة الإباضية نفسها سواء فكر، وفقه ومبادىء تلك الحركة، أم ما كان يتجلى من صفات وذكاء ودهاء رواد الإباضية .

الفصل الثانى : وعنوانه : «قيام الإمامة الإباضية فى الخليج العربى، ونشاطها خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين».

وقد اشتمل هذا الفصل على ثلاثة عناصر رئيسة هى :

١ - «مقدمات الكيان السياسى عند الإباضية».

يبين المبادىء والأسس التى استند إليها رواد الإباضية فى بناء دعوتهم،

واعتمادهم فيها على السرية التامة والتقية الدينية، مع إجادة الإفادة من كل الظروف التى أحاطت بهم فى منطقة الخليج العربى (الاجتماعية،و السياسية وحتى الجغرافية) لخدمة أهداف دعوتهم والعمل على تحقيق هدفهم الأسمى،وهو إقامة «إمامة الظهور».

٢- «قيام الإمامة الإباضية فى بلدان الخليج العربى وبخاصة فى عمان».

ويتناول هذا العنصر قيام «إمامة الظهور» فى عمان، وما صاحب ذلك من ترتيب للأئمة الذين تولوا الحكم بعمان فى القرنين الثالث والرابع الهجريين، وأهم الأحداث التى دارت رحاها أثناء تولى كل منهم دفة الحكم فى عمان.

٣- «أزمة الحكم الإباضى عند أئمة الظهور فى عمان».

وهى الأزمة التى اتخذت مظهرين هما:

أ- «أزمة الحكم الإباضى فى عمان بعد خلع الإمام الصلت «سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م»:

وتتناول فترة التوتر السياسى واضطراب الأمور فى عمان، والذى اقترن بانقسام أهل عمان وتفرق كلمتهم، مما أدى إلى تصدع صرح الحكم الإباضى وتقويض أركانه فى عمان خلال القرن الرابع الهجرى وهو الأمر الذى انتهى بدخول القوات العباسية عمان، وفرض السيطرة عليها، بل وتدمير الكثير من قواعد البنية الأساسية فيها، وعودة عمان أخيراً إلى عصور الفرقة والضعف والانقسام والظلام.

ب- «انقسام أهل عمان بعد سقوط الإمامة الإباضية الثانية سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م» ويتناول هذا الجزء، انقسام أهل عمان بعد سقوط الإمامة الإباضية على أيدى القوات العباسية (سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م) ودخول العمانيين فى

جدل فيما بينهم مما أدى إلى ظهور حزبين كبيرين فى عمان هما : ١- حزب أو فرقة النزوانية (نسبة إلى مدينة نزوى بعمان) : وهو الحزب المؤيد لعزل الإمام الصلت بن مالك. ٢ - حزب أو فرقة الرستاقية (نسبة إلى مدينة الرستاق بعمان) : وهو الحزب المعارض لعزل الإمام الصلت بن مالك.

وكان لكل حزب أو فرقة أفكار وآراء خاصة حول قضية عزل الإمام الصلت بن مالك (سنة ٢٧٣هـ/٨٨٦م) وعقد الإمامة لراشد بن النظر.

وتم فى هذا العنصر طرح ومناقشة كل الأفكار التى دارت حول هذه القضية.

الفصل الثالث : ويعالج : «أثر الإباضية فى حياة أهل الخليج العربى الفكرية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية».

وقد تناول هذا الفصل أثر الإباضية فى حياة أهل الخليج العربى الفكرية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية أيضاً، وتطرق البحث إلى شرح مفهوم إباضية عمان لمصطلح المذهب (الإباضى)، ومصطلح الخلافة عند المسلمين. وكذلك دراسة الأصول العقائدية عند الإباضية مع توضيح دور الاقتصاد العمانى فى دعم الدعوة الإباضية، وكذلك الموروث والمنابع الفكرية والسياسية والثقافية والاجتماعية للإباضية .

أما الفصل الرابع والأخير: فيبحث فى «العلاقات الخارجية للإباضية» .

ويدرس هذا الفصل علاقات الإباضية فى الخليج العربى، وذلك من حيث الروابط بين إباضية البصرة وإباضية عمان، وكذلك العلاقات بين إباضية الخليج العربى «عمان» مع إباضية شمال وشرق أفريقيا، ومصر ، وكذلك العلاقات مع الهند الصين وسيلان واندونيسيا وجزر الملايو وجزر المالديف واللكاديف والبحرين. مع

توضيح الدور الكبير لإباضية الخليج العربى وبصفة خاصة «إباضية عمان» فى نشر الدعوة الإسلامية وتعاليمها خصوصاً فى بلدان الشرق الأقصى.

وأخيراً خاتمة البحث، وفيها يسجل البحث أهم النتائج التى توصل إليها والقضايا التى اشتمل عليها .

وإنى لأرجو - من خلال هذا البحث - أن أكون قد وفقت إلى الصواب، وأن يكون هذا البحث إسهاماً منى للباحثين عند دراسة فرقة الإباضية وإقامة كيانها السياسى فى الخليج العربى، وأن لايحرمنا الله - سبحانه وتعالى - جزاء هذا العمل فى الدنيا والآخرة، وأن يجازى من عاوننا فيه خير الجزاء، إنه نعم المولى ونعم النصير .

* * *

الفصل الأول

عوامل انتشار
المذهب الإباضى
فى الخليج العربى

***

الفصل الأول
عوامل انتشار المذهب الإباضى فى الخليج العربى

توطئة

أولاً : نشأة فرقة الإباضية فى البصرة - حاضرة الخليج العربى .

ثانياً : تجاوب أهل الخليج العربى مع مبادىء الفكر الإباضى.

١- انتماء رواد الإباضية لقبيلتى تميم والأزد المنتشرتين فى منطقة الخليج العربى والبصرة .

٢- رفض الإمامة الإباضية شرط «القرشية» فى الإمامة، ومطالبتهم بخلع الإمام إن فقد أى شرط من الشروط الأخرى للإمامة.

٣- إعجاب أهل الخليج العربى بقوة المناظرة والبراعة فى الجدل وفصاحة اللسان عند الإباضية .

٤- الزهد وشدة التدين عند فقهاء الإباضية .

٥- عدم رضا أهل الخليج العربى عن حكم غير أبناء بلدهم لهم، واستعدادهم الدائم للثورة .

٦- اشتراك الإباضية فى التأثير بأسباب ودوافع الخروج على الخلفاء فى دمشق وبغداد.

٧- عزلة قبائل الخليج العربى ، واحتفاظ غالبية أفراد تلك القبائل بالطبائع البدوية .

٨- طباع سكان مناطق الخليج العربى فى الاندفاع والحماسة والشجاعة إلى حد التهور ، والمغالاة إلى حد التطرف.

٩- التطرف الجغرافى للخليج العربى، وبعده عن السلطة المركزية للدولة الإسلامية .

توطئة

« أهمية منطقة الخليج العربى فى الدولة الإسلامية سياسيا واقتصادياً واجتماعياً » :

وصف الخليج العربى : الخليج العربى هو ذراع طويل من المحيط الهندى ربطه بعدة دول، كانت بدون هذا الخليج منقطعة عن العالم ، كما يعتبر الخليج العربى منفذاً لمناطق واسعة بالجزيرة العربية كانت - لولاه - معزولة تماماً .

وقد اكتسب الخليج العربى أهمية خاصة منذ القدم ، وهى الأهمية التى فرضتها طبيعته الجغرافية فى منطقة المعبرين بين المشرق والمغرب ، بل وفى ساحة الاحتكاك بين عدة حضارات نشأت فيما بعد على أرض الهند وفارس وبلاد الرافدين ، تلك الطبيعة الجغرافية التى جعلت الباحث الفرنسى «جان جاك بيري» يقول عنه : «إنه قلب الشرق الأوسط جغرافياً وبابه السحري، وصندوقه الذهبى الرائع الذى يسيل له اللعاب»[١] .

والخليج العربى لا ينعم بهذا الموقع الممتاز فى قلب العالم القديم من فراغ ، فهو امتداد للمعبر البرى المشهور باسم الهلال الخصيب الواقع بين نطاق جبال زاجروس - طوروس شرقاً ، وهضبة بلاد العرب فى الجزء الغربي[٢] ، ثم إن هذا الخليج يقع على الحدود الجنوبية والشرقية لشبه جزيرة العرب التى هى نقطة الانطلاق للإسلام ، ومصدر انضمام أهم الأقطار الجغرافية المجاورة لحكم الإسلام[٣] ،

---

(١) جان جاك بيرى ، الخليج العربى، تعريب نجده هاجر وسعيد الغز ص ٢١ (بيروت - ١٩٥٩م) .

(٢) سليمان العسكرى ، التجارة والملاحة فى الخليج العربى فى العصر العباسى ص ٥ (طبعة المدنى، القاهرة) .

(٣) موريس لومبارد ، الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي، ترجمة عبد الرحمن حميدة ص٨ (دار الفكر ، دمشق).

وكان للخليج العربى دور استراتيجى مهم عبر عصور التاريخ المختلفة .

ويشتمل الخليج العربى على مساحة كبيرة تقدر بسبعة وتسعين ألف ميل ، أى ما يعادل خمسين ومائتى ألف كيلو متر مربع ، وهى مساحة مغمورة بالمياه ، ويبلغ طول هذا الخليج ثمانمائة كيلو متر ، ويتراوح عرضه ما بين تسعين ومائتى كيلو متراً فى قسمه الجنوبى ، وسبعة وأربعين كيلو متراً عند مضيق هرمز[١] .

ومياة الخليج ضحلة ، وظاهرة المد والجزر توجد بوضوح على شواطئه[٢] . والجانب الشرقى للخليج عبارة عن ساحل ضيق تليه سلاسل جبلية عالية نسبياً ، تابعة لجبال زاجروس، وإن كانت تبدو كأنها امتداد لسلاسل جبال قفقاسية وأرمينية الموزعة فى اتجاهات مختلفة . بينما يتكون الساحل الغربى للخليج الملاصق لشبه الجزيرة العربية من سلاسل جبلية قليلة الارتفاع ، وهو ساحل كثير التعرج . بينما يحد الخليج من الشمال منطقة سهوب رسوبية حديثة التكوين ، وهى سهوب ساحلية ضيقة تشكل امتداداً لمنطقة سهوب بلاد الرافدين بجنوب بلاد العراق[٣] .

وتتأثر منطقة الخليج بالرياح القارية التى تهب عليها ولا تحول السلاسل الجبلية ، وبخاصة الشمالية منها دون هبوب الرياح الشمالية وتقدمها . ويهب على المنطقة نوعان من الرياح : الرياح الشمالية ، وهى صيفاً حارة جداً تتأثر بها المناطق الشمالية من الخليج ، أما فى المناطق الجنوبية فإن هذه الرياح تكون أقل حرارة . وينعكس الحال فى فصل الشتاء حيث تكون هذه الرياح شديدة البرودة . كذلك تهب على الخليج رياح جنوبية شرقية شديدة الرطوبة صيفاً ، دافئة شتاء تسمى عند أهل

---

(١) قدرى قلعجى ، الخليج العربى جـ١ ص ٤٦ (دار الكتاب العربي) .
(٢) مصطفى مراد الدباغ ، جزيرة العرب جـ٢ ص ٩٧ .
(٣) قدرى قلعجى ، المرجع السابق جـ١ ص ٢٧ و ٢٨ .

الخليج باسم (رياح الكوس) .

أما معدل الأمطار التى تتساقط على منطقة الخليج قليلة ، حيث يبلغ المعدل السنوى ثلاث بوصات[١] . وتتباين درجات الحرارة بمنطقة الخليج العربى حيث تبلغ ٤٦ درجة مئوية صيفاً و٤ درجة مئوية شتاءً .

والخليج العربى باعتباره امتداداً للمحيط الهندى حقق للدول المطلة عليه أهمية استراتيجية من حيث ربطها بالعالم بحراً وتمتعها بمنافذ بحرية حيوية مهمة ، بالإضافة لتوسط الخليج العربى جميع الخطوط البحرية والجوية الرئيسية ، وهو بحق قلب الشرق الأوسط جغرافياً[٢] .

وساد منطقة الخليج العربى فى القرنين الثالث والرابع الهجريين العنصر العربى ، وكانت منطقة البحرين آهلة بأبناء عبد القيس ، وبكر بن وائل ، وتميم[٣] . بينما اتصف أهل عمان بالقناعة والنحافة والطعام القليل[٤] .

واشتغل معظم سكان منطقة الخليج العربى بالغوص بحثاً عن اللؤلؤ ، وكذلك بالزراعة والتجارة والصناعة ، وذلك قبل ظهور البترول فى الخليج العربى . حيث اشتهرت بعض مناطقه مثل البحرين بخصوبة التربة ووفرة المياه الجوفية - وهى

(١) مصطفى الدباغ ، المرجع نفسه جـ٢ ص ٩٨ .
(٢) أحمد شلبى ، موسوعة التاريخ الإسلامى جـ٧ ص ٤١١ .
(٣) ياقوت الحموى ، معجم البلدان جـ٢ ص ٧٤ (الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٠٦م) .
(٤) المقدسى ، أحسن التقاسيم لمعرفة الأقاليم ص ١٠٥ .

قريبة من سطح الأرض - مما جعل استغلالها للزراعة يسيراً[١] . واستخدمت هذه المياه فى زراعة المحاصيل كالشعير ، والحنطة ، وزراعة أشجار النخيل ، وبعض الفواكه مثل الرمان ، والتين الأبيض ، الخوخ ، المشمش ، الكمثرى ، والليمون[٢] ، كما كثرت زراعة النخيل والأشجار بالبصرة[٣] . بالإضافة إلى فواكه المناطق الحارة التى تكثر فى عمان مثل الرمان والنبق[٤] .

وكانت مواني‌ء الخليج العربى وفى مقدمتها البصرة وعمان وسيرفا تزدحم بالمراكب الوافدة والصادرة ، حاملة معها الخير والمتعة والعلم[٥] . حيث كان ميناء سيراف أهم مراكز تجمع التجارة الشرقية فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادي) ، حيث كانت البضائع تنقل منه إلى البحر الأحمر[٦] .

وساعد امتداد الساحل الشرقى للخليج العربى إلى مدينة تيزمكدان على أطراف بلاد السند حيث المصدر الرئيسى للتجارة الشرقية ، على أن يكتسب الخليج العربى أهمية خاصة مع الأخذ فى الاعتبار امتداد ساحله الغربى حتى خليج عدن[٧] .

واشتهرت البحرين بتجارة اللؤلؤ ، والبصرة بتجارة التمر والحناء[٨] ، بينما

---

(١) أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى جـ٧ ص ٤١٣ .
(٢) خليفة بن أحمد النبهانى : المرجع السابق جـ١ ص ٣٤ .
(٣) القزوينى : أثار البلاد وأخبار العباد ص ٣٠٩ .
(٤) أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٩٩ .
(٥) قدرى قلعجى : المرجع السابق جـ١ ص ٥٦ .
(٦) إبراهيم أحمد العدوى : الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية ص ٧٦ .
(٧) ابن رسته ، الألام النفيسة ص ٨٣ ، ٨٨ .
(٨) المقدسى ، المرجع السابق ص ١١٥ .

كان سكان عمان يشتغلون فى صناعة المنسوجات كالثوب الهجرى نسبة إلى هجر ، والثوب القطرى نسبة إلى قطر ، وأصبحت هذه الأسماء على مر الزمن تدل على صفات الثوب لا على المكان الذى صنع فيه .

ويجمع الخليج العربى إليه إيضاً بلاد عمان التى صارت مركزاً هاما من مراكز نشاط الإباضية سواء فى مراحلهم الأولى فى القرنين الأول والثانى للهجرة أم فى القرنين الثالث والرابع للهجرة ، وهو موضوع الدراسة فى هذا البحث .

وتطل عمان كغيرها من الأقطار الخليجية على البحر من جهة واليابس من جهة أخرى[١]. وقال عنها ياقوت الحموي[٢] : إنها تقع شرق هجر بطول يبلغ أربعاً وثلاثين دقيقة وثلاثين درجة فى الأقليم الأول ، وعرض يصل إلى تسع عشرة درجة وخمس وأربعين دقيقة ، ومساحتها حوالى مائة وعشرين ألف ميل مربع .

وأكثر أهل عمان إباضية ، ليس بها من غير هذا المذهب إلا طارئ غريب . ويقال أعمن الرجل أى أتى عمان ، والعمن : هم المقيمون فى عمان ، وقال ياقوت : سميت بعمان سبأ بن يغثان بن إبراهيم خليل الرحمن لأنه بنى مدينة عمان[٣] .

وكانت عمان تسمى فى فترة من الفترات - قبل الإسلام - (مزونا) أو (مازن) ، وهذا اسم يعود فى أصله إلى السومريين ، وقيل إن الفرس هم الذين أطلقوا هذا الاسم على عمان . كما قيل إن الأزد أسمت (عمان) (عمان) لأن منازلها كانت على وادٍ لهم بمأرب يقال له عمان فشبهوها به[٤] .

---

(١) عمر رضا كحالة ، جغرافية شبه الجزيرة العربية ص ٤٤٣ .

(٢) ياقوت الحموى ، المصدر السابق جـ١ ص ٣٤٣ .

(٣) ياقوت الحموى ، المصدر السابق جـ٦ ص ٢١٥ .

(٤) سرحان بن سعيد الأزكوى ، كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة ص ٢٢ ، تحقيق عبد المجيد حسيب القيس (الطبعة الثانية ، سلطنة عمان ١٩٨٦م) .

وتحيط الخلجان والبحار بعمان شمالاً وشرقاً وجنوباً ، فعمان تطل على الخليج العربى ، وخليج عمان ، ثم بحر عمان وبحر العرب ، وهما امتداد للمحيط الهندى ، ولذا نبغ فى عمان منذ القدم التجار المهرة والملاحون الحاذقون . ويرى البلاذرى أن عتبة بن غزوان حين فتح الأبلة كتب إلى عمر بن الخطاب يعلمه بذلك ويخبره أن الأبلة فرضة البحرين وعمان والهند والصين[١].

وبفضل موقع عمان الجغرافى ، إضافة إلى نشاط أهلها ، نشأت الحاضرة العمانية وازدهرت فى ظل الإسلام ودخولها المذهب الأباضى كما تطلب موقعها الجغرافى من ناحية أخرى يقظة العمانيين والسهر لحمايتها من أطماع الطامعين[٢] . وقد أكسبها هذا الموقع أهمية عسكرية وتجارية كبيرة ، مكنت العمانيين من المساهمة وبشكل كبير فى الملاحة والتجارة ، وبخاصة مع البلاد الواقعة على جانبى المحيط الهندى .

أما أهم المراكز التجارية والملاحية فى عمان عند ظهور الإسلام هى :

أ- ***صحار*** : تقع على خليج عمان ، وكانت عند ظهور الإسلام مركزاً تجارياً مهماً . كما كانت مركزاً لنسج الثياب الصحارية التى انتشرت فى جزيرة العرب . وأصبحت صحار بعد الإسلام من أهم المراكز الرئيسية للملاحة والتجارة والإدارة ، حيث إنها كانت قصبة عمان ، والمركز الرئيسى للتجارة مع البلاد المطلة على المحيط الهندى ، والميناء الرئيسى لسفن الصين ، وكانت عامرة غنية مزدحمة بالسكان .

ب- ***مسقط*** : وهى ميناء على الخليج العربى تحيط بها جبال شاهقة ، وهى ميناء

---

(١) البلاذرى ، فتوح البلدان ص ٢٤٩ .

(٢) سيدة إسماعيل كاشف ، عمان فى فجر الإسلام ص ١١ (الطبعة الثالثة ، سلطنة عمان ١٩٨٩م) .

طبيعى ممتاز . ووصف المقدسى مسقط بأنها :

«أول ما يستقبل المراكب اليمنية ، ورأيته موضعاً حسناً»[١] . وذكر البكرى أنها مجمع المراكب التى تخرج من صحار[٢] . وتقع مسقط بالقرب من الشطوط التى يكثر فيها محار اللؤلؤ ، ولذلك أصبحت مركزاً للغواصين .

جـ- *دبا* : وهى ميناء على الخليج[٣] . وتعتبر مركزاً تجارياً مهماً ، يأتيها تجار من السند والهند والصين وأهل المشرق والمغرب . وبعد ظهور الإسلام ضعفت وطغت عليها صحار فى الأهمية .

يتضح من ذلك الدور الحضارى المشرق للعمانيين فى الملاحة والتجارة . كما كانت المصدر الرئيسى الذى يعمل فيه حوالى ٨٠٪ من أهل البلاد . وقد ساعد على ذلك المساحات الواسعة من الأراضى الخصبة ، والواحات التى تكثر بها الفاكهة، وبخاصة منطقة الباطنة ، ووادى سحايل .

ومن أشهر المنتجات العمانية الحنطة والشعير والخضروات وقصب السكر وفواكه المناطق الاستوائية والعنب وجوز الهند .

أما عن سكان عمان فهم كغيرهم من سكان الخليج العربى ، يقترن تاريخهم بتاريخ بقية سكان شبه الجزيرة العربية ، والتى استوطنها لأول مرة قبل الميلاد الكوشيون (يعتقد أنهم من المصريين) ، ولهم الفضل فى المحاولات الأولية للملاحة والتجارة البحرية .

---

(١) المقدسى ، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص ٩٣ .

(٢) الأصطخرى ، المسالك والممالك ص ٢١٥ .

(٣) عبد الرحمن عبد الكريم العافى ، دور العمانيين فى الملاحة والتجارة الإسلامية حتى القرن الرابع الهجرى ص٣١ (الطبعة الثانية ، سلطنة عمان ١٩٨٦م) .

ثم عاش الفينيقيون فترة طويلة قبل الميلاد فى عمان ، وكذلك استوطن عمان الساميون، كما استوطهنا الأحباش قبل الإسلام . لكن سوء حكمهم جعل العرب يستنجدون بالروم ، ثم بالفرس فى عهد كسرى أنوشروان (٥٣١ - ٥٧٨م) ، واستطاع الفرس بمعاونة أهل البلاد القضاء على الأحباش فى اليمن ثم فى عمان .

وعلى أثر انهيار سد مأرب - قبل الإسلام - تفرقت القبائل والبطون اليمنية فى أنحاء شبه الجزيرة العربية وفى أطرافها . وكان ممن خرج على عمان من الأزد ، مالك بن فهم ، ومن أطاعه من قومه وعشيرته ، وبعد حرب شرسة مع عامل الفرس - حينذاك - على عمان ، استطاع مالك بن فهم من تحرير هذه الأرض العربية من أيدى محتليها . وبعد هذا الانتصار أخذت قبائل الأزد اليمانية تتوافد على عمان[١] .

ولم يكن الأزد اليمانية هم وحدهم سكان عمان ، بل سكنها بطون وقبائل من العرب العدنانية من بنى سعد وبنى عبد القيس وبن تميم وبنى شيبان وبنى بكر وبنى عبس ، وكذلك سكنها أخلاط من الأعراب البدو ، وسكنها قوم من الفرس ، فضلاً عن أخلاط من الناس .

(١) سيدة إسماعيل ، كاشف ، المرجع السابق ص ١٣ .

أولاً : «نشأة فرقة الإباضية فى البصرة - حاضرة الخليج العربى»

ولدت فرقة الإباضية فى مدينة البصرة - حاضرة الخليج العربي[١] ، «وفيها شبت ومنها أيضاً تفرعت وانتشرت» . وهى إحدى الفرق الإسلامية الكبرى التى بدأ ظهورها أثناء التحكيم بين على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان فى أعقاب معركة صفين سنة ٣٧هـ / ٦٥٧م .إذ رفض نفر من جند على بن أبى طالب قبول التحكيم ، وهم الذين عرفوا باسم الخوارج .

(١) تأسست البصرة سنة ١٤هـ/ ٦٣٥م على يد عتبة بن أبى غزوان ، وهو أحد القادة المسلمين الذين بعث بهم الخليفة عمر بن الخطاب إلى جبهة العراق وفارس . وتطورت البصرة سريعا منذ ذلك الوقت بحث أصبحت حاضرة الخليج العربى . وتجمع تحت إمرتها مناطق الساحل الشرقى للخليج العربى حتى عمان ، فقد جمع معاوية بن أبى سفيان لزياد ابن أبيه حكم البصرة ، والبحرين وعمان سنة ٤٥هـ/ ٦٦٥م وكان يزيد بن المهلب يحكم العراق والمشرق بما فى ذلك البصرة وأقليم الخليج العربى بما فيه عمان التى ولى عليها أخاه زياد ، وظل زياد والياً على عمان بالخليج العربى منذ سنة ٩٦هـ/ ٧١٥م حتى نهاية دولة بنى أمية ، فيما عدا فترة خلافة الخليفة عمر بن عبد العزيز .

وفى عهد دولة بنى العباس كان يتولى البصرة وأعمالها سليمان بن على عم الخليفة أبو العباس السفاح ، وكان يجمع هذا الوالى العباسى إلى جانب البصرة وأعمالها البحرين وعمان حتى سنة ١٣٣هـ/ ٧٥٢م .

واستمر هذا التقليد فى الإدارة الخاصة بالبصرة باعتبارها حاضرة الخليج العربى فى عهد أبى جعفر المنصور وابنه المهدى ثم الهادى وبداية عهد هارون الرشيد .

وظل هذا النظام الإدارى بالبصرة باعتبارها - حاضرة الخليج العربى حتى قيام الإمامة الإباضية الثانية فى عمان سنة ١٧٧هـ/ ٧٩٤م ، قبل قيام القرن الهجرى بثلاثة وعشرين عاماً ، حيث استقلت عمان بنفسها عن الخلافة العباسية وانتقال مركز الإباضية من البصرة إليها .

انظر الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٧ ص ٤٥٩ و

ابن الأثير، الكامل فى التاريخ جـ٦ ص ٤٩ ، ٩٤ و

صالح أحمد العلى ، التنظيمات الإدارية والاقتصادية فى البصرة فى القرن الأول الهجرى ص ٣٦ (طبعة بيروت) .

وقد حارب على بن أبى طالب من سموا بالخوارج وانتصر عليهم فى معركة النهروان فى سنة ٣٧هـ / ٦٥٧م .

وقد اعتزل أفراد من أولئك الخوارج أو المحكمة ، أصحابهم بعد معركة النهروان وتوجهوا صوب البصرة ، وأخذوا يدعون لمذهبم سراً خوفاً من بطش الدولة الأموية التى قامت بعد مقتل على بن أبى طالب سنة ٤٠هـ / ٦٦٠م .

وتزعم هذا الفريق الذين نزل البصرة أحد زعمائهم وهو أبو بلال مرادس بن أدية التميمى (ت ٦١هـ/ ٦٨١م) ، حيث تكونت من هذه الجماعة البذرة التى نبتت منها الفرقة الإباضية ، وهى الجماعة التى كانت تطلق على نفسها فى ذلك الوقت اسم أهل الدعوة أو جماعة المسلمين .

ويبدو أن أبا بلال لم يكن راضيا عما حدث من خلاف وفتنة بين المسلمين عقب مقتل عثمان بن عفان ، ورأى أن القتال بين أتباع العقيدة الإسلامية أمر لا يصح ، فانسحب مع نفر من أصحابه ، وأقام مع أبناء عمومته من قبيلة تميم ، الذين كانوا يشكلون جزءاً هاماً من سكان البصرة آنذاك . وكان يتزعم هذه القبيلة الأحنف بن قيس السعدى التميمى (ت ٨٧هـ/٦٨٦م) وينتمى إليها عدد كبير من أعظم الشخصيات السياسية والفكرية .

وفى ظل الحماية والرعاية والأحساس بالأمن ، أخذ أبو بلال ينشر آراءه وأفكاره مؤثرا طريق الإقناع والمناقشة والحوار والمجادلة على التطرف والعنف والصراع المسلح . بل إن ذلك كان اعتدالاً حيث أنكر قتل المخالفين واتباع طرق متطرفى الخوارج .

وقد نشط أبو بلال فى البصرة لنشر دعوته وأفكاره ، فانضم إليه عدد كبير من الناس حتى أنهم ابتنوا لهم مسجداً خاصاً فى البصرة .

ولاقت دعوة أبى بلال استجابة كبيرة جعلت عبيد الله بن زياد ، والى العراق الأموى يقول : «لكلام هؤلاء (أبو بلال وأتباعه) أسرع إلى القلوب من النار إلى اليراع»[١] . انضم إلى هذه المجموعة الفقيه العمانى المعروف جابر بن زيد الأزدي[٢] ، الذى لم يلبث أن أصبح رئيس الجماعة والمؤسس الحقيقى للحركة التى عرفت باسم «الإباضية» ، وانضوى الجميع تحت إمرته بما فيهم أبو بلال نفسه ولكن الجماعة آثرت ألا تبيح باسم جابر بن زيد خوفا عليه من بطش ولاة بنى أمية .

ونتيجة للاضطهاد الذى تعرض له أتباع تلك الجماعة خرج أبو بلال من البصرة لنشر آراء وأفكار تلك الجماعة فى مناطق لم تصل إليها من قبل ، ورغم السياسة المعتدلة ورفض العنف التى سار عليها أبو بلال خشى ابن زياد والى العراق نشاطه وانتشار دعوته فندب إليه الجيوش وقضى عليه مع أربعين من أصحابه فى عام (٦١هـ/٦٧٧م) (فى نفس العام الذى استشهد فيه الحسين بن على بن أبى طالب) .

وبعد استشهاد أبى بلال بثلاثة أعوام (٦٤هـ/ ٦٨١م) حدث انقسام نهائى بين المحكمة فمال فريق منهم إلى التطرف بينما حبذ الفريق الآخر الاعتدال .

وقد انتهى هذا الخلاف إلى انشقاق أبدى بين الفريقين ظهر على أثره جماعة القعدة المحكمة التى آثرت الهدوء والاعتدال وعدم التطرف والسير على نهج أبى بلال فى عدم اعتراض ومهاجمة الناس إلا دفاعاً لعدوان .

وفى بداية الربع الأخير من القرن الأول الهجرى انقسم أولئك القعدة إلى

(١) عوض خلفات، الأصول التاريخية للفرق الإباضية ص ٧ (الطبعة الثالثة ١٩٨٨ - سلطنة عمان).

(٢) انظر تفاصيل دور جابر فى وضع أسس الإباضية فى هذا الفصل الأول .

فرقتين : الصفرية[١] ، والإباضية . والفرقة التى سميت بالإباضية ترجع فى أصولها إلى أتباع الفقيه جابر بن زيد العماني[٢] ، الذى لعب دوراً كبيراً فى بلورة آراء وأفكار تلك الجماعة ، بحيث أصبح هذا الفكر متميزاً عن غيره من المذاهب – رغم أنه – (أى جابر) لم يحاول تأسيس مذهب خاص ، فقد كان يدين بالدين الإسلامى ويتبع سنة الرسول – صلى الله عليه وسلم – .

حقيقة تسمية أتباع جابر بن زيد بالإباضية :

أما عن تسمية تلك الفرقة – من أتباع جابر بن زيد ـ بالإباضية ، فهى نسبة إلى عبد الله بن إباض[٣] ، الذى تعتبره الغالبية العظمى من المصادر غير الإباضية مؤسس المذهب الإباضى وذلك على العكس من المصادر الإباضية التى تعتبر جابر بن زيد هو المؤسس الحقيقى لتلك الفرقة ، وهم على حق فى ذلك وفى تأكيد إمامة جابر وأنه هو صاحب ومؤسس الفكر الإباضي. فحقيقة الأمر أن عبدالله بن إباض – بالرغم من أنه – أحد علماء وشجعان ودعاة الإباضية وهو المناظر والمجادل باسم أتباع جابر بن زيد ، وبالرغم من أنه لا يقل فى التقوى والورع والإصلاح والنزاهة عن جابر بن زيد إلا أنه لا يعتبر المؤسس الأول لتلك الفرقة ، وأنه تابع لجابر بن زيد المؤسس الحقيقى للفقه الإباضى .

---

(١) هم أتباع زياد بن الأصفر، وظهروا سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م ولهم موقف عقدى وسط بين الأزارقة المتطرفين والإباضية المعتدلين (فلم يكفروا العقدة عن القتال إذا كانوا موافقين فى الدين والاعتقاد) (الشهرستانى : الملل والنحل ص١٢٣) .

(٢) تلقى جابر بن زيد بداية تعليمه فى وطنه عمان ، وحين أراد التخصص فى علوم الشريعة الإسلامية رحل إلى البصرة حيث ملتقى العلماء والفقهاء ، وتوفى فى البصرة سنة ٩٣هـ ، أو فى سنة ٩٦، أو فى تاريخ بين هاتين السنتين . انظر السيابى السمائلى : إزالة الوعثاء عن أتباع أبى الشعثاء ص ١٣ – ٣٢ .

(٣) من قبيلة تميم إحدى أهم قبائل البصرة آنذاك ، وقد توفى قبل عام ١٠٠هـ ، والمصادر التاريخية لا تذكر سنة وفاته بالتحديد .

والباحث وراء السبب فى عدم إظهار الإباضية لأسم الإمام جابر بن زيد منذ البداية ، وإصرار جماعته على إخفائه أيام عبد الله بن إباض ثم ما تلاه من أيام أبي عبيدة مسلم التميمى يكمن فى تفضيل أتباع تلك الفرقة أن تبقى الحركة سرية بقدر الإمكان وأن يبقى اسم مؤسسها وصاحب فكرها مستوراً حتى لا يبطش به الأعداء والولاة ، نظراً لما لقيه أتباع الفرق المعارضة للدولة الأموية من عنت واضطهاد وبطش .

وشاع فى عصر الدولة الأموية - بسبب ما أنزلته من اضطهاد بالخارجين عليها - إنتساب الفرقة إلى عبد الله بن إباض ولم ينسبوها إلى جابر بن زيد حتى لا يجذبون إليها الأنظار ، وذلك بسبب مكانة جابر الفقهية الرفيعة وعلمه الواسع ومنزلته بين فقهاء البصرة ، فنسبوا هذه الفرقة إلى عبد الله بن إباض الأقل منزلة من جابر فى العلم والفقه ، وهو أمر يجب أن يوضع موضع الاعتبار عند النظر إلى سياسة الدولة الأموية التى اعتمدت فى كثير من تصريفاتها للأمور السياسية على الحيل والدهاء والمكر السياسى الذى لا يضع أبطالاً من المعارضين لحكم الدولة الأموية . ويبدو أن الإباضية أنفسهم قد آثروا الصمت عن التسميات العديدة التى أطلقها عليهم غيرهم من الطوائف ، حتى أن اسم الإباضية نفسه لم يتردد فى مراجعهم الأولى التى كتبها كبار مشايخهم مثل : «مدونة أبى غانم الخراساني» ، وكتاب «الزكاة لأبى عبيدة» وغيرها ، ولكن يبدو أنهم مع مرور الزمن وإصرار مخالفيهم على تسميتهم بهذا الاسم قد قبلوه به ، وخصوصاً أنهم لم يجدوا فيه ما يؤذيهم أو يسيء إليهم ، وقد ظهر لأول مرة فى المؤلفات الإباضية المغربية فى الربع الأخير من القرن الثالث الهجري[١] .

(١) عوض خليفات ، الأصول التاريخية للفرق الإباضية ص ١٢ (الطبعة الثالثة - سلطنة عمان) .

وهناك احتمال لابد من أخذه فى الاعتبار ، وهو المكانة العزيزة لجابر بن زيد وتأثيره الشخصى فى الرأى العام ، والخوف عليه من بطش الأعداء ، إن هو ظهر إمام دولة ليست سلهة فى مجابهة معارضيها كالدولة الأموية . ولذا كان حرص الإباضية على إخفاء دور جابر بن زيد فى الفرقة وقيادته لها ، ولذا فإن استمرار الإباضية فى قبول تسمية الأمويين لهم نسبة لعبد الله ابن إباض ، كان له أسبابه ودواعيه الأمنية من الجانب الإباضى غير أن هناك حقيقة لا يجب إغفالها ، وهى حقيقة ترتبط بشخصية عبد الله بن إباض وقدرته على المجادلة والمناظرة ووضوح حجته فى عرضها أمام مخالفيه فى نفس الوقت الذى تزايدت فيه الإشاعات والأقاويل حول إرهاب الخوارج وإشاعتهم للفزع بين المسلمين ، فكان لابد أن تنفى الإباضية عن نفسها تهمة التصاقهم بالخوارج أو انخراطهم فى زمرتهم وتنزيه فكرهم عن فكر الخوارج المتطرف وتوضيح حقيقة أفكارهم حرصاً على أتباعهم من ناحية ، وحفاظاً على قوة الجذب الكامنة فى فكرهم باعتباره فكرا معتدلاً يهدف إلى أن تقوم الدولة الإسلامية فى حكمها على قواعد الشريعة الإسلامية والسنة النبوية العطرة ، التى لم تشوبها شائبة من أمثال تلك المظاهر الغريبة التى وفدت على الدولة الإسلامية من شعوب الأقاليم التى فتحها المسلمون من ناحية أخرى .

وهكذا ظهرت الحاجة الشديدة لمتحدث شديد المراس ، قادر على عرض أفكار الفرقة بطريقة جيدة واضحة مقنعة ، الأمر الذى تطلب ترشيح شخص مناسب من الفرقة الإباضية ، فوقع اختيار فقهاء وكبار الفرقة على عبد الله بن إباض باعتباره أجدر من يقوم بتلك المهمة ، لما يتمتع به من فقه وعلم وإفصاح ونزاهة ومقدرة فائقة على المجادلة والمناظرة ، لذا كان ابن إباض هو المؤهل للقيام بمهمة الدعوة ، خصوصاً أنه ينتمى إلى قبيلة تميم ، إحدى قبائل البصرة الكبرى آنذاك ، ومن الصعب على الولاة أن يتعرضوا له بأذى خوفاً من غضب قبيلته . وهى ملاحظات توضحها

الأقوال التي جاءت في الخطبة الشهيرة التي ألقاها عبد الله بن إباض مجادلاً عبد الملك بن مروان والتي جاء فيها : «أما بعد وكتبت إلى تحذرني الغلو في الدين ، وأني أعوذ بالله من الغلو في الدين ، وسأبين لك ما الغلو في الدين إذ جهلته فإنه ما كان يقال على الله غير الحق ، ويعمل بغير كتابه الذي بين لنا ، وسنة نبيه التي سن .... كما فعل عثمان والأئمة من بعده ، وأنت على طاعتهم تجامعهم على معصية الله وتتبعهم ، وقد اتبعوا أهواءهم ... فهؤلاء أهل الغلو في الدين ... إنا نبرأ إلى الله من ابن الأزرق[1] وأتباعه من الناس ، لقد كانوا على الإسلام فيما ظهر لنا حين خرجوا ، ولكنهم ارتدوا عنه وكفروا بعد إسلامهم ، فنبرأ إلى الله منهم .... فإنك كتبت إلى أن أكتب إليك بجواب كتابك ، وأجتهد لك في النصيحة ، وكان حقاً على أن أنصح لك .... أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - لتحلوا حلاله وتحرموا حرامه ولترضوا بحكمه»[2] .

ويتضح من دراسة تلك الرسالة وتحليل ما جاء فيها ما يلي :

١- أن عبد الله بن إباض قد خاطب عبد الملك باسمه مجرداً دون أن يلقبه بأمير المؤمنين أو خليفة المسلمين ، (ورغم ذلك فإن عبد الملك لم يتخذ أية إجراءات بشأنه) ، ولا تورد المصادر عن أي توتر بين الطرفين[3] . وهذا دليل على أن ابن إباض الذي ينتمي إلى قبيلة تميم كان آنذاك يحتمي بالقبيلة مما جعل اضطهاده أمراً صعباً ، خصوصاً أنه لم يحمل سيفا أو يجر سلاحا ضد الحكام الأمويين ، رغم أن

(١) نافع بن الأزرق هو رأس فرقة الخوارج الأزارقة .

(٢) ابن حميد الحارثي ، العقود الفضية في أصول الإباضية . ص ١٣٤ ، ١٣٧ ، و سالم بن حمود ، إزالة الوعثاء ص ٨٦ إلى ١٠١ .

(٣) أو على الأقل لم يقع في أيدنا ما يثبت أن عبد الملك قد أوقع الأذى بابن إباض أو أحداً من أهله في أعقاب تلك الخطبة الشهيرة .

الأمويين لم يكونوا بتلك السهولة فى تعاملهم مع معارضيهم بل على العكس من ذلك فإنهم لم تأخذهم فى كثير منهم شفقة ولا رحمة .

٢- أن عبد الله بن إباض قد فند رأى عبد الملك بن مروان حول دلالة الغلو ، وبين حرصه القوى على التمسك بالإسلام الذى سلكه الرسول - صلى الله عليه وسلم - وخلفاؤه الراشدون ، وبين أن المسلم المؤمن هو الذى يطبق دون إفراط كتاب الله وسنة رسوله ، مخالفاً فى ذلك الدعوة إلى الغلو التى نادى بها ابن الأزرق وجماعته فى تطبيق التعاليم الإسلامية ومخالفاً أيضاً فى الوقت نفسه بنى أمية الذين جرفتهم مفاتن الدنيا (فى رأي ابن إباض على الأقل) ، وتركوا حكم الله وفارقوه ، فقال عبد الله بوضوح وصراحة : «فاتق الله يا عبد الملك ولا تخادع نفسك فى بنى أمية وسيرتهم»[١] .

٣- أعلن عبد الملك بن أباض رأيه الصريح فى سيرة عثمان رضى الله عنه ، وبنى أمية، ومؤكداً اعتراضه على سيرة الخليفة الراشد فى أخر أيام خلافته ، ولم يكن ذلك شاذاً ولا خارجاً من الإباضية فقد حدث أن اعترض كثير من صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على سياسة عثمان التى اتبعها بعد ست سنوات من توليه الخلافة ، خصوصاً فى تبديل الولاة وأسباب اختيارهم ، وإغداق الأموال على أقاربه ، وقد عرض ابن إباض (قاصداً بالطبع) فى رأيه هذا إلى وجهة نظر الإباضية فى هذه المسألة . ومن ثم فليس معنى اعتراض البعض (الإباضية) على تصرفات خليفة راشد أن يكونوا قد خرجوا على ملة الإسلام ، أو إنتقض ذلك من عقيدتهم ، فلم يكن هذا بالطبع رأى الإباضية وحدهم فى سيرة عثمان رضى الله عنه ، وبالتالى فإن معظم كتب الإباضية لا تتجاوز هذا الرأى فى سردها لآرائها تجاه

---

(١) ابن حميد الحارثى ، العقود الفضية فى أصول الإباضية ص ص ١٣٤ ، ١٣٧ (طبعة عمان) .

سيرة الخلفاء الراشدين .

ومن الواضح أن عصر الفتنة الكبرى ، إبان خلافة على بن أبى طالب رضى الله عنه ، قد شهد خليطاً من الأوضاع ومزيجاً من الأحداث جعلت الأمور أمام الفرق المختلفة غير واضحة المعالم ولا بينة التفاصيل ، الأمر الذى إنعكس بشدة على التصورات الفكرية والعقائدية للفرق الإسلامية بعد ذلك ، إلا أن الإباضية فى كل مؤلفاتهم تقريباً ، كانوا أكثر هذه الفرق تعقلاً فى إبداء آرائهم فعلى الرغم من شدة هجومهم على الدولة الأموية (وهذا ليس بمستغرب على نشأة الفرقة ودواعى مقاصدهم وشدة هجوم الأمويين عليهم) . إلا أنهم كانوا شديدى التعقل فى آرائهم فى ولاة الأمر ، وبخاصة مسألة خلافة عثمان رضى الله عنه ، فلم يجرحوا هذا الخليفة كما جرحته فرق كثيرة ، ولم يشككوا فى خلافته كما فعلت أيضاً فرق كثيرة . وهذه نقطة تحسب للإباضية وتزيد من رصيدهم باعتبارهم إحدى الفرق الإسلامية الأصلية ، وأتاحت لهم تحقيق مآربهم فى الخليج العربى على امتداد القرنين الثالث والرابع للهجرة .

٤- وأخيراً يظهر موقف الإباضية الصريح من رفض غلاة الخوارج ، حيث قال ابن إباض فى جلاء : «أما زعيم الخوارج - ابن الأزرق - فنحن نتبرأ منه لغلوه وتشدده ، وإفراطه فى الأحكام ، حين حكم فى المسلمين المذنبين بالكفر ! !»(١) . وهذه الجملة تحدد التطور الفكرى لفرقة الإباضية من جماعة الخوارج وأفكارها ولا سيما من حيث حكمها على المسلمين بالكفر ، واستحلالهم دماء المسلمين . ومن ثم يعلن ابن إباض إنضمامهم (أى الإباضية) إلى الركب الأسلامى فى نفوره من الغلو فى فكر الخوارج ، والألتزام بالاعتدال فى الفكر الذى شهده التاريخ الحضارى

(١) ابن حميد الحارثى ، العقود الفضية في أصول الإباضية ص ١٣٧ .

للإسلام منذ نشأته .

ويلاحظ أن هذه الرسالة تشكل واحدة من أهم الأسس التى يقوم عليها التطور الفكرى لفرقة الإباضية وتجنبها تهمة الخروج على الإسلام .

جابر بن زيد العمانى : «المؤسس الحقيقى للفرقة الإباضية » :

تستمد آراء وأفكار عبد الله بن إباض أصولها وينابيعها من جابر بن زيد العماني[١] ، الذى يعتبر المؤسس الحقيقى للفكر الإباضى . وهو جابر بن زيد الأزدى الجوفى البصرى ، أو أبو الشعثاء نسبة لابنته : من قبيلة اليحمد الأزدية فى عمان ، وقد عرف بالجوفى نسبة إلى درب الجوف فى البصرة حيث استقر مع أسرته فيما بعد ، وقد ولد فى فرق من أعمال نزوى فى عمان [٢] .

أما السنة التى ولد فيها فلا تعرف على وجه التحديد ، وتعطى المصادر تواريخ مختلفة، إلا أنها كلها محصورة بين عامى ١٨ و ٢٢ هجرية (٦٣٩م-٦٤١م)، وترجع سنة ٢١هـ.٦٤٠)[٣] . كما لا تذكر المصادر أيضاً تاريخاً لقدومه إلى البصرة ، ويبدو أنه جاء فى وقت مبكر من حياته طلباً للعلم حيث كانت البصرة آنذاك أهم مركز فكرى فى العالم الإسلامى ، واستقر بين أقاربه من الأزد الذين سكنوا أحد أحياء البصرة .

وقد كان جابر يكنى بابنته «الشعثاء» ، والتى لا يزال قبرها معروفاً فى مدينة « فرق » فى عمان إلى الآن ، وأما الوعثاء فى أصلها اللغوى فهى المشقة

---

(١) انظر ما سبق عن جابر بن زيد .
(٢) سالم بن حمود ، إزالة الوعثاء عن أتباع أبى الشعثاء ص ١ .
(٣) نور الدين السالمى ،اللمعة المرضية من أشعة الإباضية ص ٨ (الطبعة الثانية ، سلطنة عمان ١٩٨٣م) .

والجهد[١] .

ويروى عنه أنه قال : «أدركت سبعين بدرياً ، فحويت ما عندهم من العلم»[٢] وفى القول دلالة على أن جابر قد أخذ عن مجموعة من الصحابة ممن عايشوا ورافقوا الرسول -صلى الله عليه وسلم- ونقلوا عنه علمه وسنته الشريفة ، وفى مقدمتهم عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن مسعود ، وأنس بن مالك ، وغيرهم كما أخذ عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها . إلا أنه كان أكثر ملازمة لعبد الله بن عباس من غيره ، فكان أنجب تلاميذه ، وكان عبد الله بن عباس يقول عنه :

«لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لأوسعهم علماً فى كتاب الله»[٣] وفى رواية أخرى عبد الله بن عباس كان يحيل سائليه إلى تلميذه جابر ويقول : «اسألوا جابر بن زيد ، فلو سأله أهل المشرق والمغرب لوسعهم علمه»[٤] .

كما قال أيضاً ابن عباس رضى الله عنه : «عجباً لأهل العراق كيف يحتاجون إلينا وفيهم جابر بن زيد ! !» . ولما توفى جابر بن زيد قال أنس بن مالك صاحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : «اليوم مات أعلم من على ظهر الأرض»[٥] . كما شهد لجابر بالفقه والعلم والدين وسماحة الخلق كثير من الصحابة والتابعين .

وقد روى عن جابر أكثر وأشهر أهل المذاهب واعتمدوا على ثقته وأمانة ،

---

(١) سالم بن حمود شامس ، إزالة الوعثاء عن أبى الشعثاء ص ٢ ، تحقيق سيده إسماعيل كاشف (سلطنة عمان ١٩٧٩م) .

(٢) نفس المصدر السابق ص ١٩ .

(٣) سالم بن حمود ، إزالة الوعثاء عن أبى الشعثاء ص ١٧ .

(٤) سالم بن حمود ، المرجع السابق ص ١٧ .

(٥) أحمد بن سعيد الشماخى ، كتاب السير ص ٧٠ (القاهرة ١٣٠١هـ) .

فروى عنه البخارى ومسلم وأبو داود وغيرهم . حيث لم يكتف جابر بمن التقى بهم فى البصرة ، بل كان يرتحل إلى أماكن أخرى طلباً للمزيد من العلم ، ولا يترك فرصة يتزود فيها بالعلم إلا واغتنمها ، فكان يتردد على الحجاز ، ويلتقى بالسيدة عائشة رضى الله عنها ويأخذ عنها العلم، ويسألها عن سنة الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- ليعرف منها أدق الأسرار عن السنة الشريفة وقد أهلته معرفته العميقة لأن يصبح من أعظم فقهاء البصرة ، وصاحب شهرة فى منطقة الخليج العربى ، وواضع أساس نشاط الإباضية السياسى فيما بعد فى القرنين الثالث والرابع للهجرة .

وقد ألف كتاباً أسماه «الديوان» كان من الضخامة بحيث يعجز عن حمله البعير ، ويقع فى عشرة أجزاء كبيرة ، وكانت نسخة منه موجودة فى إحدى مكتبات بغداد الكبرى فى عهد الخليفة العباسى هارون الرشيد ، وتوارثها أئمة الإباضية فى البصرة[١] . ولا شك أن جابر قد وظف علمه ومواهبه فى خدمة مبادئه التى آمن بها ، كما اقتنع بطريقته السلمية فى نشر الدعوة التى رسمها ووضع أسسها وخطوط السير فيها ، واستفادته من نتائج الثورات السابقة والتى أملت عليه إتباع الطريقة السرية فى بداية تأسيس فرقته لإبعادها عن بطش رجال السلطة المركزية .

وقد انضم جابر لفرقة القعدة المحكمة (الإباضية) بعد أن اشتد عودها وقوى شأنها ، وذلك بعد انتهاء السنوات الأولى من خلافة عثمان بن عفان (حوالى سنة

---

(١) يقال إن عبد الملك بن مروان وبنيه استولوا على ديوانه وحرموا دراسته ونشره على الناس . وروى أن العباسيين حرموا على الناس استنساخه ووضعوه فى مكتبة دار الحكمة فى بغداد . وكانوا يعلمون أنه من مفاخر المسلمين. وكان ديوانه العظيم ثروة علمية عظيمة .
انظر: (الاباضية) الشماخى ، السير ص ٧٠ .

٢٩هـ) ، وكذلك بعد قبول على بن أبى طالب للتحكيم ، ومبايعة الخارجين على التحكيم عبد الله بن وهب الراسبى أميراً للمؤمنين فى سنة (٣٧هـ/٦٥٧م)[١] . فلم يكن لجابر بن زيد أى دور فى زعامة تلك الحركة بعد وفاة عبد الله بن وهب الراسبى مباشرة ، لأن جابراً آنذاك كان لا يزال شاباً صغيراً يتراوح عمره بين السادسة عشرة والعشرين سنة فقط ، ومن غير المحتمل أن يكون فى هذه السن قد اكتسب العلم الكافى والخبرة الضرورية ليتقدم أصحابه زعيماً مرشداً لهم .

ويتضح من المعلومات الواردة فى المصادر الإباضية المتوافرة أن جابر بن زيد قد انضم إلى القعدة أبان ولاية عبد الله بن زياد الأموى (٥٦/٦٧٦م - ٦٤هـ/٦٨٤م) .

ولذا فإن جابر بن زيد هو المؤسس الحقيقى للفقه والفكر الإباضى بلا شك . وقد قال صاحب كتاب «إزالة الوعثاء عن أتباع أبى الشعثاء» بكل وضوح : إن مذهب الإباضية مبنى على مسند الربيع بن حبيب[٢] ، وأحاديثه مروية عن أبى عبيدة عن جابر بن زيد عن الصحابة ، حيث كان جابر بن زيد من أوائل التابعين الذين عنوا بتدوين الأحاديث والسنة النبوية العطرة . وسبق جابر ذلك أصحاب المذاهب الأربعة المشهورين (الإمام مالك «٩٥هـ/٧١٤م-١٧٩هـ/٧٩٦م»، الإمـام أبى حنيفة «٨٠ هـ/٦٩٩م -١٥٠هـ/٧٦٩م» ، الإمام الشافعى «١٥٠هـ/٧٦٩م -٢٠٤هـ/٨١٩م» والإمام أحمد بن حنبل «١٤٦هـ/٧٦٥م -٢٤١هـ/٨٥٥») .

وقام جابر بن زيد بالعمل على قيام الإمامة العادلة المبنية على الأصول

---

(١) سالم بن حمود ، إزالة الوعثاء عن أتباع أبى الشعثاء ص ٣ .

(٢) الربيع بن حبيب توفى فى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى وله الجامع الصحيح مطبوع فى القدس ١٣٨١هـ وله طبعة أخرى فى المطبعة البارونية بالقاهرة .

الصحيحة للإسلام. مما يدل على شجاعته وفقهه المتميز وعلمه الواسع وإيمانه القوى الراسخ ، إنه لم يتوقف لحظة عن دروسه وتعاليمه ، رغم سيطرة الحجاج بن يوسف الثقفى على العراق وحاضرتها البصرة أيام حكم عبد الملك بن مروان (٦٥هـ/ ٦٨٥م-٨٦هـ/ ٧٠٥م) ، والوليد بن عبد الملك (٨٦هـ/ ٧٠٥م -٩٦هـ/ ٧١٥م)[١] ، ومعاملته القاسية والشديدة لأهل العراق[٢] .

وقد ارتكزت سياسة جابر فى تأسيس فرقة الإباضية بالبصرة على قواعد أساسية يمكن إجمالها فيما يلى :

١- أن كل المصادر التاريخية قد سجلت أن جابراً قد أصر فى قرارة نفسه على أن ينتهج سياسة مخالفة لتلك التى اتبعها هؤلاء الذين خرجوا ضمن من خرج وقت قبول على التحكيم من الأزارقة وغيرهم من متطرفى الخوارج ، ويبدو أن هذا التصرف من جابر بن زيد كان ينم عن ذكاء سياسى حاد لم يفهمه غير الحجاج بن

(١) سيده إسماعيل كاشف ، عمان فى فجر الإسلام ص ٥٧ (الطبعة الثالثة ١٩٨٩م - سلطنة عمان) .

(٢) وفى وسط هذا الجو المشحون بالإرهاب والشدة ، حرص جابر على تعريف المسلمين بدينهم ، كما كان بطلاً فى ترويض نفسه وحملها على الصراط المستقيم ، وها هو يرى أحد طلابه يكتب أثناء دروسه فنهاه أن يكتب شيئا غير آية محكمة ، أو سنة متبعة ، أما رأيه فلا عبرة به ، لأنه قد يجد فى المساء حجة أقوى من التى استند إليها فى الصباح فيرجع عنها إلى ما ثبت بالدليل الأقوى ، ويذهب الطالب بما كتب ينشر الباطل فى الناس ، وكان يكره التمتع بالدنيا حتى أن يزيد بن مسلم كاتب الحجاج بن يوسف الثقفى قد جعل الحجاج يعرض على جابر القضاء لكنه رفض ، فعرض عليه أن يكون فى أعوان صاحب الديوان بالبصرة فرفض ، كما أنه رفض التمتع بأى مزايا وهو فى ضيافة يزيد بن مسلم فأصر مثلاً على ركوب البغلة بدلاً من «البرذون» (فيل تركي). وقام بغسيل رأسه ولحيته بعد خروجه من يزيد بن مسلم ، بعد أن أمر جواريه بدهان رأس جابر ولحيته (إمعانا فى كرم الضايفة) ، فدلك رأسه ولحيته فى نهر دجلة تدليكاً شديداً قائلاً : «اللهم لا تجعل حظى منك منزلتى عند هؤلاء القوم» . انظر: سالم بن حمود ، إزالة الوعثاء ص ٢٢ .

يوسف الثقفى الذى - بعد أن استنفذ كل طرق المحايلة والإغراء مع جابر بن زيد - لجأ إلى نفيه إلى عمان ، الأمر الذى زاد من حماسة جابر بن زيد من ناحية أخذ يعمل على تقوية نشاط فرقة الإباضية فى الخليج العربى ، وذلك بتوطين فكر وآراء فرقته فى عمان توطينا ظهرت قوته فى القرنين الثالث والرابع للهجرة وليس من شك فى أن إتصال أهل عمان العلمى بالبصرة ، فضلاً عن اتصال أبناء العشائر والقبائل بعضهم ببعض كان من أكبر العوامل التى ساعدت على انتشار علم وأفكار وآراء جابر بن زيد بين مواطنيه فى عمان بالخليج العربى ، ورغم أن المصادر المختلفة لا تبين متى نفى جابر بن زيد إلى عمان ولا متى عاد[١] ، لكن الثابت أن جابر بن زيد عاد إلى البصرة مكملاً لمذهبه الدينى والسياسى ، محاولاً القضاء على أى ملك مستبد لا يستند على القرآن والسنة والإجماع[٢] .

وأخذ جابر ينشر آراءه وأفكاره بين الناس من خلال أحاديثه وفتاويه ، وكان يتفحص تلاميذه فمن وجد فيه استعداداً قوياً لآرائه وحماسة لمبادئه دعاه إلى مذهبه ، وذلك فى سرية تامة مستنداً فى تحقيق أهدافه إلى «التقية الدينية» . وإمعانا فى كتمان أمر دعوته فقد كان يأمر أتباعه بقتل كل من يكشف أسرار الجماعة أو يخون الجماعة بإذاعة أسمائهم مثلاً . فإن حدث وترك أحد أتباع الفرقة جماعته وتخلى عن مبادئها دون أن يطعن فى أصحابه القدامى أو يفشى أسرارهم فكان الإباضية يتبرأون منه دون أن يتعرضوا له بأذى باعتباره واحداً من المخالفين الموحدين الذين لا تحل دماؤهم إلا إذا بدأوا هم بالعدوان[٣] .

وقد أوضح جابر بن زيد بنشاطه العلنى هذا أن هناك اختلافا بين فرقة

(١) سيده إسماعيل كاشف ، عمان فى فجر الإسلام ص ٦٣ .
(٢) سالم بن حمود ، إزالة الوعثاء عن أتباع أبى الشعثاء ص ٣ .
(٣) عوض خليفات ، الأصول التاريخية للفرقة الإباضية ، ص ٢٢ .

الإباضية التى تؤمن بكل ما يؤمن به المسلمون وفرق الخوارج الأخرى التى غالت فى تفكيرها ، وها هو بتواجده المعلن يقول للجميع أننا لن ننسحب من المجتمع الإسلامى وسنعيش فيه ، ولن ننعزل عن الناس ، ولن ندعو الناس للخروج والتطرف والهجرة كما فعل الأزارقة وغيرهم من غلاة الخوارج .

٢- وكان جابر بن زيد مع زهده سياسيا محنكاً مع الحزم والدهاء على نحو ما يتضح فيما يلى :

أ- الحزم السياسى عند جابر بن زيد :

فقد أصبح جابر بن زيد قدوة لمن جاء بعده من الأئمة الإباضية فى حزمه السياسى حيث أحلوا الدماء بالظلم والابتداء به»[1] فمثلاً إذا خرج من مذهب المسلمين (الإباضية) أحد وعاب عليهم وطعن فى معتقدهم وأفشى أسرارهم ، فقد كان جابر يأمر أتباعه بقتل كل من يندرج تحت هذا النوع ، مع التسامح مع الذى يتركهم دون أن يفشى سرهم ، والواقع أن جابراً كان يكرر الطلب فى وجوب السرية فى جميع مراسلاته مع أعوانه وأتباعه ، ويطلب أحيانا تمزيق رسائله إليهم وحرقها حتى لا تصل إلى أيدى أعدائهم ، فتؤدى بالتالى إلى كشف تنظيم وإجهاض حركتهم .

وقد استطاع جابر أن يتجنب تنكيل الولاة الأمويين به ، وبإصحابه لفترة طويلة ، واستطاع فى نفس الوقت - والأهم - أن يكسب عدداً من الأتباع ممن تولوا فيما بعد مركز المسؤلية (بالطبع دون علم السلطات بمعتقدهم ، وكانوا يستعينون بآراء إمامهم جابر فى تسيير الإدارة والأعمال فى المناطق الخاضعة

---

(١) عوض خليفات ، المرجع السابق ، ص ٢٣ .

لنفوذهم)[١] . ومن بين هؤلاء الأشخاص النعمان بن مسلمة الذى أرسل إلى جابر يسأله عن كيفية جمع الجزية ، وكذلك يزيد بن يسار الذى كان يقطن عمان ويتبع أفكار جابر بن زيد ، وعين عاملاً فى إحدى مناطق عمان . هذا وقد وجد كذلك كثيرون خارج البصرة كانوا على علاقة حميمة مع جابر يدينون بأفكاره وآرائه ويصدرون عن أمره ، وكانوا عيوناً له ، وممثلين له فى المناطق التى يسكنونها .

ب- الدهاء السياسى عند جابر بن زيد :

من أبرز أمثلة هذا الدهاء هو تجنب جابر لأى احتكاك مع السلطة ، ولم يؤثر أنه تعرض لأذى قبل تولى الحجاج السلطة فى العراق على الرغم من أن بعض أصحابه قد لقى عنتا كبيراً على يد الولاة منذ أيام ابن زياد ، حتى أنه عندما رفض قبول منصب القضاء الذى عرضه عليه الحجاج ، فقد رفض ذلك بذكاء قائلاً «أنا أضعف من ذلك»[٢] مخفياً قدرته وإبداء ضعفه للوالى حتى يبعد الشبهات عنه ، وحتى لا يخطر ببال الوالى أن رجلا بلغ هذه الدرجة من الضعف يمكنه أن يقوم بتأسيس حركة سرية مناوئة للحكم .

ثم إن موافقة جابر على تولى أتباعه عدداً من المراكز والمهام الرسمية فى جهاز الدولة[٣] - التى يعمل ضدها - حيث كان يرى أن هؤلاء يسهمون فى توفير مناخ مناسب لنشر دعوته فى تلك الأمصار والولايات ويشكلون دعامة لها ، هذه الموافقة تعتبر درباً آخر من دروب الفطنة السياسية عند جابر بن زيد ، الذى رفض هو نفسه قبول أى منصب عند الدولة الأموية .

---

(١) عوض خليفات ، المرجع السابق ، ص ٢٦ .
(٢) سالم بن حمود ، إزالة الوعثاء عن أتباع أبى الشعثاء ص ٢١ .
(٣) عوض خليفات ، المرجع السابق ، ص ٢٧ .

وقد كان من نتائج السياسة التى انتهجها جابر بن زيد هو أن الحركة الإباضية أصبحت تضم عناصر من قبائل عربية مختلفة كما انضم إليها الكثير من الموالى ، ولم يمت جابر بن زيد[١] إلا وغدت الدعوة الإباضية دعوة شاملة اجتذبت عناصر مختلفة من قبائل وأجناس متعددة ، وأخذت القناعات المذهبية لدى كثير من أتباع الدعوة الإباضية تحل محل الولاءات القبلية والعرقية[٢] ، وكان جابر يبعث بالدعاة لمختلف المناطق ، وهو الأمر الذى تم فى عهد خلفه أبى عبيدة من تدريب للدعاة الذين عرفوا باسم «حملة العلم» ، وكان جابر على صلة وثيقة مع أتباع دعوته فى الولايات المختلفة ، ومن بينهم أناس من الأزد وتميم وغيرهم من قبائل أخرى ، مما مهد لنشاط الإباضية فى الخليج العربى ، وصار أساساً من أسس كيان الإباضية السياسى فى القرنين الثالث والرابع للهجرة .

أبو عبيدة يسير على نهج جابر بن زيد :

تولى أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمى زعامة أهل الدعوة الإباضية بعد موت الحجاج عام ٩٥هـ/٧١٤م وخروجه من السجن ، واتفق ذلك مع بداية حكم الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٦هـ/ ٧١٥م - ٩٩هـ/ ٧١٧م) . وكان الخليفة على علاقة وثيقة مع المهالبة ، زعماء الأزد الذين انضموا إلى الحركة الإباضية بأعداد وفيرة إبان إمامة جابر بن زيد الأزدى . ولحسن حظ أتباع الحركة الإباضية أن الخليفة الأموى سليمان بن عبد الملك قد عين زعيم الأزد يزيد بن المهلب والياً على العراق وخراسان ، ونتيجة للعلاقات الطيبة التى تربط الأزد وآل المهلب بالحركة الإباضية فإنهم لم يتعرضوا لأى اضطهاد خلال تلك الفترة ، وكذلك خلال فترة حكم

---

(١) توفى بالبصرة عام ٩٣هـ أو سنة ٩٦هـ أو فى تاريخ بين السنتين .

(٢) سيده إسماعيل كاشف ، عمان فى فجر الإسلام ص ٥٨ .

الخليفة عمر ابن عبد العزيز (٩٩هـ / ٧١٧م - ١٠١هـ / ٧٢٠م) الذى حاول أن يحل مشاكل الدولة الإسلامية مع أحزاب المعارضة ومن بينهم الإباضية بالطرق السلمية .

وأرسل الإباضية وفدا برئاسة جعفر بن السماك أحد أبرز مشايخ الإباضية فى البصرة إلى دمشق ؛ ولكن بالرغم من عدم نجاح مهمة هذا الوفد فى استمالة الخليفة إلا أن الوفد عاد راضياً عن سياسة وسلوك الخليفة . وتذكر بعض مصادر الإباضية أن الوفد استطاع أن يستميل ابن الخليفة عبد الملك ، واعتنق المذهب الإباضى .

وأثناء هذه الفترة من العلاقات السلمية ، وأحياناً الودية ، بين الإباضية والسلطة الأموية الحاكمة ، والتى امتدت خلال حكم الخليفتين سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ، فقد استغل أبو عبيدة ومشايخ الدعوة فى البصرة هذه الفرصة لتنظيم حركتهم على أسس متينة وقوية من أجل الوصول إلى الهدف الأسمى وهو تأسيس إمامة الظهور[(١)] ، وانتخاب خليفة للمسلمين من بين أتباع الدعوة الإباضية .

تنظيم ابى عبيدة للمجالس السرية :

قام أبو عبيدة بتطوير نظم المجالس السرية التى كانت تقام فى البصرة وتضم مشايخ الدعوة وأتباعها حيث يلقون ويتلقون دروسهم ومبادئ مذهبهم ، وكل ما يمت إلى دعوتهم بصلة سواء فى النواحى الدينية أو الدنيوية .

---

(١) إمامة الظهور : وتعنى الانتهاء من فترة الإعداد والكتمان والإعلان الرسمى والعلنى لإقامة كيان سياسى مستقل وهو الهدف الأسمى الذى كان يسعى إليه رواد الإباضية .

والحقيقة أن هذه المجالس السرية كانت موجودة منذ زمن أبى بلال مـرداس بن أدية التميمى الذى تزعم حركة القعدة بعد النهروان . إلا أن الفضل يعود للإمام أبى عبيدة فى توضيح معالم هذه المجالس وتصنيف وظائفها وترتيب طبقاتها .

ويمكن أن نقسم هذه المجالس إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول :

المجالس العامة وهى التى لم تقتصر على جماعة معينة بل إن دخولها مباح لأى شخص من أهل الدعوة[١] . وكان الأعضاء يرتادون هذه المجالس التى تعقد سراً فى بيت أحد المشايخ وفى سراديب أرضية خاصة ، وفى بعض الأحيان فى بيوت النساء والعجائز .

ولم يكن لهذه المجالس العامة برنامج معين . بل كان الأعضاء يجتمعون في المجلس ويتلقون دروساً في العقيدة وإرشادات من كبار المشايخ الذين كانوا يقومون بإلقاء الخطب الواحد تلو الآخر حول موضوع معين أو مواضيع مختلفة وقد تكون هناك أوامر ملزمة للأتباع . وكان مشايخ الإباضية البارزين يشرفون علي هذه المجالس العامة . لذلك فقد سمي كل مجلس باسم الشيخ المشرف عليه مثل مجلس عبد الملك الطويل ومجلس أبي مودود حاجب الطائي وغيرها ...

القسم الثاني :

مجالس المشايخ ويحضرها زعماء الإباضية فقط . وفي هذه المجالس تقرر السياسة التي يجب علي آل الدعوة اتباعها . وكان مجلس المشايخ عبارة عن مجلس تخطيط وتنظيم لحركة ثورية سرية[٢] . ولا يجوز لأحد غير الإمام وكبار

---

(١) عوض خليفات ، المرجع السابق ص ٣٦ .

(٢) عوض خليفات ، المرجع السابق ص ٣٩ .

المشايخ حضور هذه المجالس .

القسم الثالث :

مجالس أو مدارس حملة العلم ، حيث كان الدعاة من مختلف الأمصار يتلقون العلم ومبادئ وأصول الدعوة وتعاليمها مباشرة من الإمام أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة التميمى . الذى أقام مدرسة لهذه الغاية فى سرداب أرضى لا يعرفه إلا الدعاة (حملة العلم) وشيوخ الإباضية البارزين . ومن هذه المدرسة تخرج دعاة الإباضية . وكان يتم اختيار حملة العلم أو الدعاة غالباً من السكان الأصليين للبلاد التى يبشرون فيها . وقد نظم أبو عبيدة العلاقة بين مركز الدعوة فى البصرة والدعاة فى الخليج العربى وغيره من بلاد الدول الإسلامية .

وإذا حدث خلاف بين الدعاة فى أى من الأمصار كان عليهم العودة لمشايخ البصرة للنظر والعمل على حله . وكان أبو عبيدة يرسل أحد أصحابه المعروفين بالحصافة والعلم للنظر فى مثل هذه الطواريء . وكان رسوله فى معظم الأحيان حاجب الطائى ساعده الأيمن ومستشاره الأول والمسؤول عن الشؤون العسكرية والمالية وشئون الدعوة خارج البصرة . ومن أمثلة ذلك ما حدث بين أتباع الدعوة من أهل حضرموت حينما خلعوا رئيسهم عبد الله بن سعيد وبايعوا رجلا غيره . وأرسل لهم أبو عبيدة حاجب الطائى فى موسم الحج .

هكذا كانت تدار أمور أتباع الإباضية فى تنظيمات متسلسلة مدروسة لنشر مبادىء وتعاليم مذهبهم فى تقية عالية وسرية تامة حيث إنهم لم يتركوا وسيلة لإخفاء تنظيمهم إلا واتبعوها وكانوا يتخذون كل الإجراءات الممكنة لمنع تسرب أية معلومات عن مجالسهم أو أماكن انعقادها ، كما كانوا يذهبون لحضور هذه المجالس متنكرين على هيئة النساء أو الباعة المتجولين . بالإضافة إلى توزيع الحرس من

أتباعهم لمراقبة أماكن مجالسهم وإبلاغهم بأية أخبار أولاً بأول حتى لايكشف أمرهم ويلقى القبض عليهم . ونتيجة لهذه الوسائل والإجراءات الحذرة التى اتبعها الإباضية فى البصرة لم يؤثر عنهم «أنهم ظفر بهم فى مجلس قط»[1] .

واستطاع الإباضية نتيجة للتنظيم الدقيق والتعاليم والمبادىء الفقهية المتمسكة بكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يكسبوا أعواناً كثيرين فى مناطق متعددة من الدول الإسلامية خلال الربع الأخير من القرن الأول الهجرى .

وفى بداية القرن الثانى الهجرى وبعد أن اعتلى يزيد بن عبد الملك عرش الخلافة (١٠١هـ-١٠٥هـ) حدثت بعض التطورات السياسية فى نشاط الإباضية ، حيث قام يزيد بن المهلب ومعه المهالبة قادة الأزد وزعماؤهم والكثيرون من أفراد تلك القبيلة والمعتنقين للمذهب الإباضى ، باحتلال البصرة وامتد نشاطهم إلى الأهواز وكرمان وفارس حتى السند . ولما علم الخليفة بذلك أرسل لهم جيشاً كبيراً بقيادة أخيه مسلمة بن عبد الملك حيث استطاع هذا الجيش الشامى أن يهزم الثوار فى معركة العقر سنة ١٠٢هـ/٧٢١م وقتل فيها يزيد بن المهلب وهرب البقية إلى قندابيل فى السند وتتبعهم هلال بن أحوز التميمى وهزمهم هزيمة منكرة وقتل معظم أفراد أسرة المهالبة وأسر الباقون . ونتيجة لهذه الثورة صب الخليفة جام غضبه على الأزد فى كل مكان .

وأدى ذلك بالتالى إلى خنق الإباضية بالبصرة بسبب وجود عد كبير من أفراد تلك القبيلة ضمن فرقة الإباضية . مما أدى إلى ارتفاع أصوات بعض مشايخ الإباضية بوجوب الانتقام وإعلان الثورة ومن بين هؤلاء : الشيخ الإباضى أبو نوح

---

(١) عوض خليفات ، المرجع السابق ص ٣٨ .

صالح الدهان وبعض أفراد الأزد الذين نجوا من الموت ، ومن بينهم عاتكة أخت يزيد بن المهلب المعروفة بحماسها الشديد للمذهب الإباضى . لكن الإمام أبا عبيدة رفض ذلك بشدة حيث رأى أن الوقت لم يحن بعد .

وتكرر نفس الموقف زمن خلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥هـ/٧٢٤م - ١٢٥هـ/ ٧٤٣م) الذى عين خالداً القسرى والياً على العراق ، إذ اتسمت فترة ولاية خالد باللين والتسامح مع كافة المعارضين ، حتى أن بعض مشايخ الإباضية كانوا يشتمونه على منابر المساجد . وقد تزعم هذه الحملة أحد شيوخ الإباضية البارزين وهو أبو محمد النهرى . لكنه بعد أن عزل خالداً القسرى وتولى بدلاً منه يوسف بن عمر الثقفى اتبع الأخير سياسة مخالفة تماماً لسياسة سلفه حيث استعمل العنف والشدة والقسوة ضد المناوئين للسلطة حتى لو لم يرفعوا السيف فى وجه الحكومة ، مما أدى إلى مطالبة أتباع أبو عبيدة فى وجوب التحرك والخروج .

لكن الإمام أبا عبيدة كان أبعد نظراً وأدق تفكيراً من هؤلاء ، فرفض الخروج على طريقة متطرفى الخوارج أو على منوال الثورات الأخرى التى قامت فى العراق والتى كانت نتيجتها القمع بعنف بل والقضاء عليها . لذلك قرر أبو عبيدة الاستمرار فى كتمان الدعوة فى البصرة ، لكنه اتخذ خط سير آخر سار فيه بحذر شديد جداً ، كان له أكبر الأثر فى انتصار الدعوة وإعلان إمام الظهور فيما بعد فى الخليج العربى .

وكانت تلك الخطة مختلفة عن خطط كل ما سبق من ثورات وحركات . وأكد بأنه صاحب فكر سديد وقائد محنك وسياسى داهية ، كما حذر فى نفس الوقت أصحابه من قبول أية مناصب رسمية بل أنه لم يحبذ التزاوج بين أتباع الدعوة وبقية المسلمين . رغم مشروعية ذلك فى الإسلام وفى المذهب الإباضى أيضاً ، لكن ذلك كان بهدف المحافظة على سرية الدعوة وعلى استمرار تمسك أتباعه بروحهم الأخوية

. كما أنه لم يغفل حاجة بعض أتباع ومشايخ الإباضية للمال لذلك أنشأ بيت مال خاص بجماعته ووكل لحاجب الطائى مهمة الإشراف على الشؤون المالية والعسكرية وشؤون الدعوة . وقد كان أبو عبيدة ذكياً فى الربط بين الناحيتين المالية والعسكرية وذلك لأن موارد بيت مال الإباضية كانت تستخدم لمساعدة الدعاة والمحتاجين والثوار الإباضية فى المناطق البعيدة . وكانت موارد بيت المال تأتى من مصدرين : الأول عبارة عن ضريبة فرضها الإمام على أتباعه فى البصرة . ولا تذكر المصادر متى كانت تدفع ولا مقدارها ، ولكن من الثابت أنها لم تكن تفرض بالتساوى بل كانت تتفاوت حسب ثراء المكلف وإمكانياته ، ويبدو أن هذه الضريبة كانت تجمع عند الحاجة .

أما المورد الثانى لبيت المال فكان يأتى من التبرعات السخية التى يدفعها أثرياء الإباضية والمقتدرين رجالاً ونساءً .

الإمام الربيع بن حبيب يخلف أبا عبيدة :

(توفى فى النصف الثانى من القرن الثانى الهجري) : وهو من أهل الباطنة من عمان من غضفان . رحل الربيع إلى البصرة لطلب العلم ، وكانت البصرة آنذاك عمانية برجالها الأفاضل العلماء ، وكان الربيع شابا حين التقى بالإمام جابر بن زيد ، وكان يقول : أخذت الفقه من ثلاث: «أبى عبيدة وأبى نوح وضمام السائب الأزدى العماني»[١] . وكانت وفاته فى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى .

وفى البصرة عكف الإمام الربيع على كتابة مسنده ، الذى ترجع أهميته إلى ورع الإمام الربيع وعلمه وفقهه ، فضلاً عن أنه كان يعتمد فى إسناده على الفقيه جابر بن زيد .

(١) سيده إسماعيل كاشف ، عمان فى فجر الإسلام ص ٧١ .

ويعتبر الربيع الداعية الذى أرسى القاعدة المباشرة لنشاط الإباضية بالخليج العربى ، وبخاصة فى عمان فى القرنين الثالث والرابع للهجرة . وحمل العلم عن صاحب «مسند الربيع» ، من البصرة إلى عمان خمسة علماء عمانيون كان لهم الفضل الأكبر فى ازدهار الحياة العلمية فى فجر الإسلام فى عمان ، وهم أبو المنذر بشير بن المنذر النزوانى ، ومنير بن النير الجعلانى ، وموسى بن أبى جابر الأزكوى، ومحبوب بن الرحيل (ت ٢٦٠هـ/٨٧٣م)، ومحمد بن المعلا الكندي(١).

وبفضل هؤلاء العلماء وعلى رأسهم جابر بن زيد وساعده الأيمن أبو عبيدة مسلم ، ونتيجة لتنظيماتهم الدقيقة الذكية ، وانطلاقاً من روح الأخوة والتسامح والمودة والتعاون التى سيطرت على جميع أتباع المذهب الإباضى فى طوره الأول .

وتتويجاً لنشاط حملة العلم المتحمسين فقد استطاعت الدعوة الإباضية أن تنتصر ، ويتمكن أتباعها من إحراز نجاح باهر فى أماكن مختلفة من مناطق الخليج العربى وغيرها من أرجاء العالم الإسلامى .

ففى العقد الثالث من القرن الثانى للهجرة ، استغل مشايخ الإباضية فى البصرة الظروف التى كانت تمر بها الدولة الأموية(٢) ، وأوغروا إلى دعاتهم وحملة العلم منهم إلى إعلان الإمام «إمامة الظهور» ، فى عمان بالخليج العربى ، فضلاً

---

(١) سالم بن حمود المصدر السلبق ص ٤١ .

(٢) وأهم هذه الظروف ، خروج زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب أيام هشام بن عبد الملك ، وكذلك قتل الخليفة الوليد بن عبد الملك فى ١٢٦هـ/٧٤٥م ، ووفاة يزيد بن الوليد بن عبد الملك بعد فترة حكم لم تزيد على الخمسة أشهر واثنين وعشرين يوماً أخذ فيها الحكم الأموى يضطرب ...

عن اليمن وحضرموت ، والمغرب[١] .

لكن هذا النجاح السياسى للإباضية لم يعمر طويلا حيث قضى الأمويين على إمامة اليمن وحضرموت ، على حين قضى العباسيون على إمامة «الظهور الأولي» فى عمان .

وعلى الرغم من ذلك ارتبط تاريخ عمان بالمذهب الإباضى ولا يزال هذا الارتباط مستمراً حتى يومنا هذا .

وهكذا يتضح أن البصرة كانت مركزا لنشاط الإباضية فى الخليج العربى ، حيث غصت بالأعيان من أهل عمان ، وامتلأت برجال العلم الأجلاء الذين لهم الشرف الخالد على صفحات تاريخ الخليج العربى . وكانت البصرة مقر العلماء الأعلام من أهل عمان والخليج العربى ، حتى كادت أن تكون إذ ذاك عمانية خليجية محضة .

(١) قامت فى بلاد المغرب على يد دعاة الإباضية من البصرة الدولة الرستمية الإباضية فى بداية العقد السابع من القرن الثانى الهجرى . وقد عمرت هذه الدولة أكثر من قرن وثلث ، قضى عليها الفاطميون عام ٢٩٧هـ/٩٠٩ . وعلى الرغم من ذلك فقد بقى المذهب الإباضى فى مناطق نائية بعيدة عن متناول السلطة المركزية للدولة الإسلامية . ولا تزال بقايا الإباضية موجودة حتى يومنا هذا فى جبل نفوسة فى ليبيا ، وفى جزيرة جربة فى تونس وفى وادى ميزاب فى الجزائر . أنظر حسن على حسن ، قيام دولة الأدارسة ص ٢٤٥ .

ثانياً : تجاوب أهل الخليج العربى مع مبادىء الفكر الإباضى :

كان تجاوب أهل الخليج العربى مع الإباضية ، هو نفس تجاوب العديد من القبائل فى الدولة الإسلامية مع حركات الخوارج ، حيث كان لكل قوم دوافعهم فى ذلك . غير أن الخليج العربى كانت له بعض المميزات والخصائص التى دفعت أهله للتجاوب مع الحركة الإباضية ، وتتضح فيما يلى :

ا : انتماء أوائل الإباضية لقبيلتى تميم[١] والأزد المنتشرتين فى منطقة الخليج العربى والبصرة :

كان للقبائل العربية المقيمة فى البصرة والخليج العربى من الأزد وتميم رؤساء أشبه برؤساء القبائل فى الجاهلية ولهم نفوذهم ومكانتهم العالية ، منهم على سبيل المثال الأحنف بن قيس سيد تميم فى البصرة الذى إذا غضب غضب لغضبه مائة ألف سيف لا يدرون فيما الغضب[٢] .

وكانت القبائل المشاركة فى صنع الأحداث فى منطقة الخليج العربى تنتشر ما بين البصرة والكوفة شمالاً ، وحتى ظفار (عمان) جنوباً . وهى قبائل لم تقبل الخلفاء القرشيين (أمويين وعباسيين) ، الذين أصبحوا يحكمون دولة مترامية الأطراف ، ولم تكن نظرة أهل الخليج العربى إلى الخلفاء دينية خالصة دائماً ، وإنما كانت نظرة شابها الكثير من العصبية القبلية . والواضح هنا أن العنصر البشرى كان له دور كبير فى صنع أحداث تلك الفترة .

---

(١) قبيلة تميم كانت تنتشر من بادية البصرة حتى البحرين واليمامة . انظر ابن حوقل ، صورة الأرض ص ٤١ .

(٢) أحمد أمين ، فجر الإسلام ص ١٨٦ .

فبالرغم من أن الحركة الإباضية لم تكن حركة قبلية ، إلا أن دور القبيلة بدا واضحاً وفعالاً فى نجاح تلك الحركة ، فقد كان جابر بن زيد المؤسس الحقيقى للفقه الإباضى ينتمى إلى قبيلة الأزد ، ووجه بالتالى قسماً كبيراً من جهوده نحو إقناع بعض أفراد هذه القبيلة للانضمام إلى حركته ، وقد نجح فى ذلك . كما انضم إلى الإباضية أعداد كبيرة من أهل عمان وحضرموت واليمن التى انتشرت فيها قبائل الأزد .

وخلف جابر فى زعامة الدعوة الإباضية أبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة ، وهو أيضا من قبيلة تميم التى ينتمى إليها عبد الله بن إباض لسان الإباضية ، والذى كان يعتمد بالإضافة إلى قدرته فى المناظرة والمجادلة إلى قبيلته - قبيلة تميم - والتى تعد أيضاً من أهم قبائل البصرة آنذاك .

ويلاحظ أن شيوخ الإباضية كانوا يحتمون بقبائلهم التى كانت تحتل مواقع مهمة فى الدولة الإسلامية . كما أن هذه القبائل هى التى احتضنت الفقه الإباضى النابع من فكر أبنائها والمستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية العطرة ، ولذا لا نستغرب أن أول الدويلات الإباضية ظهرت فى اليمن وحضرموت وعمان .

وهكذا كان لقبائل تميم والأزد بالخليج العربى أكبر الفضل فى احتضان الإباضية واستمرارها وبقائها حتى يومنا هذا .

٢ : رفض الإباضية شرط «القرشية» فى الإمامة ، ومطالبتهم بخلع الإمام إن فقد أى شرط من الشروط الأخرى للإمامة :

رفض الإباضية شرط انتماء الخليفة أموياً كان أم عباسيًا لقبيلة قريش ، وأكدوا على أحقية كل شخص مسلم تتوافر فيه بقية الشروط الواجب وافرها بالخلِيفة وأن يتم اختيار الخليفة بالشورى ﴿ وأمرهم شورى بينهم﴾ .

وقد أعجب هذا الرأى أهل الخليج العربى وصاروا بالتالى أكثر قابلية لتلقى الأفكار الجديدة والدخول فى المذهب الإباضى . كما أعجبتهم الأفكار الجديدة للإباضية والتى تتضمن المطالبة بخلع الإمام إذا فقد أى شرط من شروط الإمامة .

ومعنى ذلك أن أى إمام يحاول أن يشغل الإمامة لأى غرض كان ، أو أنه أساء معاملة الرعية ، أو أى مخالفة تبدو من الإمام تنفى عنه أى شرط من شروط الخلافة . فإن ذلك يمكن أن يكون عذراً أو سنداً للرعية فى المطالبة بإعفاء الإمام وخلعه ، أى أن الإمام المستبد لامكان له بين الرعية . وهذا ما يحفظ حق الرعية ويسند موقفهم أمام الإمامة ويجعلهم فى استقرار دائم لا يخشون البطش من أى إمام .

٣ : إعجاب أهل الخليج العربى بقوة المناظرة والبراعة فى الجدل وفصاحة اللسان عند الإباضية :

لقد كان الإباضية مثلهم مثل الخوارج يستمسكون بآرائهم أشد الاستمساك وهم ذوو فصاحة فى اللسان وطلاقة وعلم وفقه ودين ، وكانوا ثابتى الجنان لا يتحيرون أمام خصومهم ، ولا تأخذهم حبسة فكرية ، ويحبون الجدل والمناظرة وطرح الأفكار للمناقشة بكل وضوح واعتدال، رغم أنهم فى جدلهم شديدو التعصب ، بل لا تزيد قوة حجة الخصوم لديهم إلا إمعاناً فى اعتقادهم ، وتغلغل مذهبم فى نفوسهم ، وسيطرته على كل مواقع تفكيرهم ، وفيهم تشدد وشدة وكانوا يتمسكون بظواهر القرآن ، وما يظهر لهم بادىء الأمر يتوقفون عنده ، ولا يتحركون بعد قيد أنملة[١] .

وتظهر قوة المناظرة والمجادلة الشجاعة الحقة عند الإباضيين متمثلة فى الناطق باسمهم وهو عبد الله بن إباض ، الذى كان يطرح آراء تلك الجماعة المسلمة المؤمنة التى سميت فيما بعد باسم «الإباضية» ، ثم يبدأ فى المناقشة والإقناع ملتزماً بالشريعة الإسلامية شارحاً للفقه الإباضى وأفكار وآراء الفرقة التى وضع مبادءها جابر بن زيد . وتتجلى قمة الشجاعة فى طرح تلك الأفكار فى كتاب عبد الله بن إباض إلى عبد الملك بن مروان .

واجتذب أهل الخليج العربى إلى الإباضية قدرتهم على المناظرة والجدل وطرح الأفكار والآراء ومناقشتها بطريقة ودية متصفة بالاعتدال وعدم اللجوء إلى العنف ، ومن ثم ظهر الفكر الإباضى إلى النور وأخذ فى الأنتشار فى بلاد الخليج العربى وغيرها من البلاد الإسلامية ، وبخاصة فى الجزيرة العربية وفى بلاد المغرب .

---

(١) الإمام محمد أبو زهرة ، تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٦٨ .

٤ : الزهد وشدة التدين عند فقهاء الإباضية :

أوضحت كتب وخطب الإباضية شدة تدين فقهاء الإباضية وتمسكهم بالقرآن الكريم والسنة النبوية العطرة ، ولا أدل على ذلك من تنقلهم بين أنحاء الدول الإسلامية ملاحقين لصحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، يأخذون عنهم مباشرة ما جاء عن الرسول الكريم . فقد أخذ المؤسس الحقيقى للفقه الإباضى جابر بن زيد العلم عن عبد الله بن العباس[١] ، وعائشة أم المؤمنين ، وأنس بن مالك ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهم وغيرهم من الصحابة ، حيث قال جابر بن زيد أنه أدرك سبعين بدرياً[٢] . وقال ياقوت إن أبا الشعثاء جابر بن زيد أحد أئمة السنة .

كما شهد له الكثير من الفقهاء وأهل العلم بشدة تدينه وفقهه إضافة إلى الفطانة والصدق والأمانة فتلقوا آثاره فى مؤلفاتهم ، واحتجوا بأقواله فى أحكامهم. وهى أمور قربت إليهم قلوب أهل بلدان الخليج العربى ، حباً فى حياة العبادة وطهرها .

وسار فقهاء الإباضية وروادها على نهج الإمام جابر بن زيد ، فاشتهروا بالزهد وشدة التدين مما فرض احترامهم لدى كافة المسلمين ، فكان ذلك أحد أهم الأسباب التى أدت إلى تجاوب العديد من المسلمين من كافة أنحاء الخليج العربى وغيره من بلاد الدولة الإسلامية مع آراء وأفكار الإباضية .

---

(١) ابن عم الرسول ، وكان يروى عنه كما كان لغوياً وأخبارياً وينسب إليه تفسير الكثير من الألفاظ اللغوية . توفى سنة ٦٨هـ /٦٨٨م.

(٢) ممن حضروا مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - غزوة بدر .

٥ : عدم رضى أهل الخليج العربى عن حكم غير أبناء بلدهم لهم ، واستعدادهم الدائم للثورة :

لقد كان أهل الخليج العربى جماعات متفرقة لا ينضون تحت لواء واحد ، وعلى استعداد دائم للثورة على أى حاكم من غير أبناء بلدهم ، هذا فضلاً عن أنهم كانوا يخرجون على بعض لأوهى الأسباب ، ويعتبرون الصديق عدواً دون جريرة تذكر[١] . وهم فى هذا أبناء البيئة التى نشأوا فيها وترعرعوا فيها لم تعودهم إلا على الحكم القبلى حيث حكومات شيوخ القبائل والعشائر غير المنظمة والقائمة على الأحكام العرفية التى تتمشى مع أوضاعهم القبلية . لذا فإنهم لا يتأقلمون مع نظام حكم جديد يفرض بالقوة وتطبق مبادئه وقراراته ونظمه بالقوة الجبرية. وما حدث بالكوفة والبصرة وعمان مثال واضح لتلك الطباع الثورية العربية الشديدة التطرف والحادة المزاج ، وقد أثرت الفتن والحركات السياسية التى كانت تندلع بين الحين والحين فى الدولة الإسلامية بأهل الخليج العربى ، حيث إنهم كانوا فى قلب تلك الثورات الدائمة .

مما جعل مسرح الأحداث فى الخليج العربى مهيئًا للحركات الانفصالية عن الدول الإسلامية التى كانت تحكم دمشق أو بغداد ، وقد وجدت الإباضية فى تلك البيئة مناخاً صالحاً لمزيد من الانتشار ، ومزيد من التغلغل بين قبائل الخليج العربى .

لذا يتضح أثر عادات وتقاليد أهل الخليج العربى فى تقبلهم للفكر الإباضى لأنهم لم يعتبروا فقهاء المذهب الإباضى غرباء عنهم ، إذ معظمهم من أهل عمان وعلى رأسهم جابر بن زيد المؤسس الحقيقى للفقه الإباضى ، الذى استمد قواعده من الشريعة الإسلامية ، والسنة النبوية الطاهرة .

(١) أحمد شلبى.موسوعة التاريخ الإسلامى جـ٢ ص ٢٦٥ .

٦ : اشتراك الإباضية فى التأثر بأسباب ودوافع الخروج على الخلفاء فى دمشق وبغداد :

فقد نال الفكر الإباضى جزءاً منها ومن أهدافها، فبعد أن كان الهدف الأوحد للمؤسسين الأول للفكر الإباضى هو إقامة تعاليم الدين الإسلامى، فإنه ظهرت بعد ذلك أهداف ودوافع دنيوية يسياسية مثل الصراع على الإمامة، كما ظهرت دوافع اقتصادية حيث التنافس على التجارة وغير ذلك من الأمور الأخرى.

واتضحت هذه الأمور جلياً فى القرنين الثالث والرابع للهجرة فى عمان التى تعتبر الموطن الأم للإباضية فى العالم الإسلامى ، حيث اعتبرت الحرب الأهلية التى مزقت عمان فى أواخر القرن الثالث الهجرى ، منعطفاً هاماً فى الحركة الإباضية[١] .

وهنا لابد من توضيح أن أوائل أئمة الإباضية وفقهائهم لم يسعوا إلى استقلال دعوتهم فى تحقيق اهداف دنيويه، لكنه يبدو أن أتباع الفكر الإباضى قد تأثروا بأسباب ودوافع الخروج فى الدولة الإسلامية، أو أن أمور الدنيا قد انحرفت بهم إلى المنزلق الدنيوى. فاختلطت الأهداف الدينية بالأهداف الدنيوية، وبالرغم من هذا المنعطف الخطير إلاأن العناصر المعتدلة من رجال الدين بقيت تنتهج نهج رواد الفكر الإباضى وتعمل على تأسيس إمامة تنتهج الفكر الإباضى المعتدل والمستمد من فكر المؤسس الحقيقى للفقه والفكر الإباضى ألا وهو جابر بن زيد .

(١) انظر تفصيل ذلك فى الفصل الثانى من هذا البحث .

٧ : عزلة قبائل الخليج العربى ، واحتفاظ غالبية أفراد تلك القبائل بالطبائع البدوية :

ينقسم العرب فى أصولهم إلى عرب الجنوب: وهم القحطانيون من يمنيين وأزد ، وعرب الشمال : وهم العدنانيون من مضريين ونزاريين[١] .

ولايعنى هنا بشكل هام أنساب العرب، ولكن الأهم هنا طباع هؤلاء لعرب ونماذج سلوكهم ومايحرك ويثير تصرفاتهم، حيث أن الإباضية سلكوا مسلك القبائل العربية خصوصاً قبيلتى تميم والأزد بالخليج العربى.

وكانت القبائل العربية قبل الإسلام تعيش على الفطرة وتعبد الأصنام، ولكن بعد ظهور الإسلام وانتشاره الواسع فى الجزيرة العربية والخليج العربى ، تأثرت تلك المناطق تأثراً شديداً بتعاليم الدين الإسلامى .

كما تأثر أهلها بالأفكار التى تدعو إلى العودة للعمل بالشريعة الإسلامية واتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وماعمل به الخلفاء الراشدين، هذا فضلاً عن التمسك بعاداتهم البدوية المتعصبة والمتشدده والتى تمثل اندفاع أفراد تلك القبائل وراء الأفكار والآراء التى تدعو إلى الإصلاح.

---

(١)عاش القحطانيون فى بلاد اليمن ولهم ممالكهم المشهورة ثم بعد هجرتهم للعراق كان منهم اللخميون ملكوك العراق، والغساسنة ملوك الشام، ومنهم ملوك كنده، وقبائل الأزد الذين ينتسب لهم أنصار الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة.

وجاءت قبائل الشمال من أولاد عدنان ولد إسماعيل ليشتهر منهم مضر وقريش وقصى وهاشم وعبد المطلب،ولقد كان ظهور الإسلام فى بلاد العرب حدثاً فريداً أثار انتباه المؤرخين والناس أجمع، حيث أن الرسول صلى الله عليه وسلم عربياً عاش بأرض الحجاز بين أهله، فكتبوا عن عرب الشمال كثيراً، وأخذ تاريخهم المكانة الأولى وتعهد سكان الحجاز بالدعوة الإسلامية، وأغفل الكثيرمن المؤرخين عرب الجنوب وتناسوا أن من استجاب أولاً لنداء رسول الله صلى الله عليه وسلم هم أبناء الأزد فى المدينة المنورة من عرب الجنوب.

وكانت طبيعة أهل الخليج العربى البدوية وعاداتهم القديمة المتوارثة منذ القدم تقوم بدور هام فى توجيه حياة أهالى تلك القبائل فى مناطق الخليج العربى، فاشتهروا بعدم الاستقرار ومنها القبائل العربية العريقة أمثال تميم[١] ، بالإضافة إلى عادات السلب والنهب والإغارة، وكثيراً ما كانت القبائل تحتمى ببعضها فى حلف لايستمر طويلاً، بل سرعان ماينقض اجتماعهم وتنفصم وحدتهم، فينقلب المتحالفون أعداء متحاربين[٢] .

ثم أن من أشهر ما عرف عن العرب طبيعة التنافس على الرياسة، وقل أن يسلم واحد منهم الأمر لغيره ، ولو كان أباه أو أخاه، أو كبير عشريته إلافى النادر، فيتعدد الحكام منهم والأمراء ، على نحو ماأشار إليه ابن خلدون قائلاً : «وتختلف الأيدى على الرعية فى الجباية والأحكام ، فيفسد العمران وينتقص، وانظر إلى ماملكوه من الأوطان من لدن الخليفة كيف تقوض عمرانه، وأقفر ساكنه»[٣] .

وهم من أصعب الناس انقياداً لبعضهم البعض، للغلظة والأنفة، وبعد الهمة والمنافسة فى الرياسة، فقلماتجتمع أهواؤهم، من أجل ذلك لايحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة[٤] .

ولم يتخل أهل الخليج العربى عن التعصب للقبيلة، ولا عن الحياة الاجتماعية

---

(١) من هذه القبيلة عبد الله بن إباض لسان الإباضية وأحد شيوخها وهو الذى سميت الفرقة نسبة له.

(٢) أحمد أمين، فجر الإسلام ص ٩ .

(٣) ابن خلدون، البيان والتبيين ج٣ ص ١٢٦.

(٤) ابن خلدون ، المرجع السابق ج٣ ص ٣٠٠.

الخاصة، أو عن نظرتهم إلى النظم الحكومية الجديدة عليهم ، حيث نظروا إليها فى كثير من الجفاء، وعدم التأييد واللامبالاة مفضلين عليها أنظمتهم العربية القبلية المحافظة من زعامة الشيوخ ورؤساء القبائل .

وقد كان للبداوة الغالبة على أهل الخليج العربى أثرها البالغ فى احتضان هذه المنطقة للحركة الإباضية، ويبدو أن دويلات الإباضية، وأئمتهم حين قامت دولهم فى الخليج العربى وبخاصة فى القرنين الثالث والرابع للهجرة قامت على أسس بدوية خالصة، وإن أخذت الإمامة عنواناً لها ، وقد تجاوب أهل الخليج مع الإباضية، خصوصاً سكان البحرين وعمان والتى تمسك أهلها تمسكاً شديداً بالإباضية بحيث أنه صار تاريخ عمان هو سيرة الإباضية .

٨ : طباع سكان مناطق الخليج العربى فى الاندفاع والحماسة والشجاعة إلى حد التهور،و المغالاة إلى حد التطرف:

يتسم سكان مناطق الخليج العربى بالاندفاع والحماسة الشديدة والشجاعة إلى حد التهور والمغالاة إلى حد التطرف فى أحيان أخرى، والاستهانة بالدنيا إلى أقصى حد دفاعاً عن رأى يعتقدونه، أومبدأ يدينون به .

وللطبيعة البدوية أثرها فى سكان مناطق الخليج العربي، حيث خلفت من مجموعهم نفوساً مؤمنة متعصبة ولكنها ضيقة العقول،و متهورة مندفعة لأنها نابعة من الصحراء ، وزاهدة فى الحياة[١] .

وهذه المغالاة وهذا التطرف إلتصقا بالحركة الخارجية طوال مسيرتها، وأصبح لاحديث عن الخوارج دون التحدث عن التهور والمغالاة والتطرف.

ويبدو أن الإباضية قد وجدوا فى هذه الصفات عند أهل الخليج الذين احتفظوا بصفاتها البدوية، وما صاحبها من تهور واندفاع ومغالاة وشجاعة فرصة سانحة لانتشارالمذهب الإباضى، بإعتباره مناوىء لحكومة الدولة الإسلامية آنذاك من أمويين وعباسيين

ومما لاشك فيه أن نفى جابر بن زيد واتجاهه إلى منطقة الخليج العربى، ونشره للمذهب الإباضى هناك، لم يكن محض صدفه، بل أنه من أهالى عمان، ويعرف عادات وتقاليد الناس فى تلك المناطق، إضافة إلى أن جابر بن زيد قد جاء بفكر إسلامى مستمد ومعتمد أساساً على القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم،ولا عجب فى ذلك خصوصاً وأن المذهب أو الفكر الإباضى أقدم من إسمه حيث

---

(١) محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٦١، ٦٢ (طبعة سلطنة عمان) .

اتصل أوائل الإباضية بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذوا عن الأصول الصحيحة[١] ، وهى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والحديث والإجماع .

لذا فإن إقتناعهم بالفكر الإباضى ، جعلهم يتمسكون به تمسكاً شديداً، يدافعون عن هذا الفكر الإسلامى ويحاولون نشره، حتى نجحوا فى تأسيس إمامة لهم فى عمان، كان لها فى القرنين الثالث والرابع للهجرة الدور البارز والهام فى أن تكون الركيزة الأساسية لحماية هذا الفكر والعمل على نشره ، ولاسيما فى بلدان الخليج العربى .

(١) سالم بن حمود السيابى، إزالة الوعثاء عن أتباع أبى الشعثاء ص ٦٩.

٩ : التطرف الجغرافى للخليج العربى، وبعده عن السلطة المركزية للدولة الإسلامية :

توضح المصادر التاريخية أن البيئة المكانية كان لها دور هام فى صنع بعض ملامح وتوجهات الفتن والثورات والحركات الخارجية، وهوما ينطبق على الحركة الإباضية، حيث نشأت وتطورت تلك الحركة، بل أنها نجحت فى تأسيس عدة دويلات فى مناطق متطرفة من الدولة الإسلامية كشمال أفريقيا وحضر موت واليمن وعمان.

فمع البدايات والحماسة للفتن والثورات كان العمل والنشاط فى القلب والمركز فى أقاليم الدولة الإسلامية فى العراق والبصرة والكوفة ثم تتحول بعد ذلك إلى الأقاليم الأكثر بعداً عن السلطة المركزية كشمال أفريقيا واليمن وعمان.

فكانت مطاردة الدولة لهم أشبه بالقوة الطاردة المركزية التى يعرفها العلماء اليوم، جعلتهم يبتعدون دائماً عن المركز ليذهبوا دوماً إلى الأطراف بعيداً عن متناول يد السلطة. ولكن دون أن تنقطع اتصالاتهم بمراكزهم الأولى، خصوصاً بعد أن بدأت الحركة الإباضية تميل إلى التوطن والهدوء بعد أن تبدلت الظروف السياسية والاجتماعية للدولة الإسلامية. ونتيجة لهذا التوطن فى أطراف الدولة الإسلامية والبعد عن مركز السلطة فى الدولة الإسلامية، أصبح مناصرى الفرقة الإباضية أقل تعرضاً للبطش والتعسف والظلم الذى كان أتباع الحركات المتطرفة الأخرى غالباً ما يلقونه من عمال السلطة المركزية، وأصبحت الفرصة سانحة للإباضية للتعبير عملياً عن تذمرهم من السلطة الحاكمة وطرح أفكارهم وآرائهم، ومحاولة إقناع الناس وكسب الأتباع الذين هم وقود الحركات وأساس نجاحها أو فشلها .

والواقع أن أطراف الدولة الإسلامية لم تكن وحدها مركزاً للثورات الخارجية ولكنها كانت ملجأ لها أكثر منها مركزاً [١] .

فقد كانت لهذه الثورات مراكز داومت على الانطلاق منها ، فكان مركز انطلاق الحركة الإباضية من البصرة حاضرة الخليج العربى ومركز الإشعاع العلمى آنذاك، ومنها ينشر دعاة الإباضية، ومنها يتلقى أتباع الإباضية فى جميع أنحاء الدولة الإسلامية التعليمات .

ويتضح أخيراً أن التطرف فى العقيدة ظهر أول ما ظهر بين البدو الذين ارتبطوا دائماً بالبصرة والكوفة اللتان تأسستا فى عهد عمر بن الخطاب لتكونا معسكرين للقوات الإسلامية على حدود فارس وما بعد فارس من أمصار ومواطن، لذا فضل العرب الإقامة فيهما جالبين إليها الغنائم الوفيرة .

وصار الخليج العربى بقبائله وشعوبه بذلك مركزاً صالحاً للحركات والثورات. وكان للطبيعة الجغرافية للخليج العربى أثر هام فى احتضان أهل الخليج العربى للحركة الإباضية والحرص عليها، ولذا فقد وجدت الحركة فى أرض الخليج العربى المهد اللازم لنموها وتطورها .

وتفاعلت بذلك عوامل كثيرة عند سكان منطقة الخليج العربى مع بعضها ومع الآراء الأفكار التى جاء بها رواد الإباضية وعلى وجه الخصوص جابر بن زيد، لتهيىء المسرح فى منطقة الخليج العربى لتقبل هذا الفكر الإسلامى، بل والتجاوب معه والأخذ والعمل به،مما أدى لانتشار الفقه الإباضى بين القبائل والشعوب التى كانت تقطن منطقة الخليج العربى، ونجاحها على امتداد القرنين الثالث والرابع للهجرة

(١) أحمد أمين، فجر الإسلام ص ٢٥٧.

على تحقيق الهدف الأسمى، وهو إنشاء إمامة إباضية «إمامة الظهور» فى عمان، التى غدت إلى اليوم الموطن الأم للإباضية .

* * *

الفصل الثانى

قيام الإمامة الإباضية فى الخليج العربى ودولتها فى عمان فى القرنين الثالث والرابع الهجريين

* * *

الفصل الثانى

قيام الإمامة الإباضية فى الخليج العربى

ودولتها فى عمان فى القرنين الثالث والرابع الهجريين

أولاً : مقدمات الكيان السياسى للإباضية فى الخليج العربى

ثانياً : إمامة الظهور الإباضية فى الخليج العربى ودولتها فى عمان فى القرنين الثالث والرابع الهجريين

١- انتقال قيادة الإباضية فى الخليج العربى من البصرة إلى عمان :

أ- قيام إمامة الظهور الإباضية فى عمان.

ب- انتقال عاصمة الإمامة الإباضية إلى مدينة نزوى.

٢- ازدهار دولة الإباضية فى عمان (١٧٧-٢٨٠هـ/ ٧٩٤-٨٩٣م) .

أ - أئمة الشراة.

ب- تأمين الدولة داخلياً وخارجياً .

٣- اضمحلال دولة الإباضية فى عمان (٢٨٠-٤٠٥هـ/ ٨٩٣-١٠١٤م) .

أ - أزمة الحكم الإباضى فى عمان.

ب- الأئمة المستضعفون (٢٨٠-٣٢٠هـ/٨٩٣-٩٣٢م)

جـ- أئمة الدفاع (٣٢٠-٤٠٥هـ/٩٣٢-١٠١٤م).

أولاً : مقدمات الكيان السياسى للإباضية فى الخليج العربى

يستند الكيان السياسى للإباضية وما دار فى فلكه من أحداث وتطورات فى منطقة الخليج العربى فى القرنين الثـالث والرابع للهجرة إلى تقاليد راسخة ومقومات ثابتة استقرت أوتادها فى مرحـلة الكتمان بالبصرة على عهد رواد الإباضية الأول منذ جابر بن زيد وخلفائه ودعـاتهم من حملة العلم حتى مطالع القرن الثـالث الهجرى.

فقد كونت تلك التقاليد والمكونات دستور الكيان السياسى للإباضية فى القرني الثالث والرابع الهجرى، كما غدت أيضاً علامات الهدى للأئمة الإباضية فى ممارسة الحكم وتوجيه دفة الأمور بين الناس.

وتتمثل تلك التقاليد الراسخة للإباضية ومقوماتها والتى جسدت الجانب السياسى للفكر الإباضى وفقهه أيضاً فيما يلى :

١ - اقرار الإباضية لمبدأ التقية الدينية وسيلة للإعداد للعمل السياسى الثورى :

ويعتبر اقرار هذا المبدأ نقطة هامة فى تنظيم الثورات والحركات الإباضية الذين استفادوا من استخدام «التقية الدينية» باعتبارها وسيلة للإعداد لبناء كيانهم السياسى ولم يكن مبدأ التقية الدينية واستخدامه من وضع الإباضية وإنما كان مبدأ من مبادىء الشيعة أجاد الإباضية استخدامه والإفادة منه فى تحقيق أهدافهم نحو إقامة كيانهم السياسى فى الخليج العربى .

ويشكل هذا التصرف من جانب قادة الإباضية فى إقرار مبدأ «التقية الدينية» استفادة جيدة من تجارب الحركات الثورية السابقة - من خوارج وشيعة .. لحفظ

«قوة الدفع» فى الحركة الثورية الإباضية.

ولعل استفادة الإباضية وقادتهم من تصرف الحركات السابقة عليهم يشكل دلالة مهمة إذ توصى بأن هؤلاء القادة لم يتصرفوا فيما تصرفوا دون تمحيص أو دراسة لما سبق من حركات ثورية، بل استفادوا منها أعظم استفادة، إذ علمتهم على الأقل إنشاء تنظيم قوى لايعرف الضعف حتى يتحمل ضربات السلطة القوية وويلاتها وهجماتها .

٢- الإلتجاء إلى الحسم والقسوة الشديدة احياناً لحماية التنظيم السياسى الإباضى :

فقد ألزم الإباضية أنفسهم بهذه القسوة وفرضوها على كل أتباعهم، حتى لايقعوا فيما وقعت فيه الحركات المماثلة من استهتار أساء إلى حركتهم.

وتورد المصادر الإباضية أمثلة كثيرة منع فيها بعض أتباع الدعوة من الدخول إلى المجالس التى عقدت من أجل الحركة، ومن ذلك ، ما يذكره أبو سفيان من أن شعيب بن عمر، وهو من أفاضل شباب أهل الدعوة، قد حاول دخول أحد مجالس المشايخ وكان منعقداً فى الليل فى بيت زوج أخته حاجب الطائى. ولما علم الأخير به رفض السماح له وطلب منه العودة إلى بيته الذى كان يبعد أكثر من ثلاثة أميال[١].

ولاشك أن هذه الملامح الرئيسية للتنظيم الثورى للإباضية، قد ساعد الحركة الوليدة فى الحفاظ على مصادرها البشرية، وفكرها المتقد، وتراثها الذى أرادت أن تشكل على أساسه كيانها السياسى.

---

(١) عوض خليفات، المرجع السابق ص٣٤.

٣- إجادة التنظيم الثورى :

حيث اتخذ عدة أشكال تمثلت فى عدد من المجالس السرية الثورية:

فقد كان لأبى عبيدة[١] الزعيم الإباضى الذى خلف جابر بن زيد فى قيادة الحركة الإباضية بالبصرة، فضل تطوير أعمال هذه المجالس السرية الثورية، بل وفضل إنشائها أصلاً.

وكانت هذه المجالس تقام فى البصرة، وتضم مشايخ الدعوة، وأتباعها حيث يتداولون فيها خططهم ويتعلمون فيها مبادىء عقيدتهم وكل ما يمت إلى دعوتهم بصلة سواء فى النواحى الدينية أم الدنيوية[٢] .

---

(١) كان أبو عبيدة زنجياً أسود اللون ، أعور فقيراً وكان يقتات بعمل السعف يصنع منها قفافاً فلقب بالقفاف، ، ولكنه كان سيد البيض بعلمه وعقله وفقهه. راجع عن أبى عبيدة مسلم: محمد على زبور، المغرب الكبير جـ٣ ص ١٥٠-١٥٣.

(٢) والحقيقة أن هذه المجالس السرية كانت موجودة منذ زمن مرداس بن أدية التميمى الذى تزعم حركة القعدة بعد معركة النهروان، أى فى أيام زياد بن أبيه وابنه عبيد الله. وتذكر الروايات أن عروة بن أدية، أخا مرداس ، قد قبض عليه وهو مختبىء فى سرداب سرى تحت الأرض حيث كان يتعبد مع أصحابه. ويذكر المؤرخ الإباضى أبو سفيان، أمثله أخرى تدل على وجود مثل هذه المجالس السريعة فى زمن مبكر من الدعوة، منها قوله : حدثنى يسار وهو من خيار من أدركت عن والدته، وهى تقارب الثمانين سنة . قال: أدركت أخوين من بنى راسب يقال لأحدهما بترح والأخر مازن إبنى كنان، وكانا من خيار من مضى من أهل هذه الدعوة . وكانا نظيرى أبى بلال وأخيه عروة رحمهم الله، وكان فى زمانهما ، فأما بترح فكان عابداً مصلياً لايفتر من العبادة حتى دبرت ركبتاه ويداه ورجلاه وجبهته كدبر البعير، وكان قد اتخذ سرداباً فى الأرض يعبد الله فيه مع أصحابه. أنظر : عوض خليفات، المرجع السابق ص ٣٥.

وقد روى أنهم كانوا يعيشون فى مغارات فى الأرض ، يضعون سلسلة على باب الغار الذى يدرسون ويتناقشون فيه، فإذا جاءهم أحد من الشرطة أو الجواسيس تتحرك تلك السلسلة، فيتركون ماهم عليه ويأخذون فى صنع القفاف، وإذاقيل لهم ما سبب وجودكم هنا ؟ أجابوا : «كامنين أنفسنا حتى لانسمع أو نرى شيئاً لايليق». انظر : سالم بن حمود السيابى، إزالة الوعثاء عن أتباع أبى الشعثاء ص ٥٧ ، ٥٨ و

انظر: محمود إسماعيل، الحركات السرية فى الإسلام ص ٣١.

ويمكن التمييز بين ثلاثة أنواع من المجالس السرية كالآتى :

(أ) : المجالس العامة :

وهى التى لم تكن مقصورة على جماعة معينة بل إن دخولها مباح لأى شخص من أهل الدعوة.

وكان الأعضاء يرتادون هذه المجالس التى تعقد سراً فى بيت أحد المشايخ وفى سراديب أرضية خاصة، أعدت لهذا الغرض.

وفى بعض الأحيان كانوا يعقدون هذه المجالس فى بيوت النساء العجائز، أو فى بيت الكرائين تجنباً للشبهات وإمعاناً فى الحيطة والحذر.

ولم يكن لهذه المجالس العامة برنامج معين أو خطة واحدة. بل كان الأعضاء يجتمعون فى المجلس ويتلقون دروساً فى العقيدة وإرشادات من كبار المشايخ الذين كانوا يقومون بإلقاء الخطب الواحد تلو الآخر حول موضوع معين أو مواضيع مختلفة.

وكان المتحدثون يتكلمون بصوت منخفض حتى لايسمعهم الجيران أو المارة، وكانوا يعينون أشخاصاً منهم لمراقبة الأحياء والطرق المؤدية إلى مكان الإجتماع.

ولم يترك الإباضية وسيلة لإخفاء تنظيمهم إلا واتبعوها وكانوا يتخذون كل الإجراءات الممكنة لمنع تسرب أية معلومات عن مجالسهم أو أماكن انعقادها، كما كانوا يذهبون لحضور هذه المجالس فى هيئة النساء فى النهار، وغير ذلك من وسائل التخفى.

وكان مشايخ الإباضية يحذرون أتباعهم من العيون والجواسيس ويوصونهم بطرد أى شخص يشكون فى أمره، ونتيجة لهذه الوسائل والإجراءات الحذرة التى اتبعها الإباضية لم يؤثر عنهم «أنهم ظفر بهم فى مجلس قط»[١] .

وكان مشايخ الإباضية البارزين يشرفون على هذه المجالس العامة، ولذلك فقد سمى كل مجلس باسم الشيخ المشرف عليه مثل مجلس عبد الملك الطويل، ومجلس أبى سفيان قنبر ومجلس أبى الحر على بن الحصين ومجلس أبى مودود حاجب الطائى وغيرها من المجالس .

(ب) مجالس المشايخ :

ويحضرها زعماء الإباضية فقط. وفى هذه المجالس تقرر السياسة التى يجب على أهل الدعوة اتباعها.

وكان مجلس المشايخ عبارة عن مجلس تخطيط وتنظيم لحركة ثورية سرية، ولايجوز لأحد غير الإمام وكبار المشايخ حضور هذه المجالس، فى أنهم كانوا يردون أصحاب الدعوة غير المسموح لهم بالدخول مهما كان إخلاصهم للدعوة.

(جـ) مجالس حملة العلم :

حيث كان الدعاة من مختلف الأمصار يتلقون العلم وأصول الدعوة وتعاليمها مباشرة من «إمام الكتمان» ، على نحو ما قام به الإمام أبو عبيدة بن مسلم بن كريمة التميمى، الذى أسس مدرسة لهذه الغاية فى سرداب أرضى لايعرفه إلا الدعاة (حملة العلم) وشيوخ الإباضية البارزين الموثوقين.

---

(١) عوض خليفات، المرجع السابق ص ٣٨.

وكان أبو عبيدة يتظاهر بصنع القفاف[١] ، لذلك دعى بالقفاف[٢] .

وبينما كان الإمام يلقى دروسة علي تلاميذه كان هناك حارس يجلس عند الباب الخارجى.

وكانت البصرة مركز الدعوة الإباضية فمنها يرسل الدعاة الذين عرفوا «بحملة العلم» إلى الأمصار وغيرها من بلدان الخليج العربى بعد تلقيهم أصول الدعوة، وتدريبهم على أساليب نشرها.

وكانت برامج إعداد الدعاة تدور حول عقائد المذهب مع الإلمام بكافة علوم العصر التقنية والعقلية، فضلاً عن تبصيرهم بفنون الإدارة وأساليب الحكم، وتلقينهم المهارات فى كسب الأتباع وترغيبهم فى اعتناق المذهب أو الفقه الإباضي، وتنظيمهم داخل فصائل وخلايا.

وبعد تأكد المشايخ من إعداد الدعاة إعداداً كافياً يزودون بالمال والمتاع للرحيل إلى مواطن نشر الدعوة، ومن هناك يباشرون مهامهم، كما يبعثون برسائلهم فى انتظام إلى شيخ التنظيم فى البصرة، ليقف على نشاطهم أولاً بأول، ومنه يتلقون الأوامر والنصائح فيما تواجههم من مشكلات، ولايخفى أن التنظيم الأم كان يبعث عيونه لمراقبة نشاط الدعاة ومعرفة مدى إخلاصهم وإلتزامهم بتنفيذ الأوامر[٣] .

---

(١) جمع قفه، وهى معروفة حتى الآن، عبارة عن سلال خشبية.

(٢) سالم بن حمود ، إزالة الوعثاء عن أتباع أبى الشعثاء ص٣٣.

(٣) محمود إسماعيل، الحركات السرية فى الإسلام ص٣١.

٤- إنشاء بيت مال خاص بجماعة المسلمين «الإباضية» بالبصرة :

وهدف بيت المال هذا استخدام موارده لمساعدة الدعاة والثوار الإباضية فى المناطق البعيدة .

وكانت موارد بيت المال تأتى من مصدرين :

أ . المصدر الأول : عبارة عن ضريبة فرضها الإمام على أتباعه فى البصرة، وتتفاوت حسب ثراء المكلف بها ودخله[١] .

ب- أما المورد الآخر، فكان يأتى من التبرعات السخية التى يدفعها أثرياء الإباضية. ويبدو أن التجار الإباضية كانوا من الأغنياء المعدودين، وكانت تجارتهم تتجاوز البصرة وماجاورها ، وتتصل عن طريق الخليج العربى إلى الصين والشرق الأقصى.

٥- تصنيف الإباضية (جماعة المسلمين)

على أساس أصل من أصول الفكر السياسى الإباضى الذى يعتبر «النهى عن المنكر والأمر بالمعروف»، وإزالة الظلم واجب على كل أفراد الأمة الإسلامية، ومن هذا التصور ترى الإباضية مواقف المجتمع الإسلامى الذى يتعاملون معه، وتصنيفها على النحو التالى :

(١) عوض خليفات، الأصول التاريخية للفرقة الباطنية ص٤٦.

أ - مجتمع الظهور :

وهو المجتمع الذى يشهد قيام الدولة بالمعنى السياسى المعبر عن السلطة الحاكمة والسيادة العامة والتنفيذ، كظهور الدولة الإسلامية الأولى فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أخر خلافة على بن أبى طالب.

وهذه الدولة لها جميع المقومات الأساسية، تأمر بالمعروف جهراً، وتنهى عن المنكر جهراً أيضاً، وتطبق حدود الله، وتعلن الحرب على المرتدين والكفار، وتحكم بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والظهور هو الأصل الذى يجب أن يكون عليه المسلمون[١] .

ب- مجتمع الدفاع :

وهو المجتمع الذى يقف دفاعاً يحارب عدواً داهمه، واحتل دياره، أو أن يقف ضد حاكم (إمام) عبث بمصير الأمة الإسلامية وانحرف عن تطبيق كتاب الله عز وجل، وفى هذه الحالة، فإن المجتمع مطالب بتعيين إمام من قبل الأمة الثائرة تجب عليهم طاعته.

وإذا زال القتال زالت إمامته وله الحق أن يرشح نفسه لإمامة المسلمين من جديد، ولكن فى ظل الدولة الفتية المنتصرة على حسب شروط الإمامة والتى أهمها الكفاءة والأهلية .

---

(١) على يحيى معمر، الإباضية بين الفرق الإسلامية ص٦٩و
انظر : أبوحفص عمر بن جميع، مقدمة التوحيد ص٧٤.

ب - مجتمع الشراة :

وهو المجتمع الذى يعلن الجهاد أمام السلطة الجائرة، وينذر فيه أربعون مسلماً فما فوق أنفسهم لله عز وجل. استشهاداً بقوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾ [١] .

وسموا شراة لأنهم اشتروا الجنة بأنفسهم ولايجوز لهم الرجوع إلى ديارهم حتى ينقصوا عن ثلاثة رجال، وهم فى جهاد دائم، حتى أن الصلاة تقصر فى ديارهم، إذا دعت الضرورة بالاجتماع فيها مع أنصارهم الذين يعملون داخل المدن وخارجها، لضرب مضاجع ومعاقل السلطة الجائرة وزعزعة هيبتها، حتى تشعر الأمة الإسلامية أن هناك قوة روحية إلهية أقوى وأشد من القوة المادية الحاكمة التى وصلت إلى الحكم عن طريق الوسائل اللاأخلاقية ، لأجل حب الرئاسة ومفاتنها .

٤- مجتمع الكتمان :

وهو المجتمع الذى لايساعد الظالمين، ويبتعد عن وظائفهم، ويرشد الناس إلى الخير العام وتهذيب نفوسهم عن طريق المساجد وجمعيات الدعوة الدينية التى تسعى إلى غرس فضائل الإسلام وقيمه الخلقية وتربية النشء تربية إسلامية سليمة، وهو المجتمع الذى يمارس أدنى درجات الجهاد[٢] .

(١) سورة البقرة: ٢٠٧.

(٢) بكير بن سعيد، دراسات إسلامية فى الأصول الإباضية ص ١١٠.

واستقرت التقاليد السالفة الذكر التى أرسى الإباضية قواعدها فى مرحلة الكتمان على امتداد القرنين الثالث والرابع للهجرة حيث نجح الإباضية - على هذه تلك التقاليد - فى إقامة «إمام الظهور» فى عمان بالخليج العربى مع نهاية القرن الثانى الهجرى ومطالع القرن الثالث الهجرى[(١)] .

* * *

(١) قامت «إمامة ظهور» فى عمان سنة (١٣٤-١٣٧هـ/٧٥٣-٧٥٦م) سميت بإمامة الظهور الأولى فى عمان، وبعد ذلك وعلى وجه التحديد فى (١٧٧هـ/٧٩٤م) قامت «إمامة ظهور جديدة» سميت بإمامة الظهور الثانية وهى الإمامة التى قضت عليها جيوش الدولة العباسية بقيادة محمد بن نور سنة (٢٨٠هـ/٨٩٣م) .

ثانياً: إمامة الظهور الإباضية فى الخليج العربى ودولتها فى عمان فى القرنين الثالث والرابع الهجريين

* * *

انتقال قيادة الإباضية فى الخليج العربى من البصرة إلى عمان

(أ) قيام «إمامة الظهور الإباضية» فى عمان:

يتمثل الكيان السياسى للإباضية فى الخليج العربى فى القرنين الثالث والرابع الهجريين فى «إمامة الظهور»(١) التى قامت دولتها فى عمان (سنة ١٧٧هـ/٧٩٤م)(٢) ، أى قبل بداية القرن الثالث الهجرى بثلاثة وعشرين عاماً، ثم

(١) «إمامة الظهور» كما سبق ذكره فى ص٢٢ : تعنى الانتهاء من فترة الكتمان والإعلان الرسمى والعلنى لإقامة كيان سياسى مستقل وهو الهدف الأسمى الذى كان يسعى إليه رواد الإباضية. فالإباضية كانوا يرون فى إقامة دولة لهم على رأسها الإمام هو تقليد لماكان عليه النبى صلى الله عليه وسلم بعدأن هاجر إلى المدينة المنورة وأقام دولة بها وأمر بالجهاد.

(٢) تعرف هذه المرحلة من إمامة الظهور فى مان (١٧٧هـ/٧٩٤م) باسم الإمامة الإباضية الثانية، حيث سبقها فى عمان قيام الإمامة الإباضية الأولى على عهد الإمام الجلندى سنة (١٣٤هـ/٧٥٣م ، وهى الدولة التى لم تستمر إلا عامين فقط حيث قضى العباسيون على تلك الإمامة (١٣٧هـ/٧٥٦م). ويلاحظ أن الإباضية قد أقاموا «إمامة الظهور» فى النواحى التالية: أ - فى حضر موت واليمن على يد عبد الله بن يحيى الكندى الذى اطلق على نفسه اسم طالب الحق وذلك فى سنة (١٢٨هـ/٧٤٧م) ، ولكن قضى بنى أمية على هذه الدولة الإباضية سنة (١٣٠هـ/ ٧٤٩م) . ب- فى بلاد المغرب حيث أقام أبو الخطاب الإباضى دولة فى المغربين الأدنى والأوسط سنة (١٤٠هـ/٧٥٩م) . وأقام الإباضيون بعد ذلك إمامة الظهور الثانية فى المغرب على يد عبد الرحمن بن رستم (سنة ١٦٠هـ/٧٧٧م) وهى الدولة التى قضى عليها الفاطميون (سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م).

امتد بها العمر إلى نهاية القرن الرابع الهجرى حين أطاحت بهذه الدولة الإباضية جيوش العباسيين التى استردت بلاد عمان وأعادت سلطان الخلافة العباسية عليها.

وتتميز هذه المرحلة من «إمامة الظهور» ودولتها فى عمان (١٧٧هـ/٧٩٤م) بأنها لم تكن تجسيدا فقط للفقه الإباضى وفكره السياسى في الحكم، وإنما غدت هذه الإمامة الإباضية أيضاً ودولتها فى عمان حجر الزاوية ومركز الثقل السياسى والحضارى للمذهب الإباضى ودعاته فى سائر أرجاء الدولة الإسلامية ، فى وقت زالت فيه جميع الدول الأخرى التى أسستها أئمة الظهور الإباضية سواء فى حضرموت واليمن أم فى بلاد المغرب العربى.

وبدأت مقدمات هذا المركز الجديد للإباضية فى عمان، ونشاطها فى الخليج العربى فى الربع الأخير من القرن الثانى الهجرى .

ذلك أن آخر أئمة الكتمان بالبصرة (١٧٠هـ/٧٨٧م) وهو «أبو سفيان ابن محبوب ابن الرحيل» انتقل إلى عمان فراراً من شدة الرقابة العباسية على البصرة وتضيقها الخناق على الإباضية فى هذه المدينة التى كانت مركز قيادة الدعوة السرية للإباضية فى الخليج العربى .

وكانت الأحوال فى عمان مهيأة لأن تنتقل إليها قيادة الدعوة الإباضية السرية بانتقال آخر أئمة الكتمان إليها وكذلك كان إباضية عمان يعملون على دفع الحركة الإباضية إلى الخروج من مرحلة الكتمان إلى مرحلة الظهور وتحقيق رسالة مذهبهم وأهدافها.

إذ تقاسمت عمان عند انتقال آخر أئمة الكتمان إليها ثلاث قوى هى : السلطات العباسية التى اقتصر نفوذها على المناطق الساحلية من عمان، وقوة القبائل العمانية التى سادتها المنازعات والخلافات عقب زوال الإمامة الإباضية الأولى (١٣٤هـ/٧٥٣م) وأخيراً قوة الإباضية الذين اعتصموا بالجهات الداخلية من عمان البعيدة عن بطش العباسيين وعمالهم.

ونجح «شيوخ» الإباضية وهم قادة الفقه والرأى فى استقلال هذه الأوضاع التى سادت عمان عند انتقال آخر أئمة الكتمان من البصرة إلى عمان، وأجادوا تعبئة القوى على اختلاف مشاربها وذلك عن طريق المكاتبات والمراسلات وتنظيم الدعوى الإباضية، ثم وضعوا الحشود التى جمعوها تحت قيادة أحد شيوخ الإباضية الأعلام وهو محمد بن المعلا الكندى وشنوا الحرب على أحد الزعماء الموالين للعباسيين فى عمان هو «راشد بن شاذان بن النظر بن الجلندى» وانزلوا به هزيمة ساحقة سنة (١٧٧هـ/٧٩٤م)[١] .

وترتب على هذا الانتصار الإباضى زوال سلطان العباسيين والموالين لهم أيضاً من آل الجلندى من عمان وإعلان «إمامة الظهور الإباضية» فى البلاد. «إذ لما تحقق المسلمون (أى الإباضية) من هذا النصر رجعوا إلى قلب عمان ليجتمعوا إلى إخوانهم أعمدة الإيمان، ويتناظرون وإياهم فى ذلك الشأن (أى الإمامة) فإنهم قاتلوا راشداً بلا إمام ولا سلطان وإنما كانوا جمهوريين يتبعون علمائهم[٢] .

وتم اجتماع الإباضية تحت قيادة شيخهم ورئيسهم إذ ذاك وهو «موسى بن أبى

(١) مجهول ، تاريخ أهل عمان ص ٥٦، و

سالم بن حمود السيابى، عمان عبر التاريخ ج٢ ص.١٠٠ (١٩٨٢ - سلطنة عمان) .

(٢) سالم بن حمود السيابى، نفس المرجع اسابق ص ١٠٠.

جابر الأزكوى» الذى قام بتوزيع المناصب في عمان على نحو ما استقرت عليه «مشورتهم» وذلك تجنباً للطموح الشخصى الذى كان يسيطر على قادة الإباضية نحو الوصول إلى الرئاسة وتم توزيع أولئك القادة على الأقسام الإدارية الرئيسية فى عمان، كما كان منهم محمد بن المعلا الكندى الذى نال ولاية صحار[١] وما ولاها (وهى منطقة الباطنة)، وتولى قائد آخر من الإباضية وهو محمد بن عبد الله بن أبى عنان اليحمدى مدينة نزوى وقرى الجوف[٢] .

واستطاع محمد بن عبد الله بن أبى عفـان اليحمدى أن يتغلب على نظرائه فى عمان وكذلك الأحلاف القبلية القائمة فى البلاد وأن ينفرد بالأمر ويصبح أول «أئمة الظهور» الدولة الإباضية فى عمان (١٧٧هـ/٧٩٤م) .

(١) تقع مدينة صحار على البحر (الخليج العربى) وهى العاصمة، ويقيم بها كثيرمن التجار الملاحين الذين يتاجرون فى السفن مع البلاد الأخرى وهى أكثر المدن العمانية تعداداً للسكان، وأكثر منها ثراء.

انظر : اندرو ويليامسون، صحار عبر التاريخ (طبعة سلطنة عمان، ١٩٨٢م) .

(٢) سرحان بن سعيد الأزكوى العمانى، تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأئمة ص ٤١، ٤٢ (الطبعة الثانية ١٩٨٦ - عمان) ، وسالم بن حمود السيابى، المرجع السابق ص١٠٠، ١٠١.

ب- انتقال عاصمة الإمامة الإباضية إلى مدينة نزوى :

صاحب قيام «إمامة الظهور الإباضية» فى عمان (سنة ١٧٧هـ/٧٩٤م) اتخاذ مدينة نزوى عاصمة دائمة للدولة الجديدة ومقراً للإمامة بدلاً من مدينة صحار وغيرها من المدن الأخرى التى تنقلت بينها الإمامة الإباضية أحياناً إذ رأى «المسلمون (أى الإباضية) تحويل عاصمة الإمامة من صحار إلى داخلية عمان فى مكان يكون صالحاً لاستقرار كرسى الرئاسة، لأن صحار كانت مهددة من أعداء عمان سواء من الداخل أم الخارج»[١] .

واتجهت أبصار الإباضية نحو مدينة نزوى لتكون عاصمة ومقراً للإمامة لأنهم وجدوها «أمنع لهم وأصون لزعامتهم وأقر لسلطانهم لأنها تقع فى داخل البلاد وعلى مقربة من النواحى الشرقية الأمنة وتبعد فى الوقت نفسه عن الغرب حيث كان غزاة عمان يأتون دائماً من الجانب الشمالى الغربى»[٢] .

واستقر رأى شيوخ الإباضية على أن يقيم الإمام فى مدينة نزوى، ولايخرج منها إلا للأمور الهامة ويستطيع بذلك إذا هاجم عدو البلاد أن يعد الإمام من مقره الآمن فى نزوى العدة لصد العدو، «وسد الثغور فى وجهه» وذلك تقديراً منهم لمكانةا لإمام وإعلاء شأنه ولأن الإمام «فئة قومه وإليه يلجأ الخائف»[٣] .

وصارت مدينة نزوى «كرسى الإمامة فى عمان» ومقر «بيت الإمامة» ويعلو شأن هذه العاصمة بعد انتهاء حكم مؤسس الدولة وهو محمد بن عبد الله بن أبى

---

(١) سالم بن حمود السيابى، المرجع السابق جـ٢ ص١٣٤.

(٢) سالم بن حمود السيابى المرجع السابق جـ٢ ص١٣٤.

(٣) سالم بن حمدو السيابى، المرجع السابق جـ٢ ص١٣٤.

عفان اليحمدى (سنة ١٧٩هـ/٧٩٦م)[١] حيث خلفه فى الإمامة فى مدينة نزوى الإمام الوارث بن كعب الخروصى الذى دخلت فى عهده دولة عمان الإباضية فى مرحلة مزدهرة بالقوة والحضارة.

* * *

(١) عبد الله بن حميد السالمى، تحفة الأعيان ج١، ٢ ص١١٤ (مكتبة الاستقامة، سلطنة عـمان).

ازدهار دولة الإباضية فى عمان

(سنة ١٧٧-٢٨٠هـ/ ٧٩٤-٨٩٣م)

(أ) أئمة الشراة:

بدأت «إمامة الظهور» ودولتها فى عمان تنعم منذ قيامها سنة (١٧٧هـ إلى سنة ٢٨٠هـ) بمجموعة من الأئمة العظام جرت بيعتهم طبقاً للفقه الإباضى «أئمة شراة».

والإمام الشارى هوأعلى درجات الإمامة عند الإباضية، فهو ينال البيعة من شيوخ الإباضية بالثقة المطلقة منهم جميعاً ويخص بإجماعهم على إمامته[١] .

وكان فى نزوى مقر الإمام وعاصمة الدولة «بيت للمشورة» يجتمع فيه أهل «الحل والعقد» من أهل العلم والرأى حيث يقومون تحت رئاسة كبير علماء الإباضية بالنظر فيمن هو جدير بأن تنعقد عليه بيعة الإمامة.

وكانت تتم مبايعة الإمام على أساس «الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر» و«على الشرى»[٢] فى سبيل الله عز وجل، وعلى إظهار الحق وإخماد الباطل، وعلى الجهاد فى سبيل الله، وقتال الفئة الباغية[٣] .

---

(١) مؤلف مجهول، تاريخ أهل عمان ص٧٥ و
انظر: سرحان الأزكوى ، المرجع السابق ص ٤٦.

(٢) الشرى : مصطلح يستخدمه الإباضية إستناداً إلى قوله تعالى : (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله).

(٣) سالم بن حمود السيابى، المرجع السابق ج٢ ص١٥٨ ، و
انظر : سيدة إسماعيل كاشف، عمان فى فجر الإسلام ص ٨٢ .

وكانت هذه البيعة هى أصل الإمامة وعليها يدور محور إمامة المسلمين منذ عهد الخلفاء الراشدين والمنوطة أعمالهم بشيوخ الإباضية وعلمائهم الذين هم «أهل الحل والعقد» وقامت هذه الجماعة بعد بيعة الإمام بمسئوليات عديدة تدور حول تقديم المشورة والنصائح للإمام ليكون دائماً على علم بما يدور فى دولته وعلى دراية كاملة بحركات «أهل الظلال» وأن يكون يقظاً لما تتطلبه الدولة من أعمال، هذا فضلاً عن قيام «أهل الحل والعقد» إلى جانب النصح بواجبات المراقبين بكل ما يطرأ على الدولة من أحوال وأن ينهضوا أيضاً بمهمة «الناظرين» فى سير الأعمال ومراعاة أمور الدولة والدين[١] .

(ب) تأمين الدولة داخلياً وخارجياً :

كانت أولى المهام التى اضطلع بها «أئمة الشراة» هو توفير- الأمن والأمان للدولة الإباضية الجديدة باعتبار أن ذلك هو القاعدة التى تقوم عليها سلامة الدولة وأداء رسالتها.

واجهت عناية أئمة الشراة بأعداد قوات الدولة البرية والبحرية على أسس جديدة واستراتيجية تكفل حرية العمل فى الداخل والخارج فى نفس الوقت حيث كان يتربص بتلك الإباضية الجديدة أعداء من بقايا المناوئين للإباضية فى البلاد فضلاً عن القوى الخارجية من عباسيين وغيرهم الذين كانوا يتطلعون للسيطرة على عمان ووأد قوة الإباضيين بها بعد أن تحقق لهم الانتقال من مرحلة الكتمان إلى مرحلة الظهور.

---

(١) سيدة إسماعيل الكاشف، المرجع السابق ص ٨٢ و
سالم بن حمود السيابى، المرجع السابق ج٢ ص ١٦٤.

واستند البناء الجديد للجيش الإباضى فى عمان على تنظيم القوات البرية[1] على أساس تنظيمها فى وحدات «سرايا» سريعة الحركة جيدة التدريب قادرة على مفاجئة العدو إلى جانب اعداد اسطول يضم سفنًا صغيرة «كان يطلق عليها اسم «القرف» وأخرى زوارق كان يطلق عليها اسم «شذاءات»، وكان فى مقدور هذه الوحدات البحرية الجديدة التصدى للسفن الكبرى «البوارج» التى كانت تهاجم أهل عمان من البحر، واثبت أئمة الشراة بذلك أنهم كانوا من أبناء عمان أصحاب الخبرة العالية بالبحر وركوبه وشئونه.

ووجه أئمة الإباضية جهودهم لتأمين دولتهم ضد الأخطار الخارجية التى تهدد الكيان الإباضى فى عمان وتمثلت جهود الأئمة فيما يلى :

أ- صد الجيش العباسى الذى بعث به الخليفة هارون الرشيد لاسترداد عمان التى كان يتولى إمامتها فى ذلك الوقت الوارث بن كعب الخروحى (١٧٩-١٩٢هـ).

وجاءت هذه الحملة العباسية فى أواخر سنة (١٩٢هـ/٨٠٧م) وتولى قيادتها ابن عم الخليفة نفسه وهو عيسى بن جعفر بن المنصور دلالة على اهتمام الخلافة

---

(١) استند اباضية الظهور فى اعداد قواتهم البرية على تراث الأمام الجلندى بن مسعود (الإمامة الأولى فى عمان) فقد رتب هذا الإمام «الشراة» وهم المحاربون مراتب عديدة منظمة فجعل الشراة كتائب وجعل لهم مراتب، فكان على كل مائتين من الشراة إلى ثلاثمائة وأربعمائة قائد من أهل الفضل والحجة والبصيرة والثقة والعلم والمعرفة والفقه الحزم والقوة. وجعل على كل عشرة من أصحابه مؤدب من أهل الفقه يعلمهم الدين ويؤدبهم بالمعروف ويبعدهم عن الظلال ويهديهم إلى ما فيه صلاح أمرهم. وأصبحت قوات الإمامة فى عمان على استعداد لمواجهة ما قد يهدد الدولة وأمنها.

العباسية باسترداد عمان، وكان الجيش العباسى يتألف من ستة آلاف مقاتل، فيهم ألف فارس وخمسة آلاف رجل «وبلغ العمانيين نبأ خروجه (أى الجيش العباسى) عليهم ليمحوهم من الوجود الإباضى[١] .

وبلغت أنباء هذه الحملة العباسية واتجاهها إلى عمان وصحار الذى كتب بذلك فوراً إلى الإمام الوارث حتى تتمكن الإمامة من الاستعداد لمواجهة هذاالخطر الكبير وقام الإمام بدوره بإعداد جيش من ثلاثة آلاف مقاتل جعل على قيادته خيرة رجال الإباضية هو «مقارش بن محمد اليحمدى» والتقى الجيشان الإباضى والعباسى شمال صحار وكان النصر حليف الجيش الإباضى واندحار القوات العباسية وهروب بعض أفرادها إلى السفن الراسية فى ميناء صحار ليتحصنوا بها ولكن نفراً من جند الإباضية أعدوا ثلاثة مراكب وهجموا بها على السفن العباسية ووقع فى أيديهم القائد العباسى عيسى بن جعفر أسيراً وحملوه إلى صحار.

وكان الإمام قد أعد قواته وخرج بها من نزوى إلى صحار حيث بلغته وهوفى الطريق أنباء انتصارات الجيش الإباضى على الجيش العباسى.

وانتهى الأمر بقتل القائد العباسى وتأمين الدولة الإباضية، وزاد من قوة انتصار الإباضية أن الخليفة هارون الرشيد قد توفى فى السنة التالية لتلك المعركة (سنة١٩٣هـ/٨٠٨م) ، وهو الأمر الذى حال دون استئناف العباسيين لحملاتهم على عمان.

ب- تأديب القراصنة الهنود الذين دأبوا على مهاجمة سواحل عمان وذلك على عهد الإمام غسان بن عبد الله اليحمدى (١٩٢-٢٠٧هـ/ ٨٠٧-٨٢٢م).

---

(١) سالم بن حمود السيابى، المرجع السابق ص١١٩.

وكانت إغارات القراصنة الهنود شديدة الخطر حيث عمدوا إلى انزال الرعب فى طريق المسلمين (الإباضية) البحري عند سواحل عمان، فكانت البوارج (السفن الكبيرة) التى تحمل القراصنة الهنود يقعدون باطراف عمان ويسلبون المارة وكل من خرج فى البحر ثم يهربون إلى ناحية فارس والعراق[١] ،حتى صارت النواحى الشمالية من عمان ومنها دبا وجلفار (رأس الخيمة) وماحولها من تلك الأطراف تعانى من تلك الهجمات من جانب القراصنة الهنود.

وشجع القراصنة الهنود على تكرار اغاراتهم على سواحل عمان الشمالية بعدها عن عاصمة الإمامة فى نزوى التى تقع بداخل البلاد، إذ كان الانتقال من نزوى إلى صحار على الساحل يتم «على الرواحل وعلى الأقدام وذلك يستدعى أياماً فى الطريق .. فمتى تصل الأخبار عنه (أى الساحل) إلى عمان الداخلية إلا بعد مدة لاسيما إذا كان المسير على الأقدام أوالرواحل العادية، فإذا كان الأمر مهماً فعلى الإبل المعدودة لهذا الشأن أو الخيل المهيأة لهذا المسومة عند أهل عمان»[٢] .

وبادر الإمام غسان إلى تنظيم قوة بحرية ذات زوارق خفيفة الحركة لضرب بوارج (السفن الكبيرة) القراصنة الهنود وهو أول من اتخذها من أئمة عمان، وذهب بنفسه إلى صحار وأقام بها ستة عشر يوماً استطاع خلالها أن يؤدب القراصنة الهنود بحيث «كلما جاؤوا إلى جانب (من ساحل عمان) وجدوا شراة البحرى (أى الإباضية) على استعداد تام، فألقى الله الرعب في قلوبهم فهربوا وانقطع فسادهم وزال بغيهم وعنادهم»[٣] .

---

(١) سرحان الأزكوى، المصدر السابق ص٤٣، ٤٤.

(٢) سالم بن حمود السيابى، المصدر السابق ج٢ ص ١٢٨.

(٣) سالم بن حمود السيابى، المرجع السابق ج٢ ص١٢٩ و
انظر : مجهول ، تاريخ أهل عمان ص ٦٠. و
انظر : سرحان الأزكوى، المصدر السابق ص ٤٤، ٤٥.

وحافظ الأئمة فى عمان من بعد غسان بن عبد الله اليحمدى على تلك القوة البحرية التى أعدهاهذا الإمام وأضافوا إليها قطعا بحرية أخرى حتى بلغ الأسطول الإباضى على عهد الإمام المهنا بن جيفر (٢٢٦-٢٣٧هـ/ ٨٤٠-٨٥١م)، أكثرمن ثلاثمائة بارجة حربية إلى جانب الزوارق خفيفة الحركة.

وكان يعزز هذه القوة البحرية قوات مرابطة فى العاصمة نزوى كان قوامها سبعمائة ناقة وستمائة فرس لتلبية أول نداء لمواجهة الخطر، وكانت بالعاصمة نزوى قوات إباضية أخرى برية بلغت عشرة آلاف مقاتل يخدمها تسعة آلاف مطية وهو الأمر الذى عزز تأمين الدولة الإباضية فى عمان.

ج - جهود الإمامة الإباضية فى تأمين الأراضى العمانية التى هاجمتها قوات الحبشة على عهد الإمام الصلت بن مالك الخروصى (٢٣٧-٢٧٣هـ/ ٨٥١-٨٨٦م).

وكانت الحبشة قد دأبت على إعداد أساطيل لها هاجموا بها سقطرى[١] أحد الموانى العمانية ، وذلك لبعد هذا الميناء عن العاصمة وصعوبة دفاع القوات الإباضية عن هذا الميناء غير أن والى سقطرى كان يتابع إغارات سفن الحبشة على سقطرى، وقد حدث أن إحدى تلك الإغارات الحبشية قد أنزلت الفزع بين أهالى سقطرى وبخاصة بين نسائها . فأنشدت إمرأة من سقطرى قصيدة بعثت بها إلى الإمام الصلت بن مالك تخبره بتلك الأعمال الوحشية التى نزلت بسقطرى جاء فيها:

(١) سقطرى : جزيرة مهمة من الجزر العمانية طولها ثمانون فرسخاً ويكثر بها النخيل والعنبر وتقع فى الطريق بين عمان والحبشة .

قل للإمــام الذى ترجى فضــائله ابن الكرام وابن الســادة النـجب

وابن الجحاجحة الشــم الذين هم كانوا سناها وكانوا سادة العــرب

أمست سقطرى من الإسلام مقفرة بعد الشرائع والفرقان والكتب[١]

وأعد الإمام الصلت بن مالك قوات برية وبحرية كبيرة فكانت لديه القوات التي سبق اعدادها على عهد أسلافه من الأئمة وكذلك السفن التى أعدها سلفة المهنا بن جيفر وكانت جملة المراكب الحربية التى أعدها الإمام الصلت لاسترداد سقطرى من الحبشة نحو مائة مركب هذا فضلاً عن القوات البرية التى ولى عليها قائدين من خيرة قادة عمان وهما: محمد بن عشيرة وسعيد بن شملال وزود القادة بتعليمات تعد امتداداً للتعليمات التى كان الخلفاء الراشدون يزودون بها قادة الجيوش عند خروجهم للغزو ويؤكدون فيها الالتزام بآداب الجهاد فى الإسلام حتى يكون الجهاد فى سبيل الله والدفاع عن الأرض والوطن[٢] .

واستطاعت القوات الإباضية البرية والبــحرية تنفيذ تعليمات الإمام الصلت ابن مالك بدقة واستطاعت استرداد جزيرة سقــطرى وأقاموا بها حامية تؤمن أرض تلك الجــزيرة «وثبـتت قواعد الشريعة على مبانيها وارتفع صوت عمان على ربوعها[٣].

(١) سالم بن حمود السيابى، المرجع السابق ج٢ ص١٩١.

(٢) انظر الملحق رقم (٢)

(٣) سالم بن حمود السيابى، المرجع السابق ج٢ ص١٩٤.

وكانت انتصارات جيش الإمام الصلت بن مالك إضافة إلى بقائه فترة طويلة فى «إمامة الظهور» سببًا فى حدوث أزمة فى نظام الحكم الإباضى (٢٧٨هـ / ٩١م) تركت أعمق الآثار فى البناء السياسى للإباضية فى الوقت الحاضر .

* * *

اضمحلال دولة الإباضية فى عمان

(٢٨٠-٤٠٥هـ/ ٨٩٣-١٠١٤)

(أ) أزمة الحكم الإباضى فى عمان :

تعرضت إمامة الإباضية فى عمان إلى أزمة خطيرة فى أواخر أيام الصلت الذى قضى فى الإمامة خمسة وثلاثين عاماً، من (٢٣٧هـ - ٢٧٣هـ) ، حتى وهنت قوته وضعفت قبضته على مؤيديه وأتباعه.

وهو الأمر الذى أفسح الطريق للتجمعات القبلية فى عمان إلى العمل على استعادة سلطانها مما فتح الباب لصراع مرير على السلطة بين المؤيدين مباشرة لحكم الإمام الصلت، وهم رجال الحلف القبلى من بنى يحمد الذين كانوا يستوطنون السهول الشرقية لمنطقة الجوف وبين قبائل الشمال التى كانت تمتد سيطرتها حتى الجانب الغربى من سلسلة الجبال فى المنطقة السفلى من الجوف (حيث العاصمة نزوى) ، وهى القبائل التى كانت فى ذلك الوقت مستبعدة من الحكم.

وفى عام (٢٧٣هـ/٨٨٦م) قامت مجموعة من رجال الدين الإباضية بزعامة شيخهم موسى بن موسى من أسرة بنى سامح (التى ظلت فترة مائة عام تقريباً تشكل العمود الفقرى لعملية انتخاب الأئمة) بخلع الإمام الصلت بن مالك وتنصيب راشد بن النظر إماماً[١] ، وهو ممن كانوا ينتمون إلى أحد الفروع القبلية ذات المنزلة

(١) مؤلف مجهول، تاريخ أهل عمان ص ٦٧ ، ٦٨ و
انظر : سرحان الأزكوى، المصدر السابق ص ٤٩.

العادية فى عمان.

وقد صاحب عزل الإمام الصلت بن مالك نقاش وجدل منذ أواخر القرن الثالث الهجرى دار حول القضايا الدستورية للإمامة، وهو الأمر الذى عجل بتعميق الخلافات السياسية فى عمان[١] .

وكانت هذه الفتنة بحق منعطفاً هاماً فى تاريخ الحركة لإباضية، حيث فجرت معالم الخلاف القبلى وقسمت عمان إلى معسكرين سياسيين، يعتمدكل منهما على ما توافر لديه من امكانات مادية وبشرية .

وزاد فى خطورة هذه الفتنة ومضاعفاتها اختلاف موسى بن موسى مع الإمام الذى نصبه، وهو راشد بن النظر، حيث برىء موسى بن موسى من الإمام راشد بن النظر، وفسقه وضلله، وثار عليه وعزله سنة (٢٧٧هـ/ ٨٩٠م) ، وغين بدلاً منه الإمام عزان بن تميم[٢] .

ولكن الخلاف ما لبث أن دب مرة أخرى بين موسى بن موسى والإمام عزان بن تميم الذى قام بعزل موسى بن موسى عما كان يتولاه من مناصب، وبخاصة منصب القضاء[٣] .

وبذلك اشتعلت نيران الفتن فى عمان وأهلها، حتى «صار أمر الإمامة بينهم لعبًا ولهواً وبغيًا وهوى، لم يقتنعوا بكتاب الله، ولا السلف الصالح من آبائهم وأجدادهم، حتى أنهم عقدوا فى عام واحد ست عشرة بيعة، ولم يفوا ببيعة واحدة

(١) ولسون ، المرجع السابق ص ٢٥.

(٢) مؤلف مجهول ، تاريخ أهل عمان ص ٦٨.

(٣) سرحان الأزكوى، المصدر السابق ص ٥٠.

حتى بلغ الكتاب أجله»[١] .

وتجلت خطورة هذه الفتنة حين اشتد بطش الإمام عزان بن تميم بأعدائه، إذ خرج نفر منهم وعلى رأسهم محمد القاسم وبشير بن المنذر[٢] ، من بنى سامة بن لؤى بن غالب وقصدوا البحرين، حيث كان عاملها إذ ذاك هو محمد بن نور، من قبل الخليفة العباسى المعتضد، وطلبوا منه المساعدة ضد الإمام عزان بن تميم. فأشار عليهما أن يذهبا إلى الخليفة العباسى ببغداد، ويذكرا له أمرهما ، وأنهما قدما يريدان نصرته، فسار محمد بن القاسم إلى الخليفة المعتضد، وكرر له الأمر، واستخرج منه لمحمد بن نور عهداً إلى عمان ورجع إلى البحرين وسلم محمداً بن نور أمر الخليفة بالزحف إلى عمان.

وقام محمدبن نور بجمع العساكر من سائر القبائل وبخاصة النزارية، وسار معه ناس من الشام من طيء[٣] ، وخرج يريد عمان فى خمسة وعشرين ألفاً من الجند، ومعه ثلاثة آلاف وخمسمائة فارس، وعليهم الدروع والجواشن وعندهم الأمتعة[٤] ، ووصل خبره إلى عمان التى اضطربت أحوالها حين وصلت إليها هذه الاستعدادات العباسية.

(ووقع بين أهلها الخلف، والعصبية، وتفرقت أراؤهم، وتشتت قلوبهم، فمنهم

---

(١) مؤلف مجهول ، تاريخ أهل عمان ص ٧٠، و
انظر : سرحان الأزكوى، المصدر السابق ص ٥٠، ٥١.

(٢) أى أنهم من نفس قبيلة موسى بن موسى.

(٣) طيىء ، بن أدد قبيلة عظيمة من كهلان من القحطانية تفرعت منهم بطون وأفخاذ .

(٤) مؤلف مجهول، تاريخ أهل عمان ص٧١ و
انظر: سرحان الأزكوى، المصدر السابق ص ٥٣.

من خرج من عمان بأهله وماله، ومنهم من أسلم نفسه للهوان لقلة احتياله، وخرج سلمان بن عبد الملك السلمى ومن اتبعه من عمان إلى هرمز، وخرج أهل صحار بأهلهم وأموالهم إلى شيراز والبصرة»[١] .

ثم قدم محمد نور بجنوده وعساكره وافتتح «جلفار» (رأس الخيمة حالياً)، وزحف على العاصمة «نزوى» نفسها، وقد تخاذل الناس عن الإمام عزان بن تميم[٢] ، مما مهد الطريق أمام زحف محمد بن نور إلى نزوى، وسلمت له نزوى، ثم مضى قاصداً (سمد الشان)[٣] فلحق بعزان بن تميم ودارت بينهماالحرب، وذلك يوم الأربعاء لخمس وعشرين من شهر صفر من سنة (٢٨٠هـ/٨٩٣م) فى معركة السمد[٤] .

فكانت الهزيمة على أهل عمان وقتل عزان بن تميم[٥] ، وخرجت عمان من يد أهلها، «ولم يغير الله ما بهم، بل غيروا ما بأنفسهم، وكان قتالهم وحربهم ونيتهم طلباً للملك، ورغبة منهم فى الرئاسة، ، وكل منهم يود أن يكون الملك بيده، أو بيد من مال إليه بوده، فسـلط الله من هو للملك أطلب منهم، وأفـسدوا دينهم فنزع الله عنهم دولتهم، فسـلط الله عليهم عدوهم، وكانت دولة الإباضية منذ ملكوها إلى أن خرجـت من أيديهم قد بلغت مائة سنة وثلاثًا وستين إلا شهراً واثنى عشر يـوماً»[٦] .

---

(١) مؤلف مجهول، تاريخ أهل عمان ص٧٢.
(٢) مؤلف مجهول، تاريخ أهل عمان ص٧٣.
(٣) سمد الشان، قرية في الأقليم الشرقى، على الجانب الأيسر لوادى سمد.
(٤) محمد أمين، المرجع السابق ص٢٨.
(٥) بعد مقتل عزان بن تميم فى معركة سمد (٢٨٠هـ/٨٩٣م) انتهت الإمامة الإباضية الثانية .
(٦) مؤلف مجهول، تاريخ أهل عمان ص٧٣.

وقد بعث محمد بن نور[١] برأس عزان بن تميم إلى الخليفة المعتضد ببغداد، ورجع إلي نزوى وأقام بها . وقامت ثورة مضادة للحكم العباسى قادها أحد الموالين للإمام المقتول، وهو «الأهيف بن همام الهنائى ، وخرج فى جيش جرار، وعسكر ضخم يبغى طرد عامل العباسين، وهو محمد بن نور من عمان. ودخل الفزع فى قلب محمد بن نور، وخرج هارباً من نزوى، وتبعه الأهيف بعساكره، وسرعان ما جاءت امدادات للجيش العباسى، ساعدت على إيقاع الهزيمة نهائياً بأهل عمان، وقتل قائدها وهو «الأهيف بن همام»[٢] .

ورجع محمد بن نور إلى نزوى، واستولى على كافة عمان، وفرق أهلها وعاث فى البلاد، وأهلك بقية الحرث والأولاد وجعل أعزة أهلها أذلة، وقطع الأيدى والأرجل والآذان، وسمل الأعين، وجعل على أهلها النكال والهوان، ودفن الأنهار، وأحرق الكتب، وذهبت عمان من أيدى أهلها[٣] .

وعاد محمد بن نور إلى ولايته بالبحرين، بعد أن جعل على عمان والياً من قبله هو أحمد بن هلال، ومقره فى «ببهلا»[٤] ، وآخر اسمه (بحيرة) ومقره فى العاصمةنزوى.

وتجلت أزمة الحكم الإباضى فى عمان بعد خلع الإمام الصلت بن مالك، ليست فى استعادة العباسيين لعمان فحسب، وإنما فى الجدل الخطير الذى دار بين علماء

---

(١) بعض الكتب تسميه محمد بن بور أو ابن ثور فى اختلاف باللفظ. انظر: (الطبرى، ابن الأثير وابن خلدون) .

(٢) سرحان الأزكوى، المصدر السابق ص ٥٥.

(٣) مؤلف مجهول، تاريخ أهل عمان ص ٧٤.

(٤) وتكتب أيضاً (بهلى) غربى نزوى بالداخل .

الإباضية أنفسهم، بحيث صار خلع الإمام الصلت هو المحور الذى كانت تدور حوله كتاباتهم نظراً لأن ذلك الحادث كان يمثل النظرية التى تقوم عليها عقيدتهم بالنسبة للعلاقات الدستورية التى تربط بين «الإمام والجماعة»، تماماً كما حدث إبان خلافة عثمان بن عفان، التى كانت منطلقاً لوضع الأسس النظرية للدولة فى الإسلام، ومن ثم كانت هذه الفتنة التى عقبت خلع الإمام الصلت بن مالك بمثابة رحلة بحث عن الحق عند الإباضية وعلمائهم، يجدر بنا أن نلقى عليها مزيداً من الضوء وذلك للأسباب التالية :

١- أن هذه الفتنة - رغم أهميتها - قد أسدلت كل المصادر التاريخية الإسلامية (عدا المصادر الإباضية) ستاراً عنيفاً من التجاهل والتناسى، - ولا نقول النسيان - لأن ما كان يحدث فى عمان من أحداث جسام لم يكن غريباً أن يسمعه كل من يسكن بقاع الدولة الإسلامية حينئذ .

٢- أن ما ذكر من الفتن لم يكن ليذكر تقديراً لأهل عمان أو تسجيلاً لأحداثهم، وإنما هو تسجيل لدور الخليفة العباسى، حينما شاء له أهل عمان أنفسهم أن يتدخل، فتدخل، وحينئذ أشارت المصادر التاريخية لما حدث فى عمان !

٣- إن أهم ما تم بحثه فى رحلة الفتن هذه فى عمان، واضطراب الأحداث، هو موقف المذهب الإباضى نفسه بالنسبة للأصول الإسلامية، فقد دار الجدل بين العمانيين حول التطبيق السليم لهذه الأصول الإسلامية، وبخاصة من حيث إباحة أموال المسلمين ودمائهم .

٤- أن الفتن الداخلية التى حدثت فى عمان قد تأثرت بالمحيط الخارجى كما أثرت هى بنفسها فى ذلك المحيط الخارجى أيضاً .

٥- إن عصر الفتن شاهد نفراً من ألمع الرجال، وإن كانوا رجال علم، وليسوا

رجال سياسة. فهم فكانوا جانباً مضيئاً فى تلك الفترة،وإن غاب فى زحمة الأحداث.

ومن المؤكد أن مسألة الخلاف على عزل الإمام الصلت بن مالك الخروصى قد أتخذت منذ أواخر القرن الثالث الهجرى، وخلال القرن الرابع الهجرى أيضاً شكلاً جدلياً بين العلماء فى عمان، وتجلى هذا فى كتاباتهم، وانقسمت عمان بعلمائها إلى حزبين كبيرين (مدرستين)[1] :

١- حزب أو فرقة أو مدرسة النزاونية (نسبة إلى نزوى) : وهو الحزب المؤيد لعزل الإمام الصلت بن مالك (المدرسة النزوانية) .

٢- حزب أو فرقة أو مدرسة الرستاقية (نسبة إلى رستاق): وهو الحزب المعارض لعزل الإمام الصلت بن مالك (المدرسة الرستاقية) .

(أ) المدرسة النزوانية :

وتدور أفكارها وأراؤها فى الفتنة حول ما يلى :

أ - أن حكم تقديم موسى بن موسى لراشد بن النظر على الصلت بن مالك هو حكم الدعوى المحتمل للحق والباطل، والخطأ والصواب .

فالإمام إذا لم تقم الحجة عليه فما تزول إمامته «بالعالمين» ، وموسى وراشد لم يظهر منهما فى تقدمهما على الصلت تكفير له يجب به خلعهما ، وإنما ادعوا عليه دعوى إن كانوا صادقين فهم محقون، وإن كانوا كاذبين فهم يبطلون، وفى ذلك دليل على احتمال صدقهما فى دعواهما أنه مسلم للمسلمين لما ضعف واعتزل عن الإمامـة.

---

(١) أبو بكر الكندى، الأهتداء ص ٩، ١٠

ب- اختلفوا بعد اجتماعهم على القول بالاحتمال لموسى وراشد فى تقدمهما على الصلت على هذه الصفة على قولين:

١- تصح إمامة الصلت، ولكن الصلت كبر فى السن حتى كان يتكأ على منأة معروضة على أكف الرجال .

٢- ويصح أيضاً تقديم راشد على الصلت ولايصح بغى راشد.

جـ- أن حكم اختلاف شاهدى الحدث فيه، وفى محدثيه، هو حكم اختلاف الدعاوى يحمل لكل فريق منهم على قول الصدق والكذب والحق والباطل، وهم بمنزلة المتداعين.

د- أن صفة هذا الحدث ليست بدعة، وإنما هى دعوى، حيث إن البدعة هى استحلال الحرام، وهذا لم يحدث إذ اعتزل الصلت الإمامة .

هـ- يصرون على أن الاختلاف بين أهل عمان حول :

هل الصلت أعلن اعتزال الإمامة أم لا ؟

و - يقولون إن تقديم إمام على إمام يجوز لمن علم بزوال إمامته فى السريرة ولو لم يظهر ذلك، أو أن الإمام (محجور) حتى يشهر ذلك.

ز- أن الصلت لم يصح عنه بإجماع نكير على موسى وراشد حين تقديمهما عليه، وقد ترك نكيرة عليهما اعترافاً بصوابهما وحقهما.

ح- إن من أسباب تقديم موسى وراشد على الصلت :

١- ضعف وعجز الصلت عن القيام بمهام الدولة .

٢- أن موسى من أعلام المسلمين فى عصر الصلت.

٣- أن موسى وراشد لم يكفرا الصلت .

٤- أن موسى وراشد قد وطئوا أثر الصلت، واستعملوا عماله ولم يخطئوه، وهذا يؤكد عدم نكير الصلت لهما فى تقدمهما عليه.

ط- إن الصلت أرسل إليهم شارات الإمامة ومنها الخاتم ومفاتيح الخزانة[١] .

(٢) المدرسة الرستاقية : (مؤيدو الإمام الصلت بن مالك)

وأهم أفكارها هى :

أ - أمر الله أن نتبين الخبر من الفاسق وذلك حتى يصح التخصيص.

أما اختلاف الرأى: فالمهم أنه لم يأت فيه بعينه من الأصول الثلاثة وهى : الكتاب والسنة والإجماع.

ب- أن حكم تقديم موسى لراشد على الصلت قبل ظهور السبب الموجب لزوال إمامته بالشهرة التى يستوى فيها الخاص والعام من رعيته ، حكم «البدع» لايحتمل الحق بوجه من الوجوه.

ولذلك فإن راشداً بن النظر هو المستحق لضرب العنق، لأن الصلت إمام بإجماع فى حكم الظاهر.

وقول موسى وراشد أن الصلت سلم الإمامة للمسلمين واعتزلها، وإن خرج مخرج الدعوى، واحتمل الصدق والكذب، فإنه غير تقدمهما عليه، وهذا التقدم غير

---

(١) أبو بكر الكندى، الاهتداء ص. ١٠٠ - ١٣٥.

قولهما أنه سلم وإعتزل، فالعلة هنا تقدمهما على إعلان التسليم والاعتزال، وبذلك فهما مبتدعان.

جـ- إن اختلاف المشاهدين للحدث، ومحدثيه، جاء على ضربين:

١- اختلافهم فيما تزول به إمامة الصلت.

٢- اختلافهم فى حكم تقديم موسى لراشد وولايتهما عليه وبراءته منها .

أما اختلافهما فى أن الصلت تبرأ من الإمامة واعتزلها، فهو ليس مقبول على الصلت، لأن الإمام إذا ثبتت إمامته بإجماع لم تزل إلا بإجماع.

وإنما الخلاف فى ولاية فريق منهم لموسى وراشد وتصويبهما وخروجهما عليه قبل ظهور ما ادعوا عليه بالشهرة، وبراءة فريق منهما وتخطئتهم لهما على ذلك، فهذا حكمه حكم اختلاف لايحتمل الحق بوجه من الوجوه، والمحق من هؤلاء هم المتبرءون من موسى وراشد.

د- إن الحدث على الصفة التى عليها اتفاق الطائفتين هى صفة موجبة للبدعة.

هـ- يصرون على أن اختلاف أهل عمان لم يكن حول: أن الصلت اعتزل الإمامة أم لا. ولكن الخلاف حول : التقديم علي الصلت قبل شهره زوال إمامته فى مملكته.

لأن القائلين بأن الصلت تبرأ من الإمامة لو لم يتقدموا عليه ولا صوبوا المتقدمين عليه، لما قال أحد أنهم مخطئون .

و - لايجوز عزل الإمام لمن علم بزوال إمامته فى السريرة، ولو لم يظهر ذلك .

ومن قال بهذا خرج من قول الإباضية .

ز - إذا سلمنا أن الصلت لم يصح منه نكير على موسى وراشد فى تقدمهما عليه، لايحتمل به حقهما ولايبيح لهما التقديم عليه، إلا بعد صحة عند الرعية أولاً فى حكم الظاهر بالشهرة .

ح - أن الأسباب التى يستندون إليها فى تقديمهما على الصلت بدعة وهى :

١- ضعف الصلت ووهنه فلا دليل على صحة هذا القول بإجماع .

٢- إن كان موسى من أعلام المسلمين فالأعلام محجور عليهم التقديم على الإمام ما كان ثابت الإمامة فى حكم الظاهر .

٣- أن موسى وراشداً لم يكفرا الصلت، فلا دليل على صحة إدعائهم فى احتمال الحق لهم فى خروجهما على الصلت.

٤- أن توطئة أثر الصلت واستعمال عماله فإن هذا لايعلل الخروج على الأئمة والعقد عليهم فى حال ثبوت إمامتهم فى حكم الظاهر .

٥- إن عدم وجود نكير مجتمع للصلت على صحته، كما اجمع على صحة تقدم موسى وراشد لايحل لهما التقدم عليه .

٦- إن انفاذ الصلت للكمة والخاتم ومفاتيح الخزانة لادليل فيه على احتمال حقهما فى عقدهم عليه فى حال ثبوت إمامته فى حكم الظاهر، إذ وقع هذا بعد خروجهما عليه .

والواقع أن هذه الفتنة كان لها فى عمان وشعبها أبلغ الأثر إذ هى التى سببت الفتنة مرتين :

أ - عندما وقعت الأحداث نفسها .

ب- حينما تحول الحدث إلى سبب فتنة دائمة انشغل بها الناس وانقسموا على أنفسهم.

حتى إنه يبدو واضحاً وجلياً أن عمان ليست هى عمان قبل هذه الفتنة وتطور تلك الأحداث بين موسى وراشد وأنصارهما من جهة والصلت وأنصاره من جهة أخرى، أو قل عمانيين، عمان النزوانية بعلمائها وآرائها وأئمتها أحياناً، وعمان الرستاقية بعلمائهاوآرائها وأئمتها أحياناً أخرى وهذه غير تلك.

الأمر الذى أضعف شوكة الحكم الإباضى أشد إضعاف، وما أن قامت الإمامة حتى زالت مرة أخرى .

ويلاحظ أن المدرسة النزوانية، قد اتخذت شكل الاعتدال وعدم التطرف والمرونة.

واتخذت المدرسة الرستاقية شكل التطرف والتشدد (حتى فى أمور أخرى غير ما يمس جوهر الاختلاف بينهما، وهو حدث موسى بن موسى وراشد بن النظر من جهة والإمام الصلت من جهة أخرى) .

وطوال أزمة الإمامة حافظ حزب نزوى على مواقف الاعتدال التى كان يتخذها، وكان أعضاؤه من الملتفين حول شخصية مهمة هى شخصية:

محمد بن محبوب بن الرحيل: (ت ٢٦٠هـ - ٨٧٣م) .

وهو من أبرز علماء عمان، وظل كتابه (الرئيس) باقياً، وسر تأثيره (وبالتالى استفاد حزب نزوى من هذا التأثير) ، وينحدر من أسرة عريقة لها مكانتها الدينية حيث يتصل ابن الرحيل بمنابع الحركة الإباضية صلة قديمة تعود إلى باكورة الإسلام، ومنذ أن كان جده سيف بن هبيرة أحد فرسان النبى صلى الله عليه وسلم، وأحد أفراد قبيلة مخزوم بن كعب بن لؤي[١] . لذلك كانت قبيلته معروفة فى عمان.

ولكن أسرة ابن الرحيل لم تحاول استغلال مكانتها فى أغراض سياسية بل على العكس كانوا من غلاة المعارضين للإمامة الوراثية، واتخذوا موقف الحياد فى المنازعات القبلية، كما أنهم بفضل من أنجبوا من أساطين العلم ورجال الدين قد تبوءوا مركزاً هاماً فى المجتمع العمانى[٢]

ويقف إلى جانب محمد بن محبوب بن الرحيل ودوره فى مدرسة نزوى العالم أبو سعيد الكدمى» (القرن الرابع الهجرى - العاشر الميلادى) ، وهو مؤرخ إباضى، وتنبع أهميته أساساً من سمتين أساسيتين فى مؤلفاته :

أ - أنه قد أرخ لعلماء مدرسة نزوى وأئمتها تأريخاً دقيقاً.

---

(١) ولسون ، عمان تاريخ وعلماء ، ترجمة محمد أمين عبد الله ص ٥٣.

(٢) وقد كان للاتجاه المعتدل لاتباع مدرسة نزوى دور هام فى إعطائهم كلمة مؤثرة فى عملية بعث الإمامة فى عمان، وكان الرأى العام وقتها لايزال حاداً، مماحال بين معظم القبائل واتخاذ موقف موحد حيالها. وبقيت هناك معلومات تمثل وجهة نظر أصحاب مدرسة نزوى مسجلة فى كتاب «السيرة» لأبى عبد الله بن روح، وهو من سكان «سمد»، وقد كانت مدرسة نزوى فى ذلك الوقت مركز الاتجاه المحايد من حيث بدأ أبو عبد الله (نبهان بن عمان) فى محاولاته لإحياء الإمامة. انظر : ولسون، المرجع السابق ص ٥٥.

ب- أن تأثير أفكاره المعتدلة قد هيأ الفرصة لانتهاج تلك الطريقة التى تميزت بها الحركة الإباضية فى باكورة عهدها، ويعود الفضل أساساً إلى آراء أبى سعيد الكدمى فى التغلب على الصعاب التى تجمعت مع نهاية القرن الثالث للهجرة، وتحويلها لمصلحة عمان، وفى الحفاظ على «الإمامة مؤسسة للحكم فى البلاد»، وصار الفضل يعود إلي مرونة أصحاب مدرسة نزوى فى نجاح الإباضية فى تطوير نوع من نظم الإمامة التى تبلورت بعد أزمة الحكم على عهد الإمام الصلت بن مالك، وهيأت للإمامة البقاء حتى العصر الحاضر.

* * *

(ب) الأئمة المستضعفون (٢٨٠ - ٣٢٠هـ / ٨٩٣-٩٣٢م) :

دخلت الإمامة الإباضية فى عمان فى مرحلة خطيرة من حياتها بعد أن تغلبت جيوش العباسيين بقيادة محمد بن نور على آخر أئمة الشراة وهو الإمام عزان بن تميم وقتله سنة (٢٨٠هـ/٨٩٣م) فى موقعة سمد.

وكان قوام هذه المرحلة هو تنصيب أهل عمان لنفر من الأئمة لم يكن سلطانهم شاملاً لكل عمان وإنما كان يقتصر على ناحية دون أخرى أو مدينة دون أخرى فضلاً عن أنهم لم يكونوا سلسلة متصلة الحلقات وإنما كانت توجد فترات من «الشقور» لايوجد بها إمام هذا فضلاً عن أن التوفيق «لم يكن حليفهم ولا العدل نصيرهم ولا الاستقامة دعامتهم»[١] .

وكان يطلق على هؤلاء الأئمة اسم «الأئمة المستضعفين»، حسب قواعد الفقه الإباضى. وهى تعنى بالإمام الضعيف هو الإمام الذى يكون بحاجة إلى مشورة علماء المسلمين وفقهائهم وغالباً ما كان الناس لايلجأون إلى مثل هذا الإمام الضعيف وإنما كانوا يلجأون إلى كبار العلماء لحل مشاكلهم[٢] .

وكان أول أولئك الأئمة المستضعفين هو محمد بن الحسن الذى أقام فى العاصمة نزوى (٢٨٢هـ/ ٨٩٥م)، وقد عجز هذا الإمام عن مواجهة السلطات العباسية وعمالها فى العاصمة وغيرها من أرجاء عمان وقد جرى الأمر سجالاً بين هذا الإمام وعمال السلطة العباسية وهو أمر صار سمة للأئمة المستضعفين وأعمالهم.

---

(١) سالم بن حمود السيابى، المرجع السابق ج٢ ص٢٩٨.

(٢) مؤلف مجهول، تاريخ أهل عمان ص٧٦ و
سالم بن حمود السيابى، المرجع السابق ج٢ ص٢٩٨.

فكان الحاكم العباسى فى عمان وهو ما أطلق عليه الإباضية لقب «السلطان» - وهو لقب يحمل فى عرف الإباضية الظلم والجور - حين يأتى إلى العاصمة نزوى لجباية الأموال المقررة على أهلها كان الإمام يعتزل بمعنى أنه يعتزل بيت الإمامة ويذهب إلى منزلة الشخصى فى العاصمة نزوى، وحين يخرج السلطان من العاصمة يرجع الإمام إلى بيت الإمامة حيث تكون إمامته اسماً دون معنى.

وقد صار نفر من أولئك الأئمة المستضعفين أحياناً عمالاً «للسلطان» وهو الحاكم العباسى نفسه[١] .

وكان المسيطر على عمان زمن الأئمة المستضعفين أسرة «بنى سامة بن لؤى» الذين عهدت إليهم السلطات العباسية بتصريف شئون عمان فكان «بنو سامة» يستهينون بأولئك الأئمة المستضعفين حتى إنهم كانوا يقولون «للسلطان العباسى» حين يدخل نزوى:

«اتركه (أى الإمام) فى مكانه إسماً وأنت معنى، ولا تخش منه شيئاً فإنه لم يكن بيده أمر من أمور الدولة»[٢] .

وزاد فى سوء أحوال الأئمة المستضعفين تكالب «بنى سامة» على الزعامة فى عمان، «فكانوا عائلة تتهارش على ملك عمان وهم يلقبون أنفسهم سلاطين»[٣] .

ويعملون دائماً فى الوقت نفسه على طمس شخصية الأئمة المستضعفين برغم عجزهم وخلوهم من أى معلم من معالم السلطة.

---

(١) سالم بن حمود السيابى، المرجع السابق ج٢ ص٢٩٨.

(٢) سالم بن حمود السيابى، المرجع السابق ج٢ ص٣٣٠.

(٣) سالم بن حمود السيابى، المرج السابق ج٢ ص٣٣١.

وتجلت هذه الظاهرة من الاستكانة والعجز عند الأئمة المستضعفين على عهد أحدهم وهو «عمر بن محمد بن مطرف الحدانى» ، والذى اعتزل بيت الإمامة حين سيطر «بنو سامة» على شئون العاصمة نزوى.

وقام إمام آخر من الأئمة المستضعفين وهو «محمد بن يزيد الكندى» باعتزال الأمامة حين دخل نزوى «سلطان بنى سامة»، وأصبح هذا الإمام بهروبه متخلياً عن إمامته.

وعزز «بنو سامة» سلطانهم واستعلاءهم على الأئمة المستضفعين حين باتخذهم قوات دائمة لهم داخل العاصمة نزوى وخارجها.

وأصبح السلطان من «بنى سامة» إذا دخل نزوى تخرج الأمامة من العاصمة كلها وتصبح لاشيء أما حينما يخرج السلطان فإن الإمامة تبرز من مخبئهاوتعلن عن أمرها، بحيث صار الذى بيده الحل والعقد هو السلطان والذى له اسم الإمامة لايهتم السلطان بأمره ولا بشأن وجوده[1] .

وبلغ هوان الأئمة المستضعفين أقصاه على عهد الإمام الحكم بن الملا البحرى الذى وصفه أحد الإباضية قائلاً : «لانعلم أن إماماً كان من أهل القبلة قبله فى الضعفة والوهنة، مسلماً ولا مجرماً»[2] . فلم يكن لهذا الإمام حول ولا طول أمام قوة بنى سامة.

---

(١) سالم بن حمود السيابى، المرجع السابق ج٢ ص٣٠٢ و انظر : مؤلف مجهول، تاريخ أهل عمان ص ٧٧.

(٢) سالم بن حمود السيابى، المرجع السابق ج٢ ص ٣٠٢ و انظر : مؤلف مجهول، تاريخ أهل عمان ص ٨٠.

وزاد فى خطورة مرحلة الأئمة المستضعفين فى عمان هجوم القرامطة[١] على تلك البلاد ، بعد أن اشتدت شوكتهم فى البحرين وقاموا بانتزاع الحجر الأسود من مكة سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م) . وكان الصراع حينذاك فى عمان على أشده بين الأئمة المستضعفين وبنى سامة من جهة وبين بنو سامة بعضهم ببعض من جهة أخرى.

وقد لجأ بعض المتنازعين على السلطان من بنى سامة إلى القرامطة فى البحرين وطلبوا منهم المساعدة وذلك على عهد «أبو طاهر القرمطى» الذى قد اقتلع الحجر الأسود من مكة (سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م) وفى نفس السنة دخل القرامطة عمان تحت ستار مساعدة بنى سامة وكان هذا فى عهد أحد الأئمة المستضعفين وهو «عمر بن محمد بن مطرف الحدانى» ، الذى اعتزل بيت الإمامة حين تخاذل عنه الناس لصد القرامطة لأنه رأى «التخاذل من قومه وأن شأنهم التغلب والتلاعب عندما يجدون من الغير ما يحبون»[٢] .

(١) حركة القرامطة حركة هدامة، ذات طابع سياسى اجتماعى اقتصادى، اتخذت من الدعوة الإسماعيلية قناعًا تسترت خلفه، نسبت إلى أحد زعمائها وهو حمدان بن الأشعث الملقب بقرمط. ظهرت دعوتهم فى الكوفة وجنوب العراق بعد منتصف القرن الثالث للهجرة، وامتدت دعوتهم إلى اليمن والشام والبحرين وعمان. وفى سنة ٣١١هـ غزا القرامطة البصرة،وقطعوا الطريق على حجاج بيت الله الحرام. ثم قاموا سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م) بغزوتهم الشهيرة التى نهبوا فيها مكة وهتكوا حرمتها واختطفوا الحجر الأسود ونقلوه معهم إلى الأحساء.

وقد أحدث القرامطة هزة عنيفة فى جسم الدولة الإسلامية حتى حلت بهم الهزيمة فى العراق (سنة ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م) ، وهى نفس السنة التى شهدت أيضاً نهاية نفوذهم فى عمان، على قول ابن خلدون فى مقدمته، والطبرى، تاريخ الطبرى والمسعودى، مروج الذهب، وابن الجوزي، المنتظم ، وابن الأثير، الكامل فى التاريخ .

(٢) مؤلف مجهول، تاريخ أهل عمان ص٧٦ ، و

انظر: سالم بن حمود السيابى، المرجع السابق ج٢ ص ٢٩٢.

وظل القرامطة فى عمان يسيطرون على الأمور من دون الأئمة المستضعفين حتى اضطروا إلى مغادرة عمان فى أيام الإمام أبى محمد عبد الله بن محمد بن أبى المؤثر وذلك (سنة ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م) ، فقد شجع هذا الإمام على الهجوم على القرامطة وإخراجهم من عمان وزوال سلطان القرامطة على يد أهل الأحساء، وقد قام هذا الإمام بحرق بيوت القرامطة إمعانًا فى طردهم نهائياً من عمان، وقد استشهد فى إحدى معاركة مع القرامطة (وقعة الغشب) من الرستاق[١] .

وقد ترتب على هذا النصر الإباضى على القرامطة قيام مرحلة جديدة فى تاريخ الأئمة الإباضية فى دولة عمان حيث انتقل أولئك الأئمة من مرحلة الضعف إلى مرحلة العمل على استرداد سلطانهم الفعلى فى عمان[٢] .

* * *

(١) سالم بن حمود السيابى، المرجع السابق ج٢ ص ٢٩٨، ٢٩٩ ، و
انظر : مؤلف مجهول، تاريخ أهل عمان ص٨٢ و ٩٠، و
انظر : سرحان الأزكوى، المصدر السابق ص ٦٢.
(٢) سالم بن حمود السيابى، المرجع السابق ج٢ ص ٢٩٩.

(ج) أئمة الدفاع : (٣٢٠-٤٠٥هـ/ ٩٣٢-١٠١٤م) :

انتهت مرحلة الأئمة المستضعفين حين ولى الإمامة فى عمان (سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م) الإمام سعيد بن عبد الله الرحيل ، حيث قامت بيعته على الدفاع لا على الشراة: ذلك لأن «الجور والظلم والفوضي أحاطت بعمان من كل جانب فكان غاية الأمل فى ذلك الحال الدفاع عن البيضة وحماية الحوزة (أى الدفاع عن الأهالى) من هجوم الأعداء ومطاردتهم عنها »[١] .

وكانت الإباضية يلجأون إلى اختيار «إمام الدفاع» فى الظروف الحرجة الصعبة، حيث يختاره أعلام القوم، ليلم الشعب ويوحد الصفوف ويقودهم إلى المعركة، وربما لاتتوافر فيه كل الشروط الواجب توافرها فى الإمام، وبعد القضاء على الخطر ينظر فى إمامته فإما أن يبقى وإما أن يطلب منه الاعتزال[٢] .

وتجلت قوة أئمة الدفاع فى أداء رسالتهم لحماية عمان وأهلها حين تصدى الإمام سعيد بن عبد الله الرحيل لأحد الطغاة من أسرة آل وجيه، وهو -إذ ذاك- يوسف وجيه، فكان هو وأسرته «أعمدة جور وظلم تسلطوا على عمان ببني العباس»[٣] .

وكان يوسف بن وجيه قد سيطر على معظم أرجاء عمان واتجه إلى نزوى للاستيلاء عليها والإطاحة نهائياً بالإمام الجديد سعيد بن عبد الله وقد دارت المعركة فى شمال نزوى وانتهى الأمر بهزيمته (سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م).

---

(١) سرحان الأزكوى، المصدر السابق ص ٦٤، و
انظر : سالم بن حمود السيابى، المرجع السابق ج٢ ص ٣١٧.
(٢) مؤلف مجهول، تاريخ أهل عمان ص ٧٦، و
انظر : سالم بن حمود السيابى، المرجع السابق ص ٣١٧.
(٣) سالم بن حمود السيابى، المرجع السابق ج٢ ص٣١٩.

ومما يجدر ذكره هنا أن الإمام سعيد بن عبد الله بعث بكتاب إلى يوسف بن وجيه قبل المعركة ينصحه فيه - جرياً على قواعد الفقه الإباضى والتى جرى عليها العرف الإسلامى أيضاً - على العمل على حل المشاكل سلمياً أولاً وإن تعذر فالقتال.

فكشف الإمام فى كتابه ليوسف بن وجيه الغاية من الحروب وعن عمل المسلمين فى حرب أعدائهم وأنه إذا كف عن معارضة الإباضية فليس لهم رغبة فى معارضته وهو مالم يدركه يوسف بن وجيه وانتهى الأمر بهزيمته على يد الإمام سعيد بن عبد الله الذى «ملأت هيبته عمان وأشرق فيها نور العرفان»[١] ، بعد نجاحه فى أداء مهامه فى حماية عمان باعتباره إماماً من أئمة الدفاع[٢] .

وقد لقى الإمام سعيد بن عبد الله مصرعه وهو يتابع مهمته بصفته إمامًا للدفاع فى مبادرته بالعمل على حل الصراعات الداخلية التى تنشب بين أهل عمان، فقد حدث سنة (٣٢٨هـ/٩٣٩م) صراع بين طائفتين من أهل عمان نشب بسبب إمرأة كانت تجفف حباً فى الشمس وجاءت شاة فأكلت الحب فرمتها بحجر وهنا تدخلت جماعة من أصحاب مالك تلك الشاة حيث تصدت لهم جماعة أخرى من أنصار المرأة التى قذفت الشاة بالحجارة والتحم القوم إقتتالاً ونشبت بينهم فتنة عظيمة وجاء الإمام مسرعاً ليكف بعضهم عن بعض ولكن قتل الإمام أثناء حدة القتال دون أن يعرف قاتله وكان ذلك فى سنة (٣٢٨هـ/٩٣٩م)، ضارباً المثل الأعلى على أنه خير من يمثل مهام «إمام الدفاع»[٣] .

---

(١) سالم بن حمود السيابى، المرجع السابق ج٢ ص٣٢٣.

(٢) مؤلف مجهول، تاريخ أهل عمان ص ٨١، و

انظر: سرحان الأزكوى، المصدر السابق ص ٦١.

(٣) سالم بن حمود السيابى، المرجع السابق ج٢ ص ٣٢٧، ٣٢٨.

وبعد مصرع الإمام سعيد بن عبد الله بايع الإباضية أحد رجالهم وهو راشد بن الوليد (سنة ٣٢٨-٣٤٢هـ)[١] على سبيل الدفاع، وكان من علماء الشريعة ومن خيرة أهل عمان ولم يكن من «اليحمد» ولا من «الأزد» وإنما تمت البيعة له لقدرته على القيام بمهام الدفاع عن عمان وكان سلطانه يمتد على القرى فى شرق عمان، أما غرب عمان فكانت تحت سيطرة العباسيين وكانت تلك المنطقة الغربية تعتبر «مفتاح الباب العماني» حيث يتجمع فيها عمال العباسيين وغيرهم من الموالين لهم.

وبدأ الإمام راشد مهمته باعتباره إمامًا للدفاع، حين توجه بنو مكرم وهم من وجوه عمان إلى بغداد وطلبوا مناصرة أصحاب السلطان فيها إذ ذاك وهم بنو بويه[٢] ، للحصول على ملك عمان.

وقام بالهجوم على عمان أبو القاسم المطهر بن محمد ، وزير عضد الدولة البويهى[٣] ، وتمكن من الزحف على نزوى حيث مقر الإمام الإباضى راشد بن الوليد، وقد انفض من حول الإمام اتباعه حين تقدمت جيوش البويهيين على

---

(١) عمل العباسيون فى عهد الإمام راشد بن الوليد على ضم عمان وفرض سيطرتهم الفعلية عليها. وعندما تصدى الإمام لهم مدافعاً عن استقلال بلاده خذله الناس وانصرفوا عنه، فحلت به الهزيمة وهرب إلى الجبال، ثم مات سنة (٣٤٢هـ/٩٥٣م). وانقطع بموته عهد الإمامة فى عمان ، وذلك إلى حين ظهور الخليل بن شاذان سنة (٤٠٥هـ).

(٢) ظهر بنو بنويه فى عالم التاريخ فى أوائل القرن الرابع الهجرى وذلك حين دخلوا بغداد وسيطروا على مقاليد الأمور فيها من دون الخلافة العباسية، ثم حكموا فارس، كما امتد سلطانهم فى العراق والأهواز وكرمان وهمذان وأصبهان..

(٣) نور الدين السالمى، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان (مكتبة الاستقامة - سلطنة عمان) ج١ ص٢٨٥، و «الوزارة فى العصر البويهى» رسالة ماجستير غير منشورة، اعداد : هاشم عبد الراضى - دار العلوم سنة ١٩٩٠م .

انظر : ابن الأثير، الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٣٦٣هـ.

العاصمة مما اضطره إلى الهرب إلى داخل عمان والاعتصام بالجبال ولكن انتهى الأمر بسيادة البويهيين على عمان وذلك (سنة ٣٤٢هـ/٩٥٣م) .

ودخلت عمان مرة أخرى فى مرحلة خضعت فيها للعباسيين أو «لسلطان الجور» على حد تعبير الإباضية. وظلت هذه المرحلة خمسة وستين عاماً انتهت حين تمكن الإباضية من استرداد نشاطهم على عهد الإمام الخليل بن شاذان[١] ، الذى تولى الإمامة (سنة ٤٠٥هـ/١٠١٤م) ، وهى السنة التى أستأنف فيها الإباضية على هدى تراثهم ونشاط أئمة الظهور فى دولتهم على امتداد القرنين الثالث والرابع للهجرة العمل على إعادة الكيان السياسى للإباضية وهو الكيان الذى ما زالت معالمه تظهر وترفع ألويتها فى عمان اليوم .

* * *

(١) بعد موت الإمام راشد بن الوليد (سنة ٣٤٢هـ/ ٩٥٣م) بقيت عمان خاضعة للولاة مدة خمسة وستين عاماً تداول فيها على حكم عمان عمال الخلافة العباسية وبعض صنائعهم المحليين ثم القرامطة. حتى اختير الخليل بن شاذان إماماً فى بضع وأربعمائة للهجرة. انظر :
ابن الأثير، الكامل فى التاريخ فى حوادث سنة ٣٦٣ وما بعدها، و
انظر : السالمى، تحفة الأعيان ج١ ص٣٠٢.

الفصل الثالث

أثر الإباضية فى حياة الخليج العربى الفكرية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية

* * *

الفصل الثالث

أثر الإباضية فى حياة الخليج العربى

الفكرية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية

* * *

أولاً : أثر الإباضية على الحياة الفكرية والثقافية فى الخليج العربى.

أ- المنابع الفكرية للإباضية وتياراتها .

ب- المنابع الثقافية للإباضية وتياراتها .

ثانياً : أثر الإباضية على الحياة الاجتماعية فى الخليج العربى .

ثالثاً : أثر الإباضية على الحياة الاقتصادية فى الخليج العربى .

أولاً : أثر الإباضية على الحياة الفكرية والثقافية فى الخليج العربى

(أ) المنابع الفكرية للإباضية وتياراتها :

تأثرت حياة الخليج العربى الفكرية بالفقه الإباضى وما تركه فى نفوس أتباعه من مبادىء التزموا بها التزاماً صادقاً .

وتجلت معالم هذا التأثير الفكرى للإباضية فى رؤيتهم للخلافة وشروطها، حيث كانت مسألة الخلافة هى المحرك الأساسى للفكر فى الدولة الإسلامية،وتحديد دور الإباضية وفكرهم فى هذه المسألة أيضاً .

والمعروف أن الإباضية سموا «القعدة المحكمة» بسبب الخلافة، وأن اختلاف بلال بن مرداس، وعبد الله بن وهب الراسبى مع غيرهم من معاصرى الفتنة الكبرى كان سببه «الخلافة» أولاً ثم «التحكيم» ثانياً، وأن جميع من خرج - حينما خرجوا - قال : «حكموا الرجال فى كتاب القرآن».

كانت هذه الصيحة هى بداية الشقاق. حيث انفتح بعدها حوار - لم يغلق حتى الآن - بين كل المسلمين حول الخلافة وشروطها وكيفيتها وأساسها، وصفات الخليفة، وواجباته ومسئولياته، وحقوق الرعية .

ويمكن توضيح رأى الإباضية فى مسألة الخلافة على النحو التالى :

أ - أن الإباضية قد شاركوا فرقاً إسلامية أخرى فى رفضهم الشديد والمتكرر لمسألة تضمين شرط «القرشية» ضمن شروط الخلافة[١] .

ومسألة أن يكون الخليفة قرشياً، قد وضعت أمام فرق إسلامية كثيرة، وسببت

(١) محمد بن أبى زهرة، شروط الخلافة ص ٩٧.

فرقة واسعة بين كثير من أهل الإسلام وأوطانه.

وقد كانت هذه المسألة بالذات من أعظم المسائل عند الإباضية، ولسنا الآن بصدد تبيان صحتها من بطلانها من الناحية الدينية أو الفقهية، ولكننا من الناحية التاريخية نؤكد أن كل ما كتب مؤرخو الإباضية فيه،وجميع ما خطوه، قد شمل التأكيد على أن هذه المسألة مرفوضة رفضاً تاماً من الإباضية، وانهم فى نقاشهم هذا لم يكونوا ليجرؤا أن يعلنوا رأيهم هذا بكل وضوح، إلا وقد تأكدوا من أن «جابر ابن زيد» الإمام الفقيه والتابعى الجليل، قد أعلن هذا الرأى دون تردد أو اهتزاز .

وكان الإباضيون من أقل الفرق إثارة للإضطرابات، وأكثرهم احتواء للخلاف، وبعداً عن التعصب المذهبى، ولذا فإنهم على الرغم من إصرارهم الشديد على عدم قبول مبدأ القرشية[١] شرطًا للخلافة. إلا أنهم لايمانعون من مبايعة المستقيم من قريش، وإذا بويع وجبت طاعته لا من حيث إنه قرشى بل من حيث أنه صالح، فإن المطلوب للأمة الصلاح.

وحديث «الأئمة من قريش» والحديث القائل : «قدموا قريشاً ولا تتقدموها» ، لم يول قريشاً فقط وإنما ولى عدة قبائل فى العرب، وصحة الإمامة أصل لصحة الولاية وكأنها فرع عليها، وما جاز فى الأصل جاز فى الفرع، ولم يجعلها الله عز وعلا فى أمة خاصة أو فى قبيلة خاصة تتميز بها عن بقية القبائل .

ومن ثمّ فإن الإباضية احتفظوا برأيهم لأنفسهم وأتباعهم، ولم يكفروا أو يسفهوا من لم يتبع رأيهم فيها .

---

(١) سالم بن حمود، الحقيقة والمجاز فى تاريخ الإباضية باليمن والحجاز ص٢٥.

ب- تميز الإباضية عن الكثير من الفرق الإسلامية الأخرى، حيث أنهم كانوا من أكثر الفرق إهتماماً بمن يحكم. وكيف يحكم ؟ وعلى أى الأسس يُحاكم من يحكم ؟ ولأي الأسباب يُعزل ؟

ولذا فإن الإباضية حينما حددوا فكرهم السياسى، والذى يقوم على «الإمامة» وضعوا لهذه الأمامة شروطاً ومواصفات تكاد تنعدم فى غيرهم من الفرق، نظراً للتراث الضخم الذى خلفوه فى هذه المسألة، فهم يكادون يضعون للإمام جدول حياته اليومية[١] .

ويبدو أن اختلافهم حول شروط الخلافة مع غيرهم من الفرق، قد انعكس على هذه الشروط وهذا التنويع فى الإمامة، وشروط الخروج على الإمام أو استمراره فيـــها.

وبعيداً عن ذلك فإن جوهر نظرة الإباضية لمسألة الخلافة يكاد يلخصه صاحب «إزالة الوعثاء عن أتباع أبى الشعثاء» فيما أورده عن الإمام جابر بن زيد[٢] .

حيث أكد جابر بن زيد مسألة الخلافة ودرسها بعمق وإهتمام واستفاضة، انتهى فيها إلى رأى ثابت صحيح بنى على روح العدالة فى الإسلام، ومستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية العطرة، ومستند على سيرة السلف الصالح، حيث كان يرى أن الخلافة أهم مرافق الدولة، وأعظم مظهر للأمة، وأقوى سلطة تشرف على تنفيذ أوامر الله وتطبيق أحكام الكتاب والسنة اللذين هما المصدر الصحيح لأحكام الله عز وجل، وعلى هذا النحو فإن الخلافة لابد من أن :

(١) مقدمات الكيان السياسى عند الإباضية (الفصل الثانى) .

(٢) سالم بن حمود، إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء ص٦٥.

١- لاترتبط بجنس أو قبيلة أو أسرة أو لون .

٢- يشترط فيها الكفاءة المطلقة لأن الله عز وجل أشار إلى المقصود فيها بالذات، بقوله : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ ، والمطلوب فى هذا دعامتان:

أ- الكرم بجميع معانية.

ب- التقوى، وهى الأصل الذى لاتصح بدونه.

ولايخفى عن كل ذى عقل أن التقوى روح الإيمان، فإذا لم تكن هناك تقوى، فلا إيمان إجماعاً.

وإذا حصلت الكفاءة المطلقة ديناً وخلقاً وعملاً وعقلاً فقد حصلت الخصال المطلوب فيها والمشترط لصحتها، وقامت حجتها على المسؤلين عنها الذين تلزمهم عند حصولها، فإذا كانت فى فريق من الناس فقد حصلت لأن تحمل عبء الأمة وتقوم بما يجب فى الإسلام القيام به .

«وما القرشية أو الهاشمية أو العربية إلا وسائل ترجيح، وهى كمالية فقط (عندنا) »[١] .

وعلى هذا فإن الإباضية يرون فى الخلافة كل الشروط إلا شرط القرشية، وقد فسروا رفضهم هذا بسبب التقوى والكمال الذى لايعتمد على جنس أو لون أو قبيـلة.

ويؤكد الإباضية تأكيداً قوياً على ضرورة تمتع الخليفة أو الإمام بالقوة والعلم،

---

(١) هكذا نص العبارة كماأورده سالم بن حمود ، إزالة الوعثاء ص٦٥.

وأن هذا من ضرورات الإسلام فيما ورد فى الكتاب الكريم والسنة النبوية العطرة، فهم بهذا يسايرون روح الإسلام الحق، ولعل أحسن ما أوضحته كتابات الإباضية فى قضية الخلافة، أنها قضية دينية شرعية فقهية .

وتجلى التطبيق العملى لإصرار الإباضية على شرط القوة والعلم فى الخليفة فى عزل الأئمة الذين تولوا دولة الإباضية فى عمان فى القرنين الثالث والرابع للهجرة.

ومن أمثلة ذلك عزل الإمام الصلت بن مالك الخروصى (٢٧٣هـ/٨٨٧م) حين امتدت امامته خمساً وثلاثين سنة وبلغ فى أخرها من الكبر عتياً. فقد وهنت قوته إذ ذاك «وصار إلى حد الضعف والزمانة والعجز عن القيام بالإمامة»[١] .

وهو أمر يؤكد حرص الإباضية على سلامة الإمام وسلامة الأمة وكيانها السياسى أيضاً .

(١) سالم بن حمود السيابى، المرجع السابق جـ٢ ص ٢٠١.

(ب) المنابع الثقافية لإباضية الخليج العربى وتياراتها :

وتجلى تأثير الإباضية أيضاً فى حياة الخليج العربى الثقافية من اعتزازهم بأنفسهم على أساس أنهم ورثة الفكر النبوى وفكر أبى بكر وعمر بن الخطاب وعمار ابن ياسر، وعبد الله بن وهب إمام أهل النهروان، والمعلم الأكبر لهم جابر بن زيد، وأبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة، والربيع بن حبيب، وعبد الله بن إباض، وعبد الله بن يحيى الإمام طالب الحق، ووائل بن أيوب، ومحبوب بن الرحيل، وموسى بن على، ومحمد بن محبوب بن الرحيل، وعزان بن الصقر(١) .

ولا شك فى أن الحروب والفتن التى تعرضت لها عمان فى فترات القلاقل والفتن من تاريخها ، تسببت فى ضياع الجزء الأكبر من هذا التراث الفكرى الذى شكل موروثاً ضخماً فى المكتبة العربية.

وقد تردد فى كتب التاريخ أن الفتنة التى وقعت فى عمان سنة (٢٨٠هـ/ ٨٩٣م)(٢) ، قد صحبها تدمير وحرق للكتب إضافة إلى رميها بالأنهار ..

وقد عدد نور الدين السالمى (ت١٣٣٢هـ) وهو من مؤرخى الإباضية المتأخرين بعض الكتب التى اهتمت بالتاريخ الإباضى وذلك فى مؤلفه «اللمعة المرضية من أشعة الإباضية»(٣) .

---

(١) سعيد عاشور، حصاد ندوة الدراسات الإسلامية، باب : عمان حصن الأمان للعروبة والإسلام ص ٢٨٧، ٢٨٨ (سلطنة عمان) .

(٢) فى سنة (٢٨٠هـ/ ٨٩٣م) غزا محمد بن نور - عامل الخلافة العباسية فى البحرين - عمان، وانتصر على إمامها آنذاك عزان بن تميم واستولى على كل عمان، ونكل بأهلها ودفن الأنهار، وأحرق الكتب.. انظر:
مؤلف مجهول، تاريخ أهل عمان ص٧٤.

(٣) نور الدين السالمى، اللمعة المرضية من أشعة الإباضية ، سلطنة عمان، ١٩٨٣م.

ولاشك أن الميراث الفكرى الإباضى يدل دلالة مهمة على النظرة الإباضية الحضارية، وثقتهم فى سلامة فكرهم، واعتدال آرائهم ، وأنهم يستمدون فكرهم من المنابع الفكرية الإسلامية[1] نفسها وهى :

القرآن الكريم ، والسنة النبوية العطرة، وآراء العديد من العلماء والفقهاء والساسة الذين أثروا الفكر الإباضى بعلومهم المختلفة والتى تناولت شتى المجالات الفقهية والفكرية والسياسية والاجتماعية .

وقد اشتهر العديد من هؤلاء العلماء والفقهاء وذاع صيتهم لأسباب مختلفة أهمها :

أ - الشهرة : وهى السمعة والشهرة والمعرفة الواسعة التى عرفت بمؤسسى الفكر الإباضى وهم الذين وردت أسماؤهم فى كافة المصادر خصوصاً المصادر الإباضية.

ب- الاتفاق: إتفاق المصادر الإباضية على فقهاء وعلماء معلومين لدى الجميع بأهمية آرائهم وأفكارهم وتأثيرهم على الفكر الإباضى .

جـ - الجهد: وهو الجهد الذى بذله علماء وفقهاء الإباضية سواء لتأسيس الفكر الإباضى أم لتطويره أم لتنظيم الحركة الإباضية، أى تسجيل جهد واضح يحقق لصاحبه الشهرة بين الناس .

وهناك الكثير من العلماء والفقهاء ممن أثروا الفكر الإباضى، تضمهم الحلقات الأربع التالية :

(٢) انظر الملحق رقم (٤) عن مؤتمر الفقه الإسلامى فى عمان .

الحلقة الأولى : حلقة الصحابة[١] .

الحلقة الثانية : حلقة التابعين[٢] .

الحلقة الثالثة : حلقة مشاهير أهل عمان فى الصدر الأول[٣] .

الحلقة الرابعة : حملة العلم إلى الأمة:

ويعد حملة العلم الأساس الذى قام عليه صرح الحياة الثقافية فى دولة الإباضية فى عمان فى القرنين الثالث والرابع للهجرة. ومن أشهر حملة العلم إلى الأمة :

(١) المقصود بحلقة الصحابة هم : الذين نقلوا للإباضية سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى مقدمتهم: ابن عم الرسول الكريم وهو ابن عباس بن عبد المطلب الملقب بالبحر لسعة علمه، وعبد الله بن عمر بن الخطاب،والسيدة عائشة (أم المؤمنين) ، وأنس بن مالك (خادم الرسول الكريم) ، أبو هريرة، وعبد الله بن وهب الراسبى، وغيرهم كثيرون...

(٢) المقصود بحلقة التابعين هم: من تلوا صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم وفى مقدمتهم الإمام جابر بن زيد،وأبو عبيدة مسلم، والإمام الربيع بن حبيب، وعبد بن الجلندى، وكعب بن سوار الكندى العمانى، وغيرهم كثيرون...

(٣) حلقة مشاهير أهل عمان فى الصدر الأول: وأشهر هؤلاء الخليل بن أحمد الفراهيدى، وأبو بكر أحمد بن محمد بن أبى الحسن الأزدى العمانى، أبو عبيدة الصغير عبدالله بن القاسم (من علماء القرن الثانى للهجرة)، وحيان الأعرج (من علماء القرن الأول للهجرة) ، وعبد الله بن عبد العزيز (من علماء القرن الثانى للهجرة) ، أبو نوح صالح الدهان (من علماء القرن الأول للهجرة) وأبو أيوب وائل بن أيوب الحضرمى من مدرسة الربيع بن حبيب، والمثنى بن معروف، وغيرهم كثيرون .... .

١- أبو المنذر بشير بن المنذر :

هو النزوانى العقرى (من أهل عقر)[١] ، وكان يسمى الشيخ الكبير، وهو من بني نافع من خصوص ذرية سامة بن لؤى بن غالب القرشى، وينسب إليه بنو زياد الموجودين بعمان.

وكان مقام بشير بعمان مقام مرموق تخضع له الرؤوس وتتضاءل بين يديه النفوس حتى شاع عليه لفظ «الشيخ» دون غيره، وأردف بعد ذلك بالكبير، فقيل «الشيخ الكبير».

وقد ملأ التراث العمانى بفتاويه، ورضى الناس بأقواله، وكان يروى العلم عن الربيع عن أشياخه أبى عبيدة، وجابر بن زيد، وأبى نوح، وضمام بن السائب،وهؤلاء الخمسة أشبه (بالجوارى الكنس)[٢] فى السماء حيث العهد جديد، والرائد يحمل علم الصدق.

٢- منير بن النير الجعلانى :

أحد حملة العلم من البصرة إلى عمان، وهو الشيخ المعروف بالجعلانى، وهو منير بن النير بصيغة التصغير لأبيه بن عبد الملك بن وسار بن وهب بن عبيد بن يحيى بن حضرمى بن ريام الريامى.

---

(١) من نواحى نزوى .

(٢) الجوارى الكنس : من التنزيل (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس) . قال الزجاج : الكنس النجوم تطلع جارية. وكنوسها : أن تغيب عن مغاربها التى تغيب فيها . وقيل فى الخنس والكنس : هى النجوم الخمسة تخنس فى مجراها وترجع وتكنس وتستتر كما تكنس الضباء فى المغاور. والنجوم الخمسة هى : بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشترى (انظر : ابن منظور - لسان العرب . مادة كنس، خنس) . انظر : سالم بن حمود ، إزالة الوعثاء عن أتباع أبى الشعثاء ص ٤٢ .

وحضرمى هذاهو جد الطائفة المعروفة ببنى حضرمى فى عمان فهم بنو ريام، بل هم أعرق فى نسب بنى ريام، جاء هذا النسب فى العوتبى، وعليه فهو من بنى حضرمى، وأشيع بالريامى، لذلك فإن الشهرة لبنى ريام بذلك على الصحيح[١] .

وهو أحد زعماء العلم فى الرعيل الأول، وقد خرج مع الأهيف بن حمحام الهنائى ومعه رجال من أهل جعلان، وكان يومئذ ابن مائة وعشر سنين[٢] ، فبلغ محمد بن بور خروجهم فدخل الرعب فى قلبه، فخرج هارباً، ولكن الله أراد أن يقضى أمراً كان مفعولاً، فتبعه الأهيف ومن معه، ووقعت الهزيمة على الأهيف وقتل كما قتل منير بن النير الجعلانى، وهوأحد حملة العلم، وذلك فى ست وعشرين خلت من ربيع الآخرة سنة ٢٨١هـ/ ٨٩٤م .

وقد عاش منير عمراً طويلاً، أى كان من المعمرين، ويقال أن الأهيف أخذه معه للاستشارة فقط، وعاصر أخصب فترة فى تاريخ عمان، وهى التى كانت مليئة بالحوادث.

ومنير من تلاميذ الربيع بن حبيب، وجاء عمان مع إخوانه، ووصف سيرة الإمام الجلندى للإمام غسان بن عبد الله ، فيكون الشيخ المذكور قد عاصر الإمام الجلندى بن مسعود، ومرت تلك الحوادث المهولة، وهى قتل الإمام المذكور ، ورجال دولته، ثم قتل شيبان الخارجى، وهرب خازم بن خزيمة، وعهد الجبابرة الذين تولوا عمان بعد ذلك، ودولة محمد بن أبى عفان وما حدث فيها ، وعهد الإمام الوارث،ودخول عيسى بن جعفر بن المنصور العباسى عمان.

(١) سالم بن حمود ، نفس المرجع السابق ص ٤٣ .

(٢) سالم بن حمود ، المرجع السابق ص ٤٣ .

وعاصر الإمام عبد الملك بن حميد، وشاهد عهد المهنا بن جيفر، والصلت بن مالك وراشد بن النظر، وما وقع فى الظروف المشار إليها ، وكأنه لم يتعرض فى تلك الأيام كلها لأمر، ولم يذكر عنه أخذ أو رد أو اعتراض أو انتقاد، وكأنه كف نفسه عن الدخول فى أمور الناس بعمان حتى هذا العهد، فإنه رأى هنا من الواجب الخروج لطرد ذلك الظالم الطاغية ولينال عند الله عز وجل الشهادة، والحمد لله الذى وفق من ارتضى للحق بإذنه .

ويعتبر الشيخ منير من أجل العلماء العمانيين، وهو الذى قام بالبيعة للإمام الصلت بن مالك الخروصى(١) .

٣- موسى بن أبى جابر الأزكوى ت ١٨١ هـ :

أحد حملة العلم الذين عرفوا فى القطر العمانى بأعمالهم الزكية، وتداول العلماء بعدهم أقوالهم فدونوها ، وأعمالهم فاتبعوها(٢) .

وهو من بنى ضبة من بنى سامة بن لؤى بن غالب، وهم معروفون فى أزكى، ومنهم الأمراء الساميون الذين جروا محمد بن بور على عمان حال افتراق أهل عمان إلى قحطانية وعدنانية، وفيهم خرج المثل : لاتكون فتنة فى عمان إلا وأصلها من جرنان.

وموسى بن أبى جابر لايزال له فى الأثر العمانى الصوت العالى، ولايزال مقدماً على أبناء جنسه، ولازالت علاميته موقرة وأراؤه مقدمة ومعتبرة .

وهو أحد علماء الصدر الأول، وأحد تلامذة الربيع، وأحد أجنحة الطائر

(١) نفس المرجع السابق ص ٤٤ .
(٢) سالم بن حمود ، المرجع السابق ص ٤٥ .

العلمى إلى عمان، وكان فى أيامه مرجع العلماء وسار فى أيامه سير زملائه الميامين حتي توفاه الله عز وجل فى سنة ١٨١هجرية .

ولم يزل الأثر العمانى يندبه ، والعالم العمانى يرثى له إذ كان أحد الشهب الخمسة التى أضاءت القطر العمانى بنور العلم، ولكن لابقاء فى هذه الدنيا إلا لله الواحد القهار(١) .

٤- *محبوب بن الرحيل :*

الإمام محبوب بن الرحيل بن سيف بن هبيرة المخزومى القرشى المعروف بكنيته الشائعة بأبى سفيان .

كان محبوب بن الرحيل علامة من فحول الرجال الذين يشار إليهم من بعيد، انتقل إلى عمان آخر زمانه حاملاً علماً جماً، وهدى واسعاً. جاء هو والربيع بن حبيب، وعمان فى ذاك الوقت فى غاية الابتهاج بهم، ونزل ابن الرحيل صحار التى كانت تزخر بالعلم وتفخر بالهدى .

أى أن ابن الرحيل نزل صحار فى شمال عمان، ونزل الربيع بن حبيب بفتوحه باطنة عمان، كمانزل موسى بن أبى جابر بنزوى فى قلب عمان، ونزل منير بن النير فى شرق عمان(٢) .

أى أن هؤلاء العلماء الأفاضل أقتسموا عمان لنشر العلم والفكر الإباضى فى جميع أنحاء عمان .

(١) سالم بن حمود ، المرجع السابق ص ٤٥ .
(٢) سالم بن حمود ، المرجع السابق ص ٤٧ .

٥- محمد بن المعلى الكندى :

من أهل فشح من قلب عمان، وكان فى طليعة الرجال المعدودين بعمان، وهو أحد حملة العلم إلى عمان. حتى أنه رفض أن يكون له سلطان فيقع فى القصور أو التقصير، وكان فقيهاً واسع الإطلاع، لاينكر فضله.

ولايدرى صاحب كتاب «إزالة الوعثاء عن أتباع أبى الشعثاء» متى مات؟ وماذا فعل ؟ وإلى أين انتهى أمره ؟ ولكن يعلم فقط أنه أول من حكم بقتال راشد ابن النظر [١] .

هكذا شكل علماء عمان الخط الثانى لإدارة مقاليد البلاد مع الأئمة المعقود لهم فى عمان، فكان لهم كلمتهم النافدة، وكان الأئمة يعترضون أحياناً فيدب الخلاف كما تم توضيح ذلك فى عهد الفتن[٢] . وخاصة خلاف موسى بن موسى والأئمة الثلاثة، الصلت بن مالك، راشد بن النظر، وعزان بن تميم .

وكان الأئمة يعتبرون العلماء شركاءهم فى الأمر وأعوانهم عليه، ويتلقون من أولئك العلماء النصح المستمر[٣] .

وهو الأمر الذى بلغ قمة ازدهاره على عهد الإمام الصلت بن مالك آخر الأئمة الشراة، فكان العلماء المشاهير فى عهد إمامة الصلت لايحصون عدداً.

حيث نشط العلم فى عمان على امتداد إمامة «الصلت بن مالك»، التى بلغت خمساً وثلاثين سنة، وطالت أغصانه (العلم) وانتشر العلماء فى عمان حيث صار

---

(١) سالم بن حمود ، إزالة الوعثاء عن أتباع أبى الشعثاء ص ٤٨ .

(٢) تم توضيح ذلك فى الفصل الثانى .

(٣) سالم بن حمود ، تاريخ أهل عمان جـ٢ ص ١٥٣ .

فى كل بلد جلة العلماء، وغصت المدن العمانية بهم.

وحفلت عمان بالمكتبات الزاخرة بالمؤلفات القيمة، وهى مجموعات للأسف تعرضت إلى الضياع بسبب هجوم اعداء الإباضية على عمان، أو حين شب حريق بالمكتبات، ومن ذلك ما روى أن حريقاً شب فى مدينة واحدة وهى : مدينة الرستاق حيث إلتهم حوالى تسعة آلاف مجلد[١] .

ويكفى دليلاً على كثرة تلك المؤلفات ما بقى منها إلى اليوم على الرغم مما تعرضت له مكتبات عمان من إصابات عديدة[٢] .

واعتز الإباضية بهذا الازدهار العلمى على عهدهم فى القرنين الثالث والرابع للهجرة،وعبروا عن هذا المجد الذى آل إليهم، وذلك فى قولهم : «إن العلم مثله مثل طائر باض فى المدينة المنورة، وفرخ فى البصرة، وطار إلى عمان»[٣] .

* * *

(١) سعيد عاشور وعوض خليفات ، عمان والحضارة الإسلامية ص ٢٢٨ (مسقط ، ١٩٨٧م)

(٢) قامت وزارة التراث القومى والثقافة بسلطنة عمان بطبع كثير من المخطوطات التى حوتها مكتبة عمان فى شتى الدراسات الفقهية واللغوية والأدبية والدينية والتاريخية ، مما يشهد بعظم التراث الثقافى والفكرى الاباضى .

(٣) نور الدين السالمى ، تحفة الأعيان فى سيرة أهل عمان جـ١ ص ٨٧ ، وانظر : سالم بن حمود ، إزالة الوعثاء عن أتباع أبى الشعثاء ص ٣ .

ثانياً : أثر الإباضية على الحياة الإجتماعية فى الخليج العربى

حمل أهل الخليج العربى فى حياتهم الاجتماعية صورة صادقة للفقه الإباضى وأراء شيوخه التى تتمثل فيما يلى :

أ - يرون دار مخالفيهم دار توحيد[١] (وكيف لا وهم نطقوا بالشهادتين، وصلوا وصاموا وحجوا بيت الله الحرام، ودانوا لله بالواجبات العملية)، ولكن دار السلطان دار بغى إذا كان متمرداً على الله فى أوامره ونواهيه، ورآه المسلمون (الإباضية) باغياً[٢] .

ب- وهم يجيزون الصلاة خلف أئمة غير أئمتهم من المذاهب الأخرى، إذ لم يفعل ما يفسد الصلاة بالطبع[٣] .

جـ- وهم لايرون فرقاً بين الإباضية وغيرهم فى المواريث المنصوص عليها فى الكتاب العزيز ولا فى السنة، إلا ما قيل فيه مما لم يبلغ حد الشهرة (كخلافهم فى الجد مع الأخوة، وفى ميراث ذوى الأرحام، وميراث المولى للمعتق) ، وهو خلاف فقهى عادى[٤] .

وصار شأن الإباضية بذلك فى الخليج العربى شأن أهل السنة فى حياتهم

---

(١) انظر ملحق رقم (٤) مؤتمر الفقه الإسلامى .

(٢) سالم بن حمود ، الحقيقة والمجاز فى تاريخ الإباضية باليمن والحجاز ص ١٨ .

(٣) سالم بن حمود ، أصدق المناهج فى تمييز الإباضية من الخوارج ص ٤١ ، تحقيق د. سيدة إسماعيل كاشف (مسقط ، ١٩٧٩) .

(٤) نفس المصدر السابق ، ص ٤٢ .

الاجتماعية، فهم يتبعون تعاليم الإسلام السمحة فى حياتهم اليومية: لباسهم، ومأكلهم، ومشربهم، ونكاحهم، ومواريثهم، وغيرها من الأصول الاجتماعية الإسلامية، فالمجتمع الإباضى مجتمع إسلامى يحتوى على كل القيم والعادات والتقاليد المتطبعة فى المجتمعات الإسلامية أينما كانت .

وإن كان لهم بعض الأراء والطباع والتقاليد المعينة، فهى من منطلق الحرص الزائد على تطبيق المفهوم الإسلامى فى السلوك البشرى، وليس من منطلق ابتداع بدعة جديدة أو اختراع وسيلة لم يكن لها سندٌ من الإسلام : (القرآن والسنة). ولعل من المفاهيم الشائعة فى هذا الصدد ما يسمى بالولاية والبراءة :

الولاية: هى الود بالجنان، والثناء باللسان أى الحب والإخلاص، والأخوة الصادقة التى يظهرها ويكنها المسلم لأخيه المسلم فى الله لا غير[1] ﴿ واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾ [2] .

والبراءة : هى هجرة من جاهر بالبغى،و العدوان ، ومن ارتكب الكبائر جهراً حتى يتوب .

فهى تنطبق على الكافر،والإنسان العاصى الذى خرج عن جادة الإسلام وضع أركانه، أو قام بارتكاب الكبائر أو إلحاق الضرر بمصلحة المجتمع الإسلامى، فإذا تاب أو استغفر واعترف بذنبه تعاد له كل حقوقه، ويعامل مثل بقية أخوانه المسلمين ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء﴾ [3] .

وقد انطلق الفكر الإباضى فى هذين المبدأين من منطلق أن الدين هو أقوى

---

(١) بكير بن سعيد ، دراسات إسلامية فى الأصول الإباضية ص ١٠٣ .

(٢) محمد : ١٩ .

(٣) الممتحنة : ١ .

أنواع الرقابات التهذيبية فى المجتمع، وهذه الرقابة التهذيبية تتمثل فى الولاية والبراءة، فالولاية توجب (فى حكم الوجوب) على المسلمين الحب فى الله والبغض فى الله، والعطاء لله، والمنع لله، حتى يكتمل الإيمان، وهذا مبدأ إسلامى، وإن تطرق الإباضية فى التأكيد عليه،وهو يشكل ركيزة من ركائز الإسلام.

والبراءة من الفواحش، هى وسيلة الإسلام فى علاج سلوك المنحرفين إجتماعياً، حتى لايشهروا الفواحش، ولايقلدهم الآخرون[١] .

فلا شك أن وجد هؤلاء المنحرفين الجفاء من أبناء المجتمع الإسلامى، وحسوا أنهم منبوذين من المجتمع ، وأن مصالحهم قد تعطلت كلية، ففى هذه الحالة سيقومون بإصلاح أنفسهم عن طريق التربية الذاتية الهادفة إى تغيير أنماط سلوكهم والسعى إلى اكتساب الفضيلة الأخلاقية، والابتعاد عن الرذيلة .

والإباضية ينفردون بهذا الركن الاجتماعى (المدعم بالأدلة) مع أن المذاهب الأخرى ترى بولاية الأشخاص وبراءتهم لكن لاتنطبق البراءة عندهم على عصاة المسلمين بل على الكفار. وهم لايصرون عليها مثل إصرار الإباضية.

ولو أن أبا عبيدة وجد من الضرورى فى مرحلة الإعداد لقيام «إمامة الظهور»، أن يحافظ على سرية الحركة ويمنع الإغراءات لبعض أتباعها، وقد تطرف إلى هذا حتى أنه (لم يحبذ)[٢] التزاوج بين أتباع الدعوة وبقية المسلمين، مع أن هذا مشروع فى الفكر الإباضى المستمد من الشريعة الإسلامية، إلا أن الإمام فعل

(١) تم توضيح كيف أن الإمام أبو عبيدة بن أبى كريمة قد استند على هذه القاعدة فى تنظيمه السرى المغلق لتأمين عدم تأثر أهل الدعوى بغيرهم (انظر : مقدمات الكيان السياسى عند الإباضية ، الفصل الثاني) .

(٢) عوض خليفات ، الأصول التاريخية للحركة الإباضية ص ٤١ .

ذلك من قبيل المحافظة على عدم اختلاط أهل الدعوة مع غيرهم ومنع تسرب أية معلومات عن نشاطها وتحركاتهم بينما كان يسمح الإمام جابر بن زيد بمثل ذلك.

ورغم هذا فقد استند أبو عبيدة إلى مبدأ الولاية فخلق من أتباعه مجتمعاً تسوده المودة والمحبة والأخاء في العقيدة، وتسيطر عليه روح الجماعة.

وكان يحثهم على التأليف والتعاون فيما بينهم ، كما طلب من الأغنياء أن يكونوا عوناً للفقراء وسنداً لهم حتى لايضطر الفقير من جماعته لاحتياج أحد من المخالفين، وقد لبى الأثرياء من الإباضية هذا الطلب بحماس منقطع النظير.

وتورد المصادر الإباضية أمثلة كثيرة تشير فيها إلى تنافس الأغنياء في سد حاجة الفقراء من المسلمين «الإباضية» لتأتيهم الأحمال بالسويق والتمر وما يصلحهم لشهر رمضان ولايعلمون من بعث بها.. يأتي الرجل بالجمال حتى يقف به على باب الدار ، فيقول: ادخل، فيكتب في خرقة كلوا واطعموا[1] .

ويروى كذلك أن شخصا من الإباضية يدعى ديال بن يزيد كان يستأجر الأكسية في البرد الشديد.. بألف درهم أو أقل أوأكثر وليس عنده منها شيء، وإنما يتوكل على الله وعلى المسلمين (الإباضية) . ثم يفرقها بين الفقراء ويجمع ثمنها بعد ذلك من أغنياء الإباضية .

وكان الداعية الإباضي، أبو الحر، موسراً جداً وتأتيه غلته سنوياً فيقسمها نصفين، فيفرق نصفها في فقراء المسلمين (الإباضية) وفي معاونتهم . ليس هذا فحسب بل إن أغنياء الإباضية كانوا يتسابقون في دفع الديون المتبقية على من يموت من أصحابهم .

(١) عوض خليفات ، المرجع السابق ، ص ٤٨ .

وكل هذا التعاون والتعاطف موجود بالقيم الإسلامية، لكن الإباضية طبقوه فى مجتمعهم تطبيقاً رائعاً يحقق أهداف الشريعة الإسلامية وخصوصاً أهداف الزكاة. (على الرغم من أن المساعدات من أغنياء الإباضية هذه تختلف عن زكاتهم).

وقد جعل هذا التعاون المجتمع الإباضى مجتمعاً تسوده روح المودة والتراحم والمحبة وعدم حقد الفقير على الغنى، بل سادت هذا المجتمع روح الإسلام من حيث التماسك والترابط والعمل على كل ما فيه خير المجتمع ورقيه .

وغدت الملامح الاجتماعية التى سار وفقها الإباضية فى حركتهم هى نفس الملامح الاجتماعية التى تحكم حركة كل الفرق الإسلامية من أهل السنة، فى أمرهم بالمعروف والنهى عن المنكر، والتعاون على البر والتقوى، والإحسان بالوالدين وذوى القربى ، واليتامى، والمساكين، والجار ذى القربى، والجار الجنب، والصاحب بالجنب، وابن السبيل، و(ما ملكت أيمانكم)، وغض البصر عن الحرام ، وحفظ الفرج عن الفواحش، ولين الجانب،وحسن الصحبة،وحسن المعشر، وستر الزينة التى أمر الله بسترها إلا ما ظهر منها، والاستئذان فى البيوت، والتسليم على أهلها، والاغتسال من الجنابة، والابتعاد عن النساء فى المحيض، وأداء الأمانة إلى جميع الناس: البار منهم والفاجر، وذكر اسم الله على الذبيحة، والاحتفاء بأهل الذمة[1] .

وقد وعى أهل عمان فى ظل الحكم الإباضى معنى الجزية، وجباية الصدقات، والتأكيد على أن الجزية تستتبع الحماية. وقد عهد الصلت بن مالك الخروصى (٢٣٧-٢٧٢هـ) لأحد ولاته ما يتعلق بجزية أهل الذمة وحسن معاملتهم ومن يعفى منها[2] .

---

(١) سيده إسماعيل كاشف ، عمان فى فجر الإسلام ص ٨٢ ، ٨٣ .

(٢) ذكر فيمن يعفى منهم : «الصبيان والشيوخ والفقراء والزمناء والنساء والعبيد والأماء» ، انظر:

السلوك عند الإباضية :

يتمسك الإباضية بجميع أنواع السلوك والأخلاق التى أمر بها الإسلام ومن مظاهر ذلك أنهم :

١- يرون أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب فى الحدود التى بينها القرآن الكريم ووضحها الرسول الكريم فى سنته الصحيحة .

٢- الولاية والبراءة عند الإباضية لاتلزم إلا باليقين كالمعرفة الشخصية أو شهادة العدلين ولا تبطل إلا بيقين.

٣- يرون أن جميع المسلمين يتساوون فى الحقوق والواجبات باستثناء شيء واحد وهو الدعاء بخير الجنة ومايتعلق به فإنه حق خاص للمتولى أى المسلم الموفى بدينه الذى يستحق الولاية بسبب طاعته.

٤- عندما تكون الأجهزة الحاكمة جائرة غير متمسكة بأحكام الشريعة يجوز للمسلمين البقاء تحت حكمها والخروج عليها، وإذا بقوا تحت حكمها فإنه تجب عليهم الطاعة فى غير معصية الله وإذا كانت تنفذ أحكامها على مقتضى مذهب مخالف لهم. فإن أحكامهم نافذة عليهم بما يترتب عليها من حقوق وواجبات ، ما دامت تلك الأحكام مطابقة لمذهب إسلامى(١) .

أما بالنسبة للزواج عند الإباضية : فهم يتبعون تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة ، بالفريضة، والبيعة العادلة،ورضى المرأة وإذن الولى .

والطلاق بالشهود، والعدة ما نصت عليها الشريعة الإسلامية، وقد أجاز

(١) على يحيي معمر ، الإباضية بين الفرق الإسلامية جـ٢ ص ١٤١ ، ١٤٢ .

الإباضية مناكحة مخالفيهم من بقية مذاهب الإسلام (إعترافاً منهم بأن الخلاف فى المذهب لايفرق بين المسلم وأخيه المسلم) .

مع ملاحظة أن الإباضية يغلبون جانب الأب فى الحضانة على جانب الأم، فهم يرون أن الجدة للأب أولى بالحضانة من جانب الأم.

أما بالنسبة للميراث : فإن الإباضية يجيزون موارثة أهل المذاهب الأخرى من غير مذهبهم[١] .

مع ملاحظة رؤية الإباضية فى أن الجد يمنع الإخوة من الميراث، وبعض المذاهب الأخرى ترى أن يقتسموا معه ، ولا حرج لدى الإباضية بالعمل بمذهب الدولة التى هم تحت حكمها .

والإباضية كغيرهم من المسلمين يحرمون شرب الخمر، وكل ما دخل فى حكمه من المسكرات، وتحريم ما حرم الله من المشارب، والمحارم، والمأكل، والمناكح، وتحريم الكذب، وتحريم قذف المحصنين والمحصنات .

كما يقر الإباضية الوفاء بالعهد لجميع الناس البار منهم والفاجر (وهذا مؤشر مهم على طبيعتهم السنية الخالصة، وبعدهم عن فرق الخوارج فى تصريفها للأمور مع الناس) والعدل فى الوزن ، والوفاء فى الكيل، وتحليل البيع وتحريم الربا، وتحريم مال اليتيم، وعدم قطع الرحم، ولا للتجسس على العورة، ومع ذلك فمن حق الإباضية أن يعلنوا :

«إنهم لن يدخلوا فى مذهبهم من لايكتم سرهم، ولايرى غيبتهم، ولايقول

(١) سالم بن حمود ، أصدق المناهج فى تمييز الإباضية من الخوارج ص ٣٠ .

قولهم، ولايرضى رضاهم، ولايسخط سخطهم، ولايوالى وليهم، ولايعادى عدوهم»[١] .

المرأة في المجتمع الإباضى :

نعلم أن الإسلام اهتم بالمرأة والأسرة إهتماماً كبيراً . وقد سار أئمة عمان على نهج الإسلام فى إعطاء المرأة حقوقها كاملة نظير إلزامها بواجباتها التى حددها ووضحها دين الإسلام .

وقد لاحظنا أن تاريخ عمان مليء بوصايا الأئمة لعمالهم تحثهم على اتباع القرآن الكريم والسنة النبوية العطرة، ولم تغفل تلك الوصايا الحث على العناية بالنساء والنظر فى أمورهن والذود عنهم. وكان يشار إلى الحاكم الفاسق، بأنه لايذود عن الحريم[٢] .

وهذا إن دل على شيء فهو يدل دلالة واضحة على منزلة المرأة وكرامتها وحقوقها فى المجتمع الإباضى الذى لم ينقص أى من حقوق المرأة التى كفلها الإسلام لها .

وهكذا شكلت الأصول الإجتماعية للإباضية أعظم تجسيد للأصول الإجتماعية الإسلامية فى أزهى صورها من حيث التزام الإباضية بالمبادىء والتعاليم والقيم الإسلامية وما حثنا عليه الرسول صلى الله عليه وسلم فى سنته العطره، لإنشاء مجتمع إسلامى مبنى على الأسس والقواعد الإسلامية المتينة التى لو اتبعها أى مجتمع كان، فإنه سيصبح مجتمعاً مثالياً بكل ما فى الكلمة من معان.

---

(١) أبو بكر الكندى ، الاهتداء ص ٢٣٧ .

(٢) انظر : ملحق رقم (٢) .

وتجلت هذه المثالية للقواعد الإجتماعية الإباضية والحرص على تطبيقها فى سياسة أئمة الدولة الإباضية فى عمان، حتي أن بعضهم ضحى بنفسه فى سبيلها . ومن ذلك ما قام به الإمام الوارث بن كعب الخروصى سنة ١٩٢هـ/٨٠٧م) حين خرج بنفسه لإنقاذ حبس للمسلمين فى كلبوه (من نزوى) ، حيث دهمت السيول هذا السجن، ولكن السيل كان خطيراً، وجرف الجميع ومعهم الإمام الوارث الذى استشهد وهو يقول: «هم أمانتى، وأنا المسئول عنهم غداً ، يوم القيامة»[١] .

وحافظ الإباضية فى الخليج العربى على تعاليم مذهبهم الاجتماعية من حيث التسامح وحرية الفكر مع مخالفيهم فى الرأى.

فرغم سياده المذهب الإباضى فى عمان فإنهم لم يقفوا فى عداء مع المذاهب الأخرى التى قامت فى بلادهم.

ومن ذلك أنه كان فى ميناء صحار فى القرن الثالث الهجرى جماعات من «القدرية» و«المرجئة»، وازداد عددهم فى عهد الإمام عبد الملك بن حميد (٢٠٧-٢٢٦هـ/٨٢٢-٨٤٠م) ، وصاروا يدعون الناس إلى مذهبهم، واستجاب لهم الكثيرون، حتى امتد نشاطهم إلى توام (البريمى) ، وغيرها من نواحى عمان، وهو الأمر الذى أزعج والى صحار، وكتب بذلك إلى الإمام يطلب منه رأيه فى هذا النشاط وما يجب عليه القيام به [٢] .

وكان للشيعة أيضاً وجود فى صحار وفى تلك الفترة أيضاً، فضلاً عن انتشار

---

(١) مؤلف مجهول ، تاريخ أهل عمان ص ٦٠ ،
وانظر : سالم بن حمود السيابى ، المرجع السابق جـ٢ ص ١٢٤ .
(٢) نور الدين السالمى ، المرجع السابق جـ١ ص ١٦٨ .

السنة فى البلاد[١] .

وعاشت هذه المذاهب الثلاث الإباضية والسنة والشيعة فى عمان، فى ظل التسامح الاجتماعى الإباضى، وقواعده الفقهية المثالية فى البناء الاجتماعى .

* * *

(٢) سالم بن حمود السيابى ، المرجع السابق جـ٢ ص ١٣٨ .

ثالثاً : تأثير الإباضية على الحياة الاقتصادية فى الخليج العربى

لقد عرف الإباضية أهمية ربط الناحيتين المالية والعسكرية منذ البدايات الأولى لتأسيس فرقة الإباضية، وكان ذلك أيام أبو عبيدة مسلم الذى أنشأ بيت مال خاص بجماعة المسلمين (الإباضية) فى البصرة، ووكل إلى حاجب الطائى مهمة الإشراف على الشئون المالية والعسكرية وشئون الدعوة[١] .

وقد أصاب أبو عبيدة فى الربط بين الناحيتين المالية والعسكرية ووضعهما فى يد رجل واحد قدير، وذلك لأن موارد بيت المال كانت تستخدم لمساعدة الدعاة والثوار الإباضية وكافة المحتاجين من أتباع تلك الفرقة المسلمة.

وطبيعى أن هذه الفرقة لم تكن تملك الإمكانيات الانتاجية والصناعية والتجارية، لأنها كانت فى بداية الطريق ولم تكن قد نجحت فى تأسيس أية إمامة إباضية .

لذلك فقد كانت موارد بيت المال تأتى من مصدرين:

المصدر الأول : عبارة عن ضريبة فرضها الإمام أبو عبيدة على أتباعه فى البصرة. ولاتذكر المصادر متى كانت تدفع ولا مقدارها ، ولكن من الثابت أنها لم تكن تفرض بالتساوى، بل تتفاوت بحسب ثراء المكلف ودخله.

كما لاتذكر المصادر أن أحداً من الإباضية تخلف عن دفعها، ربما لأنهم يعتبرونها جزء من واجبات دينهم التى ستساعد على انتصار دعوتهم التى تمثل فى

---

(١) سالم بن حمود ، الحقيقة والمجاز فى تاريخ الإباضية باليمن والحجاز ص ٦٩ (طبعة وزارة التراث القومى - سلطنة عمان ١٩٨٠م) .

اعتقادهم الإسلام الحق كما كان موجوداً فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم.

ويبدو أن هذه الضريبة كانت تجمع عند الحاجة، أى أنها أقرب إلى أن تكون مساهمة تدفع وقت الحاجة، حسب إمكانية المساهم وتقديره لسبب طلب هذه المساهمة.

المصدر الثانى : وهو التبرعات السخية التى كان يدفعها أثرياء الإباضية. ويبدو أن التجار الإباضية كانوا من الأغنياء المعدودين. وكانت تجارتهم تتجاوز البصرة وماجاورها وتصل إلى الصين والشرق الأقصى .

ولم تقتصر هذه التبرعات - والتى كانت تدفع طوعاً وربما بدون طلب - على الأغنياء من أتباع هذه الفرقة المسلمة (الإباضية) بل تعدتهم إلى بقية أتباع الدعوة رجالاً ونساء.

وتذكر المصادر أنهم كانوا يسارعون بالدفع كلما طلب منهم ذلك لدعم فرقتهم ومساعدتها على العمل بصورة فعاله تحقق لهم تطلعاتهم بإنشاء إمامة الظهور ونشر أفكارهم وكسب الأتباع .

هذا إضافة إلى خلق مجتمع تسوده المودة والمحبة والإخاء فى العقيدة وتسيطر عليه روح الجماعة وروح التعاون، يسند الغنى فيه الفقير من جماعته حتى لايضطر لاحتياج أحد من المخالفين .

ومن هؤلاء التجار الإباضيين نذكر على سبيل المثال لا الحصر، النظر بن ميمون وأبا عبيدة بن القاسم (المعروف بأبى عبيدة الصغير) ، وغيرهم من خيار المسلمين (الإباضية) .

أى أن السياسة المالية التى اتبعها الإباضية نجحت فى دعم حركتهم ونتج عنها

إنشاء إمامات إباضية لا إمامة واحدة، فقد انتشرت الإمامات الإباضية فى عمان والجزيرة العربية كما انتشرت فى شمال أفريقيا .

أى أن قيام دولة إباضية فى عمان يحتاج إلى دعم وتنظيم الاقتصاد لأن ذلك ضرورة من ضرورات استمرار ورقى الدول فى أى بقعة على الأرض، ومهما كان حجم تلك الدولة .

لذا فإن عمان التى كانت مركزاً مهماً للملاحة والتجارة منذ استقرار الدولة الإسلامية حتى أوائل القرن الرابع الهجرى، حيث بدأت التجارة تتحول تدريجياً من الخليج العربى وتسلك طريق البحر الأحمر فأخذت الموانىء اليمنية تزدهر وتحل محل الموانىء العمانية[١] .

ونتيجة لموقع عمان المتميز إضافة إلى صلاحية أراضيها للزراعة ونشاط أهلها المتميز فى التجارة والزراعة والصناعات البسيطة، كل ذلك جعل من عمان بلداً كثير الموارد غنياً بالخيرات.

وهذا مما سهل نجاح قيام الدولة الإباضية بعمان ودعم أركانها وجعلها تسعى دائماً للاستقلال عن الدولة الإسلامية .

بل إن الإباضية سعوا لأكثر من ذلك فى استقلال الاقتصاد القوى واتباع السياسة الاقتصادية فى نشر الفكر الإباضى عن طريق التجار خصوصاً ممن كانوا يجوبون البحر منهم، حيث تذكر المصادر امتداد نشاط العمانيين البحرى بعد الإسلام إلى جهات بعيدة، وكذلك سيطرتهم على سواحل أفريقية الشرقية ووصولهم إلى

(١) عبد الرحمن العانى ، تحول الطريق التجارى من الخليج إلى البحر الأحمر وازدهار عدن ، مقالة منشورة فى مجلة كلية الآداب / جامعة بغداد / العدد ٢٨ / ١٩٨٠م .

جزيرة قنبلون (مدغشقر) و سقالة (موزمبيق) والصين أيضاً [١] .

ويبدو أن النشاط التجارى والأرباح وقوة الاقتصاد العمانى قد بلغت فى القرن الرابع الهجرى حداً كبيراً، فقد قال المقدسى «من أراد التجارة فعليه باليمن أو عمان أو مصر»[٢] .

ويرجع الازدهار فى عمان إلى كونها المركز الرئيسى للتجارة البحرية مع بلاد الهند والشرق الأقصى وأفريقية، وإلى السلع الغالية والمهمة التى كانت تمر بها فتدر أرباحاً كبيرة[٣] .

وقد كانت عمان تنتج سلعاً كثيرة، كما أنها لعبت دوراً بارزاً فى التجارة الآسيوية التقليدية، فاشتهرت بتجارة البلح، والفواكه الجافة، والعنبر ، والنحاس، وبيع الخيول.

كما كان العمانيون يتاجرون بسلع كثيرة كالسلع الكمالية والتوابل بين الشرق الأقصى والهند. كما أن السلع الإفريقية كانت تستأثر باهتمام التجار العمانيين وأهمها العاج، والجلود ، والسلاحف، والعنبر. كما كانوا يتاجرون فى الحرير الصينى والجواهر، والأحجار الكريمة وبضائع أخرى مختلفة...

كما كان هناك العديد من الصناعات مثل صناعة الفخار والزجاج والصناعات اليدوية المختلفة .

---

(١) المسعودى ، مروج الذهب جـ١ ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٢) المقدسى ، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص ٣٥ .

(٣) عبد الرحمن عبد الكريم العانى ، دور العمانيين فى الملاحة والتجارة الإسلامية حتى القرن الرابع الهجرى . ص ١٩ (وزارة التراث القومى ، سلطنة عمان ، الطبعة الثانية ١٩٨٦م) .

يتضح أخيراً أن العمانيين اهتموا خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين بالنواحى الاقتصادية والتجارية على الرغم من اضطراب الأحوال فى عمان نتيجة للصراعات القبلية التى عصفت بعمان، إضافة إلى السياسة التى أتبعتها الدولة العباسية فى التعامل مع عمان، خصوصاً فى سنة (٢٨٠هـ/ ٨٩٣م) ، حيث أرسل الخليفة المعتضد عامله على البحرين محمد بن نور إلى عمان، فكان تدخله سبباً فى إحداث الخراب والدمار فى عمان، حيث قام بحرق المكتبات وذبح العديد من علماء وأبناء عمان، كما دمر أنظمة الرى التى كان يعتمد عليها السكان فى معيشتهم[١] ودفن الأنهار[٢] .

ورغم ذلك كله بقى الاقتصاد العمانى سنداً قوياً للدعوة الإباضية، بل أن التجار العمانيين لعبوا دوراً كبيراً فى نشر الفكر الإباضى وطرح آراء فقهائهم فى البلاد التى كانوا يتاجرون معها خاصة البلاد الواقعة على جانبى المحيط الهندى. حيث قامت عمان بدور فعال فى نشر الإسلام واللغة العربية، والحضارة الإسلامية فى مناطق بعيدة فى آسيا وأفريقيا، وكان لتجارها وملاحيها الفضل فى ذلك[٣] .

* * *

(١) اندور ويليا مسون ، صحار عبر التاريخ . ص ٣٧ ترجمة محمد أمين عبد الله (إصدار وزارة التراث القومى ، سلطنة عمان ، الطبعة الثانية ١٩٨٢م) .

(٢) مؤلف مجهول ، تاريخ أهل عمان ص ٧٤ تحقيق سعيد عاشور (إصدار وزارة التراث القومى ، سلطنة عمان ، الطبعة الثانية ١٩٨٦م) .

(٣) انظر : تفاصيل ذلك فى الفصل الرابع من الرسالة .

الفصل الرابع

العلاقات الخارجية للإمامة الإباضية فى عمان خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين

* * *

الفصل الرابع

العلاقات الخارجية للإمامة الإباضية في عمان

في القرنين الثالث والرابع الهجريين

* * *

مقدمة

أولاً : العلاقات الخارجية لإباضية عمان مع الدولة العباسية.

ثانيا: علاقات إباضية عمان مع القوى الإسلامية وغير الإسلامية المعاصرة لهم.

- علاقات إباضية الخليج العربى مع مصر .
- علاقات إباضية الخليج العربى بإباضية المغرب العربى .
- علاقات إباضية الخليج العربى مع الصين.
- علاقات إباضية الخليج العربى مع الهند.
- علاقات إباضية الخليج العربى مع أندونيسيا .
- علاقات إباضية الخليج العربى مع جزر الملايو .
- علاقات إباضية الخليج العربى مع سيلان .
- علاقات إباضية الخليج العربى مع جزر المالديف والكاديف.
- علاقات إباضية عمان مع البحرين .
- علاقات إباضية الخليج العربى مع شرق أفريقيا .

مقدمة

ارتبط تاريخ الخليج العربى وبصفة خاصة تاريخ عمان خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين ارتباطاً وثيقاً بأوضاع السلطة المركزية للدولة الإسلامية فى بغداد حيث كانت كل بلدان الخليج العربى تدين بالولاء للخليفة العباسى، وفى نفس الوقت كان بعضها يعمل للحصول على الاستقلال، ومن بين هذه البلدان كانت عمان، وكانت تدفعها للحصول على الاستقلال أسباب متعددة أهمها :

١- بعد عمان عن السلطة المركزية للدولة العباسية فى بغداد .

٢- اعتقاد أتباع المذهب الإباضى بأن حكام كل من الدولتين الأموية والعباسية قد بعدوا عن الإسلام الصحيح لذلك وجب الخروج عليهم.

٣- رغبة أهل عمان بالانفصال عن الدولة الإسلامية وتأسيس دولة تتبنى وتناصر وتنشر الفكر الإباضى الذى ارتبط بالفعل بكفاح أهل عمان من أجل الاستقلال .

٤- التوسع التجارى والاقتصادى والملاحى لأهل عمان، حتى أن المقدسى قال: «من أراد التجارة فعليه باليمن أو عمان أو مصر»[١] .

وقد أعطى الاقتصاد العمانى القوى لأهلها دافعاً قوياً ومشجعاً للاعتماد على الإيرادات الذاتية فى تمويل الحركة الانفصالية عن الدولة الإسلامية والحصول على الاستقلال الذاتى على أقل تقدير .

٥- تمتع عمان بخصائص جغرافية فريدة، فهى باشرافها على الخليج العربى،

(١) المقدسى ،أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص ٣٥.

وبحر العرب تتحكم فى المعابر البحرية والتجارية التى تربط جنوب شرق أسيا بالهلال الخصيب وبلاد الشام مما يعطيها قابلية للاستقلال والاعتماد على نفسها اقتصادياً. فضلاً عما تتمتع به فى الداخل من تنوع أنماط التضاريس، ابتداء من الشريط الساحلى المطل على الخليج العربى،ومروراً بالصحراء الرملية المجدبة التى تحيط بعمان من الشمال إلى الجنوب، ثم انتهاء بالجبال التى تعلوها المروج الخضراء الممتدة وسط عمان وعلى أطرافها[١] .

كل ذلك أعطى إباضية عمان حرية الحركة، والانسحاب إلى الصحراء والجبال للاحتماء بها فى حالة شن غارات من قبل قوات الدولة العباسية أو غيرها من القوات التى تحاول الإغارة على اتباع الحركة الإباضية فى عمان[٢] .

٦- أخيراً لابد من الإشارة إلى الإهمال المؤقت للسلطة المركزية فى الدولة العباسية للأقاليم التى تقع بأطراف الدولة، حيث إن السلطات العباسية كانت مشغولة فى مرحلة التأسيس الإباضى فى عمان بتوطيد أركان الدولة، ولم يلتفتوا إلى ما كان يجرى فى المناطق النائية البعيدة عن مركز الخلافة العباسية .

كل هذه الأسباب مجتمعة ساعدت أتباع الإباضية فى عمان على السعى وراء الانفصال عن الدولة الإسلامية والحصول على الاستقلال الذاتى، وقد تم بالفعل هذا الاستقلال حينما أعلن الإباضية فى عمان مبايعتهم للجلندى بن مسعود أول إمام ظهور (سنة ١٣٤هـ/ ٧٥٣م)[٣] . وطلبوا من بقية المسلمين مبايعته إمام

---

(١) زلوم ، عبد القادر ، عمان والامارات السبع ص ٣٤.

(٢) محمد رشيد العقيلى، الإباضية فى عمان وعلاقاتها مع الدولة العباسية فى عصرها الأول ص١٤ (اصدار وزارة التراث، سلطنة عمان) .

(٣) كان ذلك سنة (١٣٢هـ/ ٧٥١م) حيث يتزامن قيام إمامة الظهور رئاسة الجلندى فى عمان، نجاح الدعوة العباسية فى اسقاط الحكم الأموى.

للمسلمين[١] .

ومن الطبيعى أن الدولة العباسية لم تقف مكتوفة الأيدى إزاء استقلال عمان، بل كانت تحاول السيطرة عليها كما هو الحال بالنسبة لبقية الاقاليم التى حاولت الحصول على الاستقلال عن الدولة العباسية، حيث كان العباسيون يحاولون السيطرة على تلك الدول المستقلة ذاتياً وإدخالها تحت حكمها كلما واتتها الفرصة المناسبة .

ولعل زيادة طموحات الإباضية فى الاستقلال - ليس بعمان فقط- بل فى الكثير من أقاليم الدولة العباسية كالمغرب الإفريقى مثلاً، حيث انتخب هناك أبو الخطاب إماماً سنة ١٤٠هـ. وبعد ذلك بأربع سنين أسس عبد الرحمن بن رستم حكماً إباضياً فى تاهرت[٢] .

وقد كان التنسيق مستمراً بين إباضية المشرق وإباضية المغرب، لذلك أسرعت السلطة العباسية كما يذكر الطبرى[٣] بتطويق خطر الإمامة الإباضية والقضاء عليها. وقد سوغت السلطة العباسية ذلك لنفسها باعتبار الحركة الإباضية ثورة خارجة على سلطة الدولة المركزية لابد من ارجاعها إلى سيادة الخلافة العباسية[٤] .

أى أن الدولة العباسية كانت تسعى دائماً لفرض سيطرتها على عمان ولم

---

(١) السالمى، تحفة الإعيان ج١ ص ٩٠.

(٢) فاروق عمر، العباسيون الأوائل ص ١٣٢.

(٣) الطبرى، المصدر السابق ج٧ ص ٤٦٢.

(٤) محمد رشيد العقيلى ، الإباضية فى عمان وعلاقاتها مع الدولة العباسية فى عصرها الأول ص١٩.

تترك عمان تنفصل وتستقل عنها، ورغم ذلك فإن عمان كانت تسعى دائماً للحصول على الاستقلال الذاتى كلما واتتها الفرصة المناسبة. لذلك كان استقلال عمان عن السلطة العباسية استقلالاً مؤقتاً كان يحصل خلال فترات زمنية متقـطعة.

وبطبيعة الحال فإن ذلك يؤثر سلبياً على السياسة الخارجية لدولة الإباضية فى عمان ويضعف من شأنهم.

وهناك أيضاً عوامل أخرى كانت لها تأثيرات سلبية على السياسة الخارجية لإباضية عمان وأهمها بدون شك الصراع الداخلى فى عمان وتفريق الكلمة وانقسام أهل عمان على أنفسهم.

وتتناول السياسة الخارجية المنهج الذى كانت تلتزم به إباضية عمان فى إقامة علاقاتها مع الخلافة العباسية ثم مع غيرها من الدول الإسلامية وغير الإسلامية المعاصرة لها ، سواء كانت هذه العلاقات دبلوماسية أم عسكرية أم اقتصادية أم تجارية أم علمية أم ثقافية .

وقيام أى نوع من أنواع العلاقات بين الدول بعضها والبعض الآخر لايأتى من فراغ ولايأتى أيضاً عن طريق الصدفة، وإنما ينشأ ويتحقق بعد طول مدارسة لعوامل وظروف كثيرة مختلفة ومتشابكة، بل ومتعارضة فى بعض الأحيان، وكذلك بعد تحديد أسلوب أو أساليب محددة واضحة يمكن انتهاجها لتحقيق مثل هذا الهدف .

أولاً : العلاقات الخارجية لإباضية عمان مع الدولة العباسية

كانت الخلافة العباسية تحاول السيطرة على الدول المستقلة عن سيادتها وتعمل على إدخالها تحت حكمها كلما واتتها الفرصة المناسبة، ومن ثم لم يكن هناك اعتراف رسمى من قبل الخلافة العباسية باستقلال عمان، وهذا بطبيعة الحال يدل على أنه لم تكن هناك أية اتصالات رسمية أو تبادل وفود رسمية لإقامة أو مناقشة أى نوع من العلاقات ما بين الدولة العباسية من ناحية وعمان من ناحية أخرى.

أما موقف إباضية عمان من الخلافة العباسية فإنه يستنتج من نظرة فقهاء الإباضية للخلفاء العباسيين ، حيث نظروا إلى حكام الدولة العباسية على أنهم بعدوا عن الإسلام الصحيح وساروا فى خط آخر، ولهذا وجب الخروج عليهم.

وقد ارتبط كفاح أهل عمان في سبيل الحصول على الاستقلال عن الخلافة العباسية ومن قبلها الدولة الأموية بالفكر الإباضى، الذى أصبح بالفعل هو الشعار الذى رفعه أهل عمان فى مواجهة الخلافة العباسية ومحاولتهم الاستقلال عنها .

* * *

ثانيا : علاقة إباضية عمان مع القوى الإسلامية وغير الإسلامية المعاصرة لهم

تمهيد :

إن الحديث عن علاقة الإباضية فى عمان بالإباضية فى مصر والمغرب وغيرهما من البلدان الأخرى يكاد يكون من الموضوعات الصعبة للغاية والتى تشكل عبئاً كبيراً على الباحث الذى يريد أن يتطرق فى بحثه ودراسته لهذا الموضوع، والسبب فى ذلك يرجع إلى ندرة المعلومات عن هذه العلاقات التى تركها لنا قدامى الكتاب والمؤرخين وهى مجرد إشارات عابرة خلال الحديث عن علماء مذهب الإباضية فى هذه البلدان، فضلاً على أن الكثيرين من الكتاب والمؤرخين كانوا يقفون من المذهب الإباضى موقفاً معادياً على طول الخط لا لشيء اللهم إلا تأييداً ومساندة لخلفاء الدولة العباسية وحكام بعض البلدان الذين تصدوا للإباضية وبذلوا الجهد الكبير للقضاء عليها تماماً أو اضعافها على الأقل.

إذ كانت الإباضية بأفكارها السياسية المستقاه من القرآن والسنة تشكل خطراً كبيراً على الخلفاء والحكام الذين بعدوا إلى حد كبير عن الالتزام والعمل بما جاء فى القرآن والسنة وبخاصة فيما يتصل بنظام الحكم ومشتملاته.

وعلى الرغم من الجهود التى بذلت للقضاء على الإباضية إلا أنها بدعاتها المخلصين لم تضعف أو تستسلم، بل استطاع دعاة هذا المذهب - على الرغم مما لاقوه من اضطهاد بنى أمية وبنى العباس - أن يحققوا نجاحاً كبيراً فى نشر أفكارهم وترسيخ أقدامهم، وذلك بفضل رغبتهم الشديدة فى نشر دعوتهم وبث أفكارهم.

وقد ساعدهم على ذلك ماكان يمتاز به مذهبهم من اعتدال، وما كان يدعو إليه من إصلاح ومساواة وعدالة،وما كان ينادى به من تطبيق لهذه المبادىء فى ضوء أخوة الإسلام التى تجمع الجميع ولا تفرق بين عربى ومصرى وبربرى عملاً بقول الله تعالى : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذى جاء فيه : «لافضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى».

وكان لدعاة المذهب الإباضى دور كبير فى نشر المذهب بين مواطنيهم وبين غيرهم، فازداد انتشاره وكثر اتباعه. وكان الحج فرصة أو وسيلة أخرى ساعدت على نشر المذهب الإباضى بين الحجيج من خلال قيام علماء المذهب بالدعوة إلى مذهبهم بإلقاء الدروس والمواعظ والإجابة على الأسئلة وإعطاء الفتاوى، وعن طريق المناظرات التى كانت تقوم بينهم وبين غيرهم من علماء المذاهب الأخرى.

فضلاً عما كان يقوم به التجار من نشاط كبير فى الارتحال والانتقال بين عمان وغيرها من البلدان مما كان له أثر كبير على دفع الحركة الإباضية إلى الأمام، حتى انتشر المذهب بين الكثيرين فى مصر واعتنقه عدد هائل من البربر فى بلاد المغرب الأدنى والأوسط وأدى فى النهاية إلى قيام الدولة الرستمية الإباضية فى هذه البلاد سنة (١٦٠هـ/٧٧٧م) والتى استمرت فترة طويلة من الزمن .

وكان من الطبيعى أن تقوم علاقات بين هذه الدولة وبين الإباضية فى البلدان الأخرى، ومن ثم كان من الضرورى تتبع هذه العلاقات على اختلاف أشكالها من سياسية ومذهبية وثقافية وتجارية لبيان كيف دعمت هذه العلاقات من أواصر الصداقة والقربى والاتصال والترابط بين إباضية هذه البلدان رغم بعد الديار ومشقة الاتصال .

علاقات إباضية الخليج العربى مع مصر

(أ) العلاقات السياسية :

لم يكن لمصر علاقات سياسية بإباضية الخليج العربى وذلك بالمعنى المتعارف عليه بالنسبة للعلاقات السياسية.

إذ إن مصر فى هذه الفترة أومنذ أن قام بفتحها عمرو بن العاص فى عام (٢٠هـ/ ٦٤٠م) وحتى منتصف القرن الثالث للهجرة أو حتى قيام الدولة الطولونية فى القرن الثالث الهجرى (٢٥٤/٨٦٨م)، لم تكن مصر دولة مستقلة حتى يمكنها إقامة علاقات سياسية مستقلة مع غيرها من الدول ولكن الصحيح أن مصر كانت ولاية من بين ولايات الدولة الأموية، ثم إحدى ولايات الخلافة العباسية بعد ذلك، والخلافة الأموية ثم العباسية كانتا تعارضان وبشدة الخوارج وتعملان من أجل القضاء على نشاطهم ونفوذهم بل ووجودهم فى أى من بقاع الأرض التى كانت تحت سيطرة الخلافتين، فضلاً عن الدعاية الأموية ثم العباسية التى نشطت نشاطاً كبيراً فى حرب الخوارج والتشنيع عليهم والتشهير بهم والإساءة إليهم والتشكيك فيهم وفى أهدافهم وذلك من خلال كافة الوسائل الرسمية وغير الرسمية مشروعة كانت أم غير مشروعة، وكأن الخوارج ليسوا من المسلمين، بل هم قوم آخرون.

ويضاف إلى ذلك عامل آخر كان له دوره فى ألا تكون لمصر علاقات سياسية بالمعنى المعروف مع الإباضية فى الخليج العربى، وهذا العامل هو أن مصر كانت ولاية سنية تتبع خلافة سنية تناهض الإباضية وتسعى للقضاء عليها.

ولعل سعى إباضية الخليج العربى الدءوب من أجل الاستقلال عن الخلافة العباسية - بينما تتبع مصر هذه الخلافة - كان له أثره الواضح فى عدم قيام علاقات سياسية واضحة بين إباضية الخليج العربى ومصر.

ومع كل ذلك يمكن القول: إن إباضية الخليج العربى كان لهم دورهم فيما يجرى بمصر من الأحداث السياسية، حيث تشير بعض الروايات التاريخية إشارات عابرة إلى أن إباضية البصرة وعمان كذلك كانوا وراء اتصال عبد الله بن يحيى الكندى إمام الإباضية فى حضرموت واليمن (سنة ١٢٨هـ / ٧٤٤م) بإباضية مصر، وكان هذا الإمام قد نجح فى تولى الإمامة بتأييد وموافقة إباضية البصرة. كما قام وبمساعدة عسكرية من أباضية عمان، والبصرة بثورة ضد الحكم الأموى حيث تمكنت جيوشه من احتلال بلاد الحجاز وتلقب بطالب الحق (سنة ١٦٠هـ/ ٧٧٧م)[١] .

وفى الوقت نفسه أرسل إمام حضرموت واليمن وهو طالب الحق أحد الدعاة إلى مصر لدعوة الناس فيها وبخاصة الإباضية إلى بيعته، فاستجاب له نفر من قبيلة «تجيب» اليمنية ومن غيرها من القبائل التى كانت تقيم فى مصر[٢] .

ومن ثم فإن إباضية الخليج العربى فى البصرة وعمان كانوا يتصلون بالإباضية فى مصر لتحرضيهم ضد ولاتها سواء كانوا من قبل الخلافة الأموية أومن قبل الخلافة العباسية وساعد على استجابة الكثيرين من أهل مصر لدعاة الإباضية فى الخليج العربى أن عدداً كبيراً من أهل مصر كانوا قد اعتنقوا المذهب الإباضى وتعمقوا فى دراسته حتى صار منهم علماء وفقهاء وصلوا إلى مرتبة الفتيا.

وتشير المصادر إلى أنه فى عام (٢١١هـ/٨٢٦م) أيام إمامة عبد الملك بن حميد فى عمان (سنة ٢٠٨/٢٢٦هـ) قام الإباضية فى مصر بحركة ضد الحكم

---

(١) أبو الفرج الأصفهانى، الأغانى ج٢٣ ص ٢٢٤ و
ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ج٢ ص ١٩٧.

(٢) سيدة الكاشف، مصر فى فجر الإسلام ص ١٤٠.

العباسى فى عصر الخليفة المأمون،و كانت خطيرة للغاية الأمر الذى جعل الخليفة المأمون يرسل قائد جنده الشهير عبد الله بن طاهر بن الحسين فى ربيع الأول من عام ٢١١هـ / يوليو ٨٢٦م لقمع الثورة والثوار وقد نجح هذا القائد فى مهمته وانتصر على الثوار وظفر بهم[١] .

(ب) العلاقات المذهبية :

يبدو أن العلاقات بين أباضية الخليج العربى وأباضية مصر كانت فى معظمها علاقات مذهبية.

إذ انتشر المذهب الاباضى بين الكثير من المصريين بداية من القرن الثانى للهجرة ، وظل موجوداً بينهم على امتداد القرنين الثالث والرابع الهجريين إلى عصر صلاح الدين الأيوبى فى القرن السادس الهجرى. وكان هناك عوامل وأسباب أدت إلى انتشار المذهب الإباضى فى مصر، من بين هذه العوامل والأسباب ماهو رئيسى ومنها ما هو ثانوى :

فمن الأسباب الرئيسية :

ا - اضطهاد الإباضية فى البصرة وعمان:

ففى البصرة لجأ العمال الأمويون والعباسيون إلى سياسة البطش والتعذيب والنفى والقتل ضد معارضيهم بصفة عامة، ولم يستثنوا من هذه السياسة جماعة القعدة أو جماعة المسلمين التى عرفت باسم الإباضية فيما بعد.

وشدد عمال بنى أمية وعمال العباسيين فى العراق على هذه الجماعة خوفاًمن

(١) ياقوت ، معجم البلدان ج٤ ص ٢٦٥.

دعوتها التى كانت تستشرى بين الناس، وتحاشيا للشرقبل وقوعه وقمعاً للنفاق (الإباضى) قبل أن ينجم كما قالوا »[١] .

علماً بأن هذه الجماعة الإباضية فى مصر لم تتبع أسلوب الخوارج فى التطوف والعدوان وترويع الآمنين ورفع السيف فى وجه الدولة .

ومن ثم تحمس الإباضية فى الخليج العربى إلى الخروج بمذهبهم إلى مصر والأطراف البعيدة والعمل على نشر مذهبهم فيها بكل ما أوتوا من قوة، وكانوا يتمنون أن يظهر مذهبهم ولو يوماً واحداً ولايبالون بعد ذلك أن يموتوا فى آخر هذا اليوم غير نادمين[٢] .

وكان هناك من العوامل الثانوية ما ساعد على تواجد المذهب الإباضى فى مصر منها :

تكاثف وجود الأزد فى مصر :

إن تكاثف الأزد فى مصر ساعد على انتشار المذهب الاباضى فيها أو على الأقل أضفى الحماية على رجال هذا المذهب من علماء ودعاة.

ومما يجدر ذكره هنا هو أن المذهب الأباضى قام فى البصرة على أيدى رجال من الأزد العمانيين، كما أن عمان ومعظم سكانها من الأزد احتضنت هذا المذهب بعد أن انتشر فيها . وكان هؤلاء الأزد من أزد عمان الذين كانوا قد قدموا ويرجع الوجود الأزدى فى مصر إلى عصر الفتوحات نفسه مع عكرمة بن أبى جهل بعد انتهاء مهمتة في عمان وفى حضرموت واليمن، ثم توجهه مع الجيوش التى أرسلها الخليفة

(١) ابن الأثير، الكامل فى التاريخ ج٢ ص ١٨٢.

(٢) الدرجينى ، طبقات المشايخ بالمغرب ج٢ ص ١١، ١٢.

أبو بكر الصديق رضى الله عنه لفتح بلاد الشام وفيها كثير من الأزد وعرب الجنوب.

وبعد فتح الشام قام عمرو بن العاص بفتح مصر قادماً إليها من فلسطين، وان أغلبية جيش عمرو من الأزد وعرب الجنوب بصفة عامة[١] وكان بعض هؤلاء الأزد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم مثال ذلك جنادة بن أبى أمية الأزدى الذى فتح - فيما بعد - جزيرة قبرص ورودس وأرواد وكريت[٢] .

ولم يقتصر تواجد الأزد فى مصر على أزد الفتح، بل إن بعضهم جاء إليها مهاجراً بعد ذلك،كماأن بعضهم جاء إليها مبعداً من بلاده التى كان يسكنها. مثال ذلك ما حدث من هجرة نفر كبير من أزد البصرة، وهم عمانيون بلا شك، إلى مصر بعد أن أبعدهم إليها والى البصرة زياد بن أبيه. وكان هذا الوالى قد اتهمهم بممالأة أعدائه ومساعدتهم ضده، فأقبلوا إلى مصر ونزلوا فى الفسطاط بموضع يقال له الظاهر.

وقد ارتاح هؤلاء الأزد وطابوا نفساً بسكناهم فى مصر لنزولهم بين قومهم من عرب الجنوب[٣] .

وقد شارك هؤلاء الأزد الذين اشتركوا فى فتح مصر واستقروا فيها أو قدموا إليها بعد ذلك فى الأحداث السياسية التى مرت بها مصر فى عهد الخلافة الراشدة[٤] .

---

(١) حسن محمود، الإسلام والثقافة العربية فى افريقية ص١٠١ (الطبعة الثالثة، دار الفكر ، ١٩٨٦) .

(٢) الطبرى، ج٥ ص ٢٨٨، ٢٩٣، ٣٢٢.

(٣) ياقوت ، معجم البلدان ج١ ص ٣١١-٣١٢.

(٤) الكندى، ولاة مصر تحقيق حسين نصار ص ٣٩، (دار صادر، بيروت) .

ولاشك أن دعاة المذهب الاباضى عندما أقبلوا من البصرة إلى مصر وجدوا دعماً ومساندة من هؤلاء الأزد خصوصًا وأن الفترة كانت فترة سلام بين الخلافة الأموية فى عهد سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز وبين الإباضية والأزد بصفة عامة. حيث إن سليمان رفع من شأن الأزد وولاهم العراق كما أن عمر بن عبد العزيز جاور الإباضية وسالمهم ولم يتعرض لهم بسوء. ولذلك انتشر المذهب فى مصر دون أن يلقى معارضة كبيرة .

وعلا نفوذ الأزد فى مصر علواً كبيراً على عهد الخلافة العباسية إذ إنهم ساندوا قيام هذه الخلافة منذ البداية. وسارع أزد مصر فى البيعة لأول خلفاء بنى العباس، فكافأ العباسيون الأزد بأن ولوهم أكبر الولايات وأسمى الوظائف، وصار أبو عون عبد الملك بن يزيد الهنائى من أزد عمان والياً على مصر.

واستمر العباسيون يواصلون سياستهم الخاصة بتولية الأزد على إمارة مصر وعلى قضائها وشرطتها كذلك .

ومما لاشك فيه أن دعاة المذهب الأباضى فى مصر وجدوا العون والمساعدة بشكل غير علنى من هؤلاء الأزد ذوى الأصل العمانى أو غير العمانى لأن مصر كانت ولاية تتبع خلافة سنية، ومع ذلك فقد وجد هؤلاء الدعاة الأمن والحماية واطمأنوا على أنفسهم، ولذلك لم نسمع عن اضطهاد وقع على الإباضية فى مصر من قبل الولاة أو الحكام الذين تولوا حكمها فى عهد بنى أمية أو عهد بنى العباس.

(جـ) العلاقات الثقافية :

قامت بين الإباضية فى عمان وبين الإباضية فى مصر علاقات ثقافية وطيدة وقوية، وكان لهذه العلاقات أثرها الفعال والأكيد فى توثيق الروابط وازدياد الصلات بين الجماعتين. وقد تعددت مظاهر هذه العلاقات الثقافية وتنوعت .

١- الزيارات والرحلات المتبادلة بين علماء الإباضية :

لقد قام علماء الأباضية في عمان برحلات إلى مصر، وقام علماء الإباضية فى مصر برحلات إلى عمان، غير أن هذه الرحلات كانت قليلة أو نادرة فى القرن الثانى الهجرى ثم تتابعت وزادت فيما تلا ذلك على امتداد القرنين الثالث والرابع للهجرة.

وكان شعيب بن المعروف أول علماء الإباضية فى مصر قد قام برحلات إلى البصرة والمغرب وكان بصحبته مجموعة من علماء الإباضية فى مصر .

٢- التقاء علماء الإباضية فى موسم الحج ، والجوار فى مكة :

لقد تم التقاء علماء أباضية عمان بعلماء أباضية مصر فى بلاد الحجاز منذ وقت مبكر، واستمر طوال عصور التاريخ الإسلامى، ومن العوامل التى ساعدت على استمرار هذا اللقاء ما يلى :

١- أن الإباضية كانوا من أكثر الناس حجاً، وكان الأئمة الإباضية يشجعون الناس على أداء هذه الفريضة، وكانوا هم أنفسهم يخاطرون بالذهاب إلى بلاد الحجاز لأدائها، كما كان علماء الإباضية يأتون من مصر للحج، ومنهم من كرر الحج مرات عديدة .

وكان هؤلاء العلماء الإباضية يجتمعون فى بلاد الحجاز يتبادلون الرأى والمشورة ويصدرون الفتاوى ويردون على أسئلة الحجيج من الإباضية وغيرهم، ويصدرون أحكامهم فيما يرد إليهم من مسائل فقهية أو مذهبية، فإذا حدث خلاف بين الإباضية فى أى بلد من بلدانهم، كان أصحاب هذا الخلاف غالبًا ما ينتهزون فرصة تجمع علمائهم فى موسم الحج ويرسلون إليهم بشكاواهم أو أسئلتهم، فيصدرون لهم الفتوى.

وقد قام الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم بإرسال رسوليه إلى مصر ومكة حيث قابلاً فى مصر الفقيه الاباضى المصرى محمد بن عباد ، وفى مكة الفقيه الاباضى البصرى العمانى الربيع بن حبيب الفراهيدى الازدى لأخذ الفتوى فيما نشب بينه وبين ابن فندين من خلاف ونزاع .

وكان من الفقهاء المجاورين فى مكة فى عصر ابن سلام الاباضى فى القرن الثالث للهجرة مائة وخمسون من الاباضية، منهم خمسة وعشرون من أهل عمان وحدها ، وعديد ومن أهل البصرة ومصر وغيرها .

٣- تبادل المراسلات والكتب العلمية والفقهية والأدبية :

لم يكن اللقاء فى موسم الحج متاحاً للكثيرين من الحكام والأئمة الإباضية إذ كان المشهورون منهم لايذهبون إلى الحج خوفاً من أن يقعوا فى قبضة العباسيين، فيكون اضطهادهم وتعذيبهم وسجنهم كما حدث مع ابن الإمام أفلح بن عبد الوهاب الذى أودعه العباسيون السجن فى بغداد.

فاستعاض علماء الإباضية بالمراسلة عن الحج، حيث كانوا يتراسلون فيما بينهم، فيرسل بعضهم بالأسئلة والاستفسارات، ويرد عليهم أخوانهم فى شكل

رسائل مطولة أو فتاوى قصيره .

ولم يقتصر التعاون العلمى والفقهى بين أباضية عمان وأباضية مصر على طلب الفتوى أو الرد على الاستفسارات وإرسال الرسائل ، وإنماكان الإباضية هنا وهناك يروون العلم بعضهم عن البعض الآخر ،ويأخذون من مدونات بعضهم البعض، ويطلبون ما عند إخوانهم فى البلدان المتباعدة من كتب.

ووصلت كتب إباضية عمان إلى مصر.وكانت هذه الكتب تصل إليهم على أيدى العلماء الذين كانوا يتبادلون الرحلات والزيارات ومع التجار وأثناء موسم الحج الذى كان فرصة ممتازة لالتقاء إباضية عمان والبصرة بإباضية مصر.

وقد كان أئمة الأباضية وشيوخهم فى مصر يحرصون على استقدام كتب العلم الإباضية وغير الاباضية(١) .

وقد درس الإباضية فى مصر مدونة أبى غانم بشر بن غانم الخراسانى وذلك بعد أن وصلت إليهم هذه المدونة وقاموا بنسخها، ولذلك كان اعتماد الإباضية المصريين فى الفقه على هذه المدونة، وفى الحديث على كتب الربيع بن حبيب الفراهيدى الأزدى العمانى.

وكما أفاد المصريون من كتب العمانيين من الإباضية، فقد أفاد الأباضية من العمانيون من كتب المصريين، وذلك من خلال لقاءاتهم بالعلماء المصريين الذين كانوا يرحلون إلى عمان أو أثناء التقائهم بهم فى مكة أثناء موسم الحج.

(١) الدرجينى، طبقات المشايخ بالمغرب ج٢ ص ٢٤٧، ٢٤٨ (تحقيق إبراهيم طلاى، مطبعة البعث الجزائر - ١٩٧٤م) .

ويلاحظ أن الكتب التى تبـودلت بين إباضية عُمان إباضية مصر كان معظمها خاصاً بالمذهب وما صنف فيه، وفى مشايخ وعلماء الاباضية، غير أن الإباضـية تبادلوا الكتب فى غير المذهب سواء فى الأدب أم الشعر أم النحو أم غير ذلك .

وهكذا تنوعت وتعددت مظاهر العلاقات والاتصالات الثقافية والفكرية بين إباضية عمان من جهة وبين إباضية مصر من جهة أخرى، حيث كان لها أكبر الأثر فى استفادة علماء كل بلد من علم زملائهم فى البلدان الأخرى وإلى تنشيط حركة التأليف والتدوين فى الفقه الأباضى والعلوم الدينية وغيرها من العلوم، وإلى إثراء كبير فى مجال الحركة العلمية الأباضية على وجه الخصوص فى القرنين الثالث والرابع للهجرة.

د- العلاقات التجارية :

لقد اشتغل كثير من العلماء والإباضية فى كل من عمان ومصر وغيرهما من البلدان التى يتواجد فيها الإباضية، بالتجارة أثناء الزيارات التى قام بها بعضهم للبعض الأخر .

وكان العمل فى التجارة أثناء مرحلة السرية للدعوة الأباضية وسيلة للكسب ووسيلة للتخفى والنجاة من مطاردة الأمويين والعباسيين، ولقد نشط الأباضية فى التنقل بتجاراتهم من بلاد المشرق إلى مصر إذ كانوا تجاراً من الطراز الأول، وكانوا يعتمدون فى حياتهم بصفة رئيسية على التجارة.

وقد ساعد الأباضية فى عمان والبصرة على العمل بالتجارة وعلى الاتصال التجارى بأباضية مصر أن عمان والبصرة كانتا أهم المراكز التجارية الواقعة على الخليج العربى وفى المشرق الإسلامى بصفة عامة، كما أن العمانيين كانوا من أنشط

التجار فى المحيط الهندى وبحر الصين، كماكانوا يجلبون السلع الافريقية من ساحل شرقى افريقيا .

وقد استغلوا هذه الفرصة أحسن استغلال، حيث دعموا علاقاتهم بالبلدان الإسلامية بصفة عامة وبالبلدان الإباضية المذهب أو التى يوجد بها أباضية مثل مصر بصفة خاصة، ساعدهم على ذلك وجود طرق عديدة برية وبحرية تربط فيما بين البصرة وعمان وبين مصر وبلاد المغرب .

وكانت تجارة البصرة وعمان تأتى إلى موانى جدة والحجاز، ومنها تسير بالسفن إلى موانى مصر البحرية وخاصة ميناء القلزم (السويس)، ومنه كانت تحمل متاجر الشام ومصر وبلاد المغرب إلى بلاد الحجاز واليمن وعدن وعمان وسواحل الخليج العربى وإلى بلاد السند والهند والصين[١] .

وكان هناك طريقان آخران يربطان مصر تجارياً بعمان والبصرة، أولهما: هو الطريق البحرى الذى يصل ميناء القلزم (السويس) بزبيد وعدن مباشرة عبر البحر الأحمر، وثانيهما: الطريق الذى يمر عبر نهر النيل أو على شاطئه حتى مدينة قوص فى أعالى صعيد مصر، ومنها يجتاز التجار الصحراء الشرقية إلى ميناء عيذاب أو ميناء القصير، وهما الميناءان المصريان اللذان يقعان على البحر الأحمر، ومنهما يركب التجار هذا البحر إلى زبيد أو عدن[٢] .

ولقد ازدهرت التجارة التى كانت تمر عبر هذه الطرق التجارية العديدة ازدهاراً كبيراً ولعبت مصر دوراً هاماً فى هذا الازدهار، إذ كانت تمثل دور الوسيط التجارى

(١) الاصطخرى، المسالك والممالك ص ٣٣.

(٢) القلقشندى، صبح الأعشى ج٥ ص ١٧ (وزارة الثقافة ، القاهرة) .

بين الشرق والغرب[1] أو بين عمان والبصرة من جانب وبلاد المغرب من جانب آخر وأصبحت مخزناً لمختلف البضائع المشرقية والمغربية[2] وأصبحت موانيها وأسواقها تعج بالتجار من شتى الأجناس والملل وبمختلف أنواع السلع وضروب التجارة، وكانت خير رابط بين أباضية المشرق وأباضية المغرب.

وهكذا نرى أن العلاقات بين أباضية الخليج العربى وأباضية مصر - فى القرنين الثالث والرابع للهجرة - كانت مزدهرة ومتألقة فى جوانبها المتلفة : السياسية والمذهبية والثقافية والتجارية وذلك منذ أن ظهر المذهب فى مصر وانتشر بين كثير من أهلها .

وقد ترتب على قيام علاقات وطيدة بين أباضية عمان وأباضية مصر نتائج هامة منها :

أ - انتشار المذهب الاباضى فى كثير من أنحاء بلاد المغرب والصحراء والسودان وذلك نتيجة لقدوم العلماء الأباضية من عمان والبصرة إلى هذه البلدان، ونتيجة لسيل الكتب الإباضية الذى انهمر عليها من البصرة وعمان ، فضلاً عن التواصل الفكرى واللقاء فى موسم الحج فى بلاد الحجاز.

ب- إمداد عمان بطاقة روحية كبيرة جعلتها تصمد أمام عتو الخلافة العباسية فى أوج ازدهارها، إذ أحس أباضية عمان بأنهم لايقفون فى الميدان وحدهم ضد هذه الخلافة .

جـ- تحقيق الوحدة الفكرية والمذهبية بينهما، إذ كان لهما موقف موحد إزاء

(١) سيدة الكاشف، الاهتداء ص ٢٨٦.

(٢) المرجع السابق ص ١٩٣.

المسائل الفكرية والمذهبية والسياسية التى عرضت لهما. ومما يدل على تحقق الوحدة الفكرية والمذهبية وعلى سيادتها عند جمهور أباضية المشرق والمغرب ، عدم رضا جمهور أباضية مصر ومشايخها بما فعله شعيب بن المعروف وأتباعه من الخروج على مااتفق عليه الإباضية فى بعض النواحي الفقهية الخاصة بالمذهب وخالفهم فيها شعيب وأبو المؤرج عمر بن محمد.

د- انتشار اللسان العربى بين سكان جنوب الصحراء الكبرى وبلاد السودان الغربى، بالإضافة إلى تشجيع ودعم حركة التعريب فى بلاد البربر. حيث أخذت هذه الحركة فى هذه البلاد دفعة قوية نتيجة لامتزاج واختلاط التجار والعلماء المشارقة بالتجار والعلماء المغاربة من الإباضية وكذلك المصريون .

* * *

علاقات إباضية الخليج العربى بإباضية المغرب العربى

لقد انتشر المذهب الاباضى انتشاراً واسعاً بين المغاربة وحقق نجاحاً منقطع النظير حتى استطاع هؤلاء المغاربة أن يقيموا لهم دولة أباضية سنة ١٣٤هـ ٧٥٣م وكذلك سنة ١٦٠هـ ٧٧٧م، وهى الدولة الرستمية التى شمل سلطانها معظم أراضى المغربين الأدنى والأوسط.

وكانت هناك أسباب رئيسية وعوامل مساعدة كان لها أثرها الكبير فى انتشار المذهب الاباضى فى المغرب، هى نفسها الأسباب والعوامل التى أدت إلى انتشار المذهب الإباضى فى مصر[١] .

ومما يجدر ذكره فى هذا المقام هو أنه إذا كان وجود الأزد فى مصر من العوامل التى ساعدت علي انتشار المذهب الاباضى بين كثير من أهلها وارتباطهم بإباضية الخليج العربي، فإن وجود الإباضية فى بلاد المغرب أدى نفس الوظيفة،إذ كان عرب الجنوب أغلبية العرب فى بلاد المغرب بأجزائه الثلاث: الأدنى والأوسط والأقصى.

وقد غلب الأزد وعرب الجنوب بصفة عامة على هذه البلاد المغربية، ولا شك أن هذا الوجود الأزدى واليمنى أعطى دعماً للأباضية فى المغرب العربى فقد كان أئمة الأباضية الأوائل فى المغرب العربى من عرب الجنوب، والمثال على ذلك هو عبدالله بن مسعود التجيبى، والحارث بن تليد الحضرمى وقاضيه أو وزيره عبد الجبار ابن قيس المرادى، وأبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافرى[٢] .

---

(١) راجع أسباب انتشار المذهب الأباضى فى مصر فى نفس هذا الفصل.

(٢) أبو زكريا، سير الأئمة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبى زكريا، تحقيق إسماعيل العربى ص ١٦، ٥٧-٩٩، الطبعة الثانية، بيروت - ١٩٨٢م).

وكان تطرف الصفرية فى بلاد المغرب من العوامل التى ساعدت على انتشار المذهب الأباضى فيها ، إذ كان الخوارج الصفرية ذا تطرف شديد فى معاملتهم لخصومهم سواء كانوا من العرب أم من البربر، فقد كانوا يستحلون سبى النساء وسبى أهل الذمة، ويستحلون الأموال ويسفكون الدماء[١] وقد أدى تطرف الصفرية إلى :

أ - كراهية البربر للصفرية حتى أنهم قاموا ضدهم فى كثير من المواقف، وأقبلوا على الإباضية ومالوا إليهم وبخاصة بعد أن رأوا أن الإباضية يغيثون أهل القيروان من ظلم وفجور قبيلة ورفجومة .

ب- انتشار المذهب الأباضى بين كثير من البربر الذين لم يكونوا قد اعتنقوه، بعد أن لمسوا بأنفسهم مدى السماحة والاعتدال الذى يتصف به الاباضية.

أ - العلاقات السياسية :

لقد نمت العلاقات السياسية بين أباضية عمان وأباضية المغرب فى ظل دولتى الأباضية فى المغرب، أولهما دولة أبى الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافرى التى أقامها فى عام ١٤٠هـ/٧٥٧م فى بلاد المغرب الأدنى وخصوصا فى إقليم طرابلس وجبل نفوسة وامتد حكمها ليشمل جزءاً كبيراً من ولاية افريقيا وبخاصة القيروان والمناطق المحيطة بها ، وثانيهما الدولة الرستمية التى أقامها عبد الرحمن بن رستم الفارسى فى عام ١٦٠هـ/ ٧٧٦م فى تاهرت فى بلاد المغرب الأوسط، وامتد حكمها ليشمل معظم بلدان المغربين الأدنى والأوسط، وعاصرت قيام إمامة الظهور (فى عمان سنة ١٧٧هـ/ ٧٩٤م) .

---

(١) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها ص ٢١٩، ٢٢٣ (ليدن - ١٩٢٠م) .

فقد قامت الدولة الأولى للأباضية فى بلاد المغرب بجهود الدعاة الذين أرسلهم مشايخ المذهب الأباضى فى عمان، ولم يتم اختيار أبى الخطاب لإمامة ورياسة الدولة إلا بإشارة شيخ المذهب وإمام الكتمان فى البصرة وهو أبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة.

وتوطدت العلاقات بين مركز الدعوة فى البصرة وبين قواد الدعوة والدولة فى بلاد المغرب، وكان أباضية البصرة حريصين كل الحرص على نجاح واستمرار هذه الدولة الوليدة .

ومع بدء قيام الدولة الإباضية الثانية (الرستمية) حرص أباضية عمان والبصرة على مساندة الدولة بكل ما لديهم من إمكانات مادية وغير مادية ، وذلك من خلال الاعتراف بإمامها إماماً لكل الأباضية سواء فى المشرق أم فى المغرب وبتقديم العون لها من الناحية المادية ، والمساهمة فى حل مشاكلها السياسية والمذهبية بإرسال النصائح والفتاوى اللازمة لحل هذه المشاكل .

وقد اعترف أباضية عمان بإمامة عبد الرحمن بن رستم[١] ، وأن إمامته أصبحت لازمة لأباضية المشرق والمغرب معاً.

وكان أباضية عمان يرسلون رسلهم لتفقد أحوال أباضية المغرب والوقوف على مشاكلهم ولتوطيد أواصر الصداقة والمودة والتواصل معهم فى جميع الأحوال والظروف[٢] .

---

(١) ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين،تحقيق محمد ناصر وإبراهيم بحار ص ٣٧، ٣٨ (لبنان - ١٩٨٦).

(٢) تاريخ أبى زكريا ص ٨٤، و
انظر: الدرجينى، المصدر السابق ص ٢٤٨، ٢٤٩ ، و
انظر: الشماخى، كتاب السير . جزءان تحقيق أحمد بن سعود السيابى (١٩٨٧ - مسقط).

وجاء كثير من أباضية المشرق إلى بلاد المغرب للعمل بالتجارة أو الاشتغال بالعلم ونشر المذهب بين البربر، أو هرباً من اضطهاد العباسيين لهم، وهكذا تدفق المشارقة من علماء وتجار وحرفيين وصناع على بلاد المغرب بصفة عامة وعلى تاهرت بصفة خاصة لما توافر فيهامن أمن وأمان وعدالة وسماحة وبنى هؤلاء المشارقة من البصريين والكوفيين والمصريين وغيرهم الدور والقصور والمساجد والمحلات التجارية[1] .وكان هذا الازدهار وهذه القوة نتيجة طبيعية للعلاقات السياسية والمذهبية الوطيدة التى ربطت بين أباضية المغرب وأباضية عمان .

ب - العلاقات الثقافية :

لقد كان للعلاقات الثقافية الوطيدة التى قامت بين الأباضية فى عمان والأباضية فى المغرب أثر فعال فى توثيق الروابط وازدياد الصلات بين الجماعتين، وقد تعددت مظاهر هذه العلاقات الثقافية وتنوعت .

(أ) الزيارات والرحلات المتبادلة بين علماء الأباضية :

تشير المصادر الأباضية إلى وصول عالم أو علماء من أباضية البصرة إلى جبل نفوسة بليبيا ثم إلى تاهرت بالجزائر لزيارة أهل الدعوة من الإباضية وللإطلاع على أحوالهم فى هذه البلاد، ولاختبار مدى تعمقهم فى المذهب ومدى دراستهم له .

وقد خرج العالم الكبير أبو غانم بشر بن غانم الخراسانى من البصرة متوجها إلى بلاد المغرب لزيارة الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (سنة١٦٠هـ/ ٧٧٧م) ، وفى جبل نفوسه وقبل أن يصل إلى تاهرت، التقى بعالمها الكبير

---

(١) ابن الصغير، المصدر السابق ص ٣٦، ٣٧.

عمروس بن فتح النفوس وترك معه مدونته للاطلاع عليها ، فقام عمروس بنسخها[١] . وقد تمكن بعض الأباضية فى جبل نفوسة من كتابة القرآن وحفظه على يد هؤلاء الواردين المشارقة الذين كانوا يمرون بهذا الجبل[٢] .

لقد أتى العالم المشرقى الكبير ابن الجمع إلى مصر ومنها رحل إلى بلاد المغرب فى القرن الرابع للهجرة حيث التقى فى مدينة توزر ببلاد الجريد فى تونس بعالم الأباضية أبى الربيع سليمان بن زرقون النفوس، وهناك أخذ ينشر علمه وفقهه بين كثير من أباضية المغربين الأدنى والأوسط ، وكان يتنقل فى القرى والمدن مصطحباً معه أبا الربيع. وبلغ بهما الترحال إلى مدينة سجلماسة فى جنوب المغرب الأقصى، حيث أخذ ابن الجمع يعلم أهلها[٣] .

ولاشك أن علماء الأباضية الذين توافدوا إلى بلاد المغرب كانوا يفدون إلى مصر أولاً ويستقرون فيها بعض الوقت حيث يقابلون من فيها من الأباضية ويتعرفون على أحوالهم، ثم يقومون باستئناف الرحلة لزيارة إخوانهم من أباضية المغرب.

ووصل بعض العلماء والطلبة الأباضية المغاربة إلى عمان لتلقى المزيد من العلم والدراسة .

ويحكى لنا ابن الصغير الذى عاصر نهاية الدولة الرسمية أن أحد علماء

---

(١) الدرجينى المصدر السابق ج٢ ص ٣٢٠ و
انظر : الشماخى المصدر السابق ج١ ص ١٩٤.
(٢) الشماخى، المصدر السابق ج١ ص١٢٧.
(٣) أبو زكريا المصدر السابق ص ١٩٣، و
انظر : الدرجينى، المصدر السابق ج١ ص ١٠٩ - ١١٠.

الأباضية فى عصر أبى اليقظان محمد بن أفلح (٢٦١-٢٨١هـ/٧٨٤م-٨٩٤م) ويسمى عبد العزيز بن الأوز كانت له رحلة إلى المشرق، والمقصود بالمشرق هنا إما البصرة أوعمان أو الاثنين معاً. وكان هذا العالم ذا فقه بارع وصيت ذائع[١] .

ب - إلتقاء علماء الأباضية فى موسم الحج، فى مكة :

لقد تم اللقاء بين علماء أباضية عمان وعلماء أباضية المغرب فى بلاد الحجاز منذ وقت مبكر، واستمر طوال عصور التاريخ الإسلامى ولقد دفع علماء الأباضية فى المغرب للتجمع فى بلاد الحجاز فى موسم الحج ، هو تشجيع الأباضية للعلم والعلماء وحرصهم على التعلم، وكان اللقاء فى مكة هو أحد الوسائل الهامة لتحصيل هذا العلم .

ومن المعروف أن الإمام الأول للدولة الرستمية وهو عبد الرحمن بن رستم له تفسير منسوب إليه، وله ديوان نفيس، وله أيضاً رسائل متعددة وأجوبة كثيرة فى فنون العلم بعضها موجود وبعضها مفقود[٢] . كما كان ابنه الإمام عبد الوهاب وأخوه يتعلمان مسائل الفرائض والشريعة ونبغا فى ذلك حتى تعلم منهما الكثيرون من أهل المشرق والمغرب[٣] .

وتتواتر الأخبار باشتغال معظم الأئمة الرستميين الآخرين بالفقه والعلم مما شجع كثيراً من الناس علي طلب العلم وتحصيله والاشتغال به وتعليمه، ولذلك كثرت الرحلة فى طلبه. وكان الحج من الرحلات المفيدة فى هذا الصدد .

(١) ابن الصغير، المصدر السابق ص ٩٩.

(٢) الشماخى، المصدر السابق ج١ ص ١٦٧.

(٣) أبو زكريا ، المصدر السابق ص ٩٩ .

ومن المجاورين من علماء الأباضية بمكة الفقيه أبو مروان العباس بن الوضاح، وسفيان بن محبوب الكندى، وهما من المغاربة .

ويحدثنا الدرجينى وغيره بأن الأباضية حجوا حجة لم يحجها مغربي قبلهم ولا بعدهم نظراً لاجتماعهم واتفاقهم .

جـ- تبادل المراسلات والكتب العلمية والفقهية والأدبية:

وفى حالة تعذر اللقاء بين علماء الأباضية فى كل من عمان والمغرب أو تعذر الانتقال إلى مكة فإن الأباضية كانوا يستعيضون عن ذلك بالمراسلة. فقد كانوا يتراسلون فيما بينهم للاستفسار وإصدار الفتاوى.

فقد قام محمد بن محبوب بن الرحيل سنة ٢٦٠هـ-٨٧٣م وكان يعيش فى عمان بالكتابة إلى أهل المغرب فى شأن الذين يقومون بأعمال تخالف ما يأمر به الإمام كما أنه كتب على لسان إمام عمان الصلت بن مالك ٢٣٧هـ ٨٥١م- ٢٧٣هـ - ٨٨٦م رداً على بعض الأسئلة التى كان قد أرسلها إليه أهل المغرب بخصوص العالم أو الإمام أو القاضى أو العامل الذى يتلقى الهدية من الناس[(١)] .

ولم يقتصر التعاون العلمى والفقهى بين أباضية المغرب والمشرق على جانب طلب الفتوى أوالرد على الاستفسارات وإرسال الرسائل وإنما كان الأباضية هنا وهناك يروون العلم بعضهم عن البعض الآخر ويطلبون تأليف كتاب يعن كما حدث عندما طلب أباضية عمان من إخوانهم أباضية المغرب أن يؤلفوا لهم كتاباً فى سيرة مشايخ المذهب من المغاربة، فقام الدرجينى على هذاالعمل خير قيام.

---

(١) أبوعبد الله الكندى، بيان الشرع ج٢٨ ص ١٩٥ (٧٢ مجلد، مسقط ١٩٨٤ - ١٩٨٨م) .

وروى المغاربة عن أباضية عمان والمشرق، فصالح يعلو بن صالح الصدوينى يأخذ برأى أبى صالح الدهان أحد مشايخ الإباضية فى عمان فى بعض المسائل الفقهية[١] .

ومن الكتب العمانية الهامة التى وصلت إلى بلاد المغرب، كتاب الدعائم لأحمد ابن النظر العمانى، وكان هذا الكتاب محل دراسة وتقدير حتى إن الإباضية هناك كانوا يعتبرون ماخالفه فهو مخالفًا للسنة[٢] .

وكما أفاد المغاربة من كتب العمانيين من الاباضية، فقد استفاد العمانيون من الأباضية من كتب المغاربة وذلك من خلال لقاءاتهم بالعلماء المغاربة الذين كانوا يرحلون إلى عمان أو عند لقائهم بهم فى مكة أثناء موسم الحج .

وقد وصل إلي عمان عدد وفير من كتب الأباضية فى المغرب حيث تكثر الإشارة عند بعض أباضية عمان إلى الاستفادة من هذه الكتب.

جـ - العلاقات التجارية :

كان اشتغال كثير من العلماء والحجاج الأباضية فى المشرق والمغرب بالتجارة فرصة عظيمة للدعوة إلى المذهب ووسيلة للكسب وكان للطرق التى ربطت بين مصر وبلاد المغرب سواء البحرية أم البرية أم الصحراوية دور كبير فى ازدهار النشاط التجارى بين الخليج العربى والمغرب العربى .

وازدهرت الحركة التجارية فى القرن الثالث للهجرة، إذ إن التجار الرستميين الإباضية استعملوا الطرق والسبل التى توصل إلى بلاد السودان وإلى جميع البلدان

---

(١) الشماخى، المصدر السابق ج٢ ص ١٣٦.

(٢) الدرجينى، المصدر السابق ج٢ ص ٤٨٦، ٤٨٧.

من مشرق ومغرب فى عهد الإمام عبد الرحمن بن رستم الفارسى[١]

ووقد أصبحت تاهرت عاصمة الدولة فى عهده وعهد أولاده وأحفاده ملتقى التجار الذين وفدوا بتجاراتهم من كل الأمصار والآفاق، من البصرة والكوفة ومصر وافريقية والمغرب هرباً من ولاة العباسيين واضطهاداتهم، وكثر استقرار الإباضية فى تاهرت وفى نواحيها، وبنوا فيها المنازل والقصور والمساجد من أجل الاستقرار والعمل فى هذه التجارة الواسعة .

وقد بلغ من كثرة التجار الذين كانوا يفدون من المشرق (الخليج العربى) ومصر إلى بلاد نفوسه وإلى تاهرت وسائر بلدان الإباضية فى المغرب العربى أن بعض علماء نفوسة حفظوا القرآن وتعلموا العلم عن طريق جلوسهم فى الطرق التى يمر بها هؤلاء التجار الإباضية، إذ كانوا ينتظرون قدومهم ويترقبون حضورهم فيجلسون بين أيديهم ويأخذون عنهم ويتعلمون منهم ، ثم ينتظرون قافلة أخرى يتعاملون معها بنفس الأسلوب[٢] .

وقد ساعد على ازدهار هذه الحركة التجارية ما قام به أئمة الدولة الرستمية من حمايتهم للتجار واشتغالهم - أنفسهم - بالتجارة قبل توليهم الإمامة، وتشجعيهم لهذا الضرب من ضروب النشاط الاقتصادى، فقد كان أول إمام للدولة الرستمية وهو عبد الرحمن بن رستم ، يعمل بالتجارة، ثم عمل بالتجارة أيضاً ابنه عبد الوهاب وهو الإمام الثانى للدولة[٣] .

(١) ابن الصغير، المصدر السابق ص ٣٦.

(٢) الشماخى، المصدر السابق ج١ ص ١٢٧.

(٣) أبو زكريا، المصدر السابق ص ٥٦.

ثم ازداد هذا النشاط التجارى نظراً لما قام به الإمام أفلح بن عبد الوهاب (٢٠٨هـ٨٢٣- ٢٤٠هـ٨٥٤) من توفير الأمن والأمان للتجار ومايحملونه من سلع، وذلك بتوفير الحراسة للقوافل والطرق التى تمر فيها هذه القوافل[١] .

وكان من مظاهر ازدهار الحركة التجارية بين عمان والمغرب أن صارت تاهرت عاصمة كبيرة متألقة بين حواضر المغرب الكبري فى ذلك الوقت حتى أصبحت تسمى بالعراق الصغير، أو عراق المغرب ، تشبيها لها ببلاد العراق التى كانت تزدحم بمختلف الأجناس والملل[٢] وتزخر بشتى أنواع الأنشطة الاقتصادية والتجارية بحكم كونها عاصمة للدولة الإسلامية المترامية الأطراف.

والحقيقة أن أباضية المغرب بصفة عامة كانوا على نفس هذه الصفة وكانت بلادهم على نفس هذا الحال من تباين الأجناس واختلاف التجار إليها وتنوع مظاهر الحياة الاقتصادية فيها وازدهارها إلى حد كبير وقيام أهلها بالعمل فى التجارة .

وكان من نتائج العلاقات بين أباضية المغرب وأباضية عمان، تدعيم الدولة الأباضية فى بلاد المغرب وعمان فى المجالات السياسية والمذهبية والمادية والثقافية، كما نتج عن هذه العلاقات تحقيق الوحدة الفكرية بين أباضية عمان وأباضية المغرب، فضلاً عن انتشار الإسلام بين كثير من البربر وبخاصة فى الصحراء الكبرى وبين السودانيين والزنج جنوب هذه الصحراء وكان ذلك بفضل دعاة المذهب الأباضى القادمين من المشرق .

(١) ابن الصغير، المصدر السابق ص ٧١.

(٢) محمد عيسى الحريرى، المرجع السابق ص ٢٣٤.

ومن النتائج الأخرى التى ترتبت على توثيق أواصر العلاقات بين إباضية عمان وإباضية المغرب تشجيع ودعم حركة التعريب فى بلاد البربر.

ونسمع أنه يوجد فى بلاد المغرب أسر ومدن كانت ولا زالت تحمل أسماء عمانية مثال مدينة أوزكى وهى إحدى مدن الدولة الرستمية[١] وكما يلاحظ فإن هذه المدينة تحمل نفس اسم المدينة العمانية الشهيرة ازكى.

وهناك أثر آخر لهذه العلاقات وهو انتقال الفن المعمارى المشرقى فى البناء إلى الدولة الرستمية وإلى افريقيا الغربية ويظهر ذلك فى بناء المآذن المدرجة والمحراب المثلث.

* * *

(١) المقدسى ، احسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص ٢١٩ (ليدن، ١٩٦٧م) .

علاقات إباضية الخليج العربى مع الصين

لقد عرف أهل الخليج العربى وبخاصة أهل عمان بلاد الصين منذ القرن الثانى الهجرى «أثناء عهد أئمة الكتمان فى البصرة». وذلك عن طريق الملاحين الذين أبحروا إلى بلاد الصين.

فقد أبحر أبو عبيدة عبد الله بن القاسم العمانى إلى بلاد الصين ووصل إلى ميناء كانتون حوالى عام (١٣٣هـ/ ٧٥٠م) ، وتعتبر رحلته من أقدم رحلات العرب إلى بلاد الصين.

كما رحل غيره من تجار عمان وعلمائها إلى الصين مثل النظر بن ميمون . وقد قال الشماخى عن هؤلاء التجار العمانيين الذين رحلوا إلى الصين: إنهم كانوا من خيار التجار إلى بلاد الصين[١] .

ولقد كان ملاحو عمان وتجارها من العناصر المؤثرة فى ازدهار النشاط الاباضى وكذلك حركة الملاحه فى المحيط الهندى فمن صحار ومسقط والموانى العمانية الأخرى ظهر عدد كبير من الملاحين العمانيين الأكفاء الذين سيطروا على التجارة البحرية مع الشرق الأقصى وافريقية الشرقية.

وأصبحت عمان (مركز الإباضية فى الخليج العربى) بلداً بحرياً من الطراز الأول، ففيها كان تلتقى طرق التجارة العالمية وإليها كانت مراكب الصين والهند وغيرهما تأتى محملة بأنواع التجارة[٢] .

(١) الشماخى ، المصدر السابق ص ١٦٠.

(٢) المسعودى ، المصدر السابق ج١ ص ١٣٩.

كما كانت عمان ملتقى لبعض التجار الذين كانوا يسلكون البر منحدرين من سمرقند فى آسيا إلى البصرة ومنها إلى عمان ثم إلى الصين وذلك إذا ما كانت هناك اضطرابات سياسية تمنع هؤلاء التجار من التوجه من «سمر قند» رأساً إلى الصين .

وصارت موانى عمان من المحطات الأمامية الرئيسية، وأصبحت من أهم المراكز التجارية طوال العصور الوسطى وبخاصة فى القرون الأربعة الأولى للهجرة نتيجة لما كانت تجنيه هذه الموانى من أرباح وما كانت تحصله من مكوس وضرائب على التجارة الواردة إليها أو الصادرة منها .

واستمرت رحلات العمانيين الإباضية إلى ميناء كانتون الصينى حيث كان لهم وكلاء عديدون فى هذه المدينة وغيرها من مدن الصين التى فتحت أبوابها لتجارتهم فكانوا هم الذين قاموا بمعظم النشاط التجارى مع بلاد الصين فى القرن الثالث الهجرى بصفة خاصة.

ووصل العمانيون بمتاجرهم إلى أقصى شمال الصين، إلى مدينة قانصوا وبلاد الشيلا التى يعتقد أنها بلاد كوريا الآن أو اليابان[١] ، وتوغلوا فى داخل البلاد حيث كانت بعض الموانى الصينية لاتقع على الساحل الذى يطل على بحر الصين أو المحيط الهندى مباشرة، بل كانت تقع على سواحل بعض الأنهار فى الداخل.

ولقد كان أبو عبيده عبد الله بن القاسم وهو أول التجار العمانيين الذين وصلوا (خلال القرن الثالث للهجرة) إلى بلاد الصين كان من علماء الأباضية واستطاع من خلال رحلاته التجارية أن يعمل على نشر الإسلام سواء على يديه أو على أيدى زملائه من التجار العمانيين الآخرين الذين قصدوا بلاد الصين مثل

---

(١) ابن خرداذابه ص ٧٠، المسالك والممالك . (مكتبة المثنى، بغداد) .

النضر بن ميمون الذى يقول عنه الشماخى «كان من خيار المسلمين (أى الإباضية) ومن تجار الصين»[1] .

ولا شك أن أزدهار العلاقات التجارية بين عمان والصين يرجع إلى :

أ - تلك الثروة الوفيرة التى كان يحصل عليها التجار العمانيون من وراء تجارتهم واتصالهم ببلاد الصين .

ب- الأمان الذى كان ينعم به التجار العمانيون أثناء تواجدهم فى الصين. فقد كان فى القصر الامبراطورى قضاة يعاقبون بأشد العقوبات كل من يتعرض للتجارة الخارجية والتجار الغرباء بسوء، إذ كانت التجارة الخارجية تدر أرباحاً طائلة للدولة، وكان لابد من حمايتها بحماية هؤلاء التجار الغرباء[2] .

وكان لتجار عمان الرياسة للعرب والمسلمين فى كانتون نتيجة لما اشتهر به هؤلاء التجارة (بسبب مذهبهم الإباضى) من حميد الصفات وجميل السجايا، ولم يكن تجار عمان ممن يتصفون، الأنانية أو الجشع أو الحرص أو الشح، كما أنهم كانوا يندمجون مع أهالى البلاد التى يتاجرون معها، ويحاولون بشتى الطرق كسب ودهم ومعاملتهم معاملة طيبة مما كان يؤدى بلا شك إلى إعجاب الصينيين بهم وبأخلاقهم التى كانت تتمثل فى الأمانة والصدق بدرجة كبيرة .

وقد بذل التجار العمانيون وبخاصة الإباضية منهم جهوداً كبيره لنشر الإسلام فى بلاد الصين إلا أنه على الرغم من ذلك لم يغلب الإسلام على بلاد الصين. ولم يكن المسلمون الصينيون إلا أقلية .

---

(١) الشماخى، المصدر السابق، ج١ ص ٩٥ .

(٢) دافد سون ، بازل، أفريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة جمال محمد أحمد، ص ٢٥٥ (دار الثقافة للنشر والتوزيع ، بيروت) .

والسبب فى ذلك يرجع إلى أن التجار العمانيين وغيرهم من تجار المسلمين كانوا يركزون نشاطهم فى الموانى البحرية فقط وكان توغلهم فى داخل البلاد بقدر محدود ، ولم يكن هذا التوغل توغلاً عميقاً إذ إن التجارة الداخلية كانت فى أيدى الصينيين أنفسهم، ولهذا لم يتوغل الإسلام داخل الصين وبقى محدوداً فى المراكز والمدن التجارية المتناثرة على ساحل بحر الصين وعلى سواحل بعض الأنهار لمسافة لاتزيد عن مسيرة ستة أو سبعة أيام .

* * *

علاقات إباضية الخليج العربى مع الهند

لقد كان لعمان فى ظل الإباضية نشاط تجارى فى الهند، وقد دعم أئمة الإباضية فى عمان أسطولهم البحرى والتجارى بأسطول حربى فى محاولة منها للقضاء على قراصنة الهند الذين كانوا يتعرضون للسفن العمانية أثناء رحلاتها بين الهند والصين وبين عمان.

وقد أنشأ إمام عمان الإباضى غسان بن عبد الله اليحمدى (١٩٢هـ/٢٠٧هـ) أسطولاً بحرياً مسلحاً لحماية الشواطىء العمانية وتجارتها البحرية من هجمات القراصنة الهنود [١] .

وقد ازداد الأسطول العمانى البحرى قوة فى عهد الإمام المهنا بن جيفر اليحمدى (٢٦٦هـ- ٢٣٧هـ) حيث وصلت فى عهده قوات عمان البحرية درجة عظيمة من القوة والاستعداد، إذ كان له أسطول ضخم يتكون من ثلاثمائة بارجة حربية مسلحة بالسلاح.

وقد كان لمسقط قدم فى الهند. والواقع أن بلاد الهند كانت فى حاجة ماسة إلى توطيد علاقاتها ببلاد العرب عامة وبعمان خاصة. إذ إن الهند كانت فى حاجة شديده إلى اللبان (البخور) الذى كان يأتيها من عمان، كما أن حاجتها من العاج الإفريقى كانت شديدة أيضاً، وكانت سفن عمان تنقل هذا العاج من ساحل شرقى افريقيا إلى عمان نفسها أولاً ومنها إلى بلاد الهند. وكانت الهند أيضاً في حاجة إلى الخيول العربية التى كانت تأتيها من عمان ومن ظفار على وجه الخصوص.

---

(١) مايلز، الخليج ص ٨٢ .

وكانت الهند تبيع الأقطان الجيدة لعمان، فضلاً عن الأقمشة والتوابل والعطور وخشب النارجيل «جوز الهند» اللازم لصناعة وبناء السفن، فقد كانت مراكب العمانيين تقصد ميناء الديبل بأمتعتها وبضائعها حيث تجد مراكب الصين والهند محملة بالثياب والأفاوه العطرية الهندية «فيشترون ذلك جزافاً لأنهم أهل يسار وأموالهم كثيرة»[١] .

وكان أهل صحار وقلهات وظفار يفضلون ارتداء الملابس المصنوعة من القطن المستورد من الهند، كما كان غداؤهم هو الأرز الهندى .

وكانت السفن العمانية تقصد ساحل مالابار وهو الساحل الغربى لبلاد الهند حيث تعود إلى عمان محمله بالعديد من منتجات الهند الزراعية والصناعية بجانب شجر النارنج والأترج المدور. وقد استورد العمانيون شجر النارجيل من الهند وزرعوه فى بلادهم، كماظهر فى ظفار أيضاً كثير من نباتات الهند الأخرى مثل الرانج والتنبل[٢] .

ونظراً لهذه العلاقات التجارية الواسعة بين الهند وعمان فقد ذكر فى العديد من المصادر وصول سفن عمان إلى بلاد الهند، ووصول سفن الهند إلى عمان وكانت أكثر سفن الهند ترسو بميناء قلهات العامر الآهل بالسكان.

وكان أهل عمان فرحون كثيراً عند وصول السفن القادمة من الهند إلى بلادهم، لأنهم أهل تجارة ومعيشتهم مما يأتى إليهم فى البحر الهندى.

---

(١) الحميرى ، الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٢٤٩ (جمعة عام (٨٦٦هـ/ ١٤٦٣م) ، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٤م) .

(٢) القلقشندى، المصدر السابق ج٥ ص ١٢.

وفى المقابل كانت السفن العمانية ترسو بموانى الهند العديدة مثل ميناء تامة وقندرينا وكباية وجرفتن، وكلها تقع على الساحل الغربى للهند المسمى بساحل مليبار[١] وكان العمانيون يأتون إلى هذه الموانى ببضائعهم أو بالبضائع الأخرى التى يوكلون فى بيعها ، إذ كان بعضهم يعملون وكلاء لأهل العراق فينقلون بضائعهم إلى الهند ويعودون بسلع الهند إلى العراق.

ومما سهل على العمانيين هذا النشاط وجود بعض المنازل التى بناها العرب من عمانيين وغيرهم على الساحل الغربى لبلاد الهند .

وقد كان استقرار كثيرمن التجار العمانيين فى موانى الهند ومشاركتهم الهندوس فى سكنى هذه الموانى نتيجة لتطور النشاط التجارى العمانى المتزايد على أرض الهند ونظراً لهجرة اعداد من بلاد العرب وفارس واستقرارهم فى الهند بالإضافة إلى وجود التجار والدعاة الإباضيون فقد انتشر الإسلام فى هضبة الدكن وفى جنوب الهند، بالإضافة إلى السواحل التى كان قد تحول معظم سكانها إلى الإسلام .

ومماساعد أيضاً على انتشار الإسلام بين الهنود أن سكان المستوطنات والمراكز التجارية التى أقامها العمانيون وغيرهم من العرب والمسلمين كانوا يستقرون فيها لمدد طويلة، وكان بعضهم يستقرون فيها نهائياً ويصاهرون السكان المحليين ويتخذون لغتهم وكثيراً من عاداتهم وتقاليدهم التى لا تتنافى مع الإسلام، وبذلك كانوا مؤهلين تماماً كدعاة أباضيون لنشر الإسلام فى هذه البلاد وخصوصا بين الهنديات اللاتى تزوجن من هؤلاء الوافدين المستقرين وأيضاً بين الهنود الذين

---

(١) الادريسى، المرجع السابق ص ١٣.

ارتبطوا معهم بعلاقات تجارية[١] .

وتقدمت الحركة الإسلامية فى الساحل والداخل بفضل العمانيين ونتيجة لعوامل أخرى ترتبط بأحوال الهنود أنفسهم، منها سوء أحوالهم الاجتماعية الذى يرجع إلى نظامهم الطبقى وسيطرة رجال الدين على الناس واستغلالهم لمصلحتهم، والإهانات والاحتقار الذى تعرضت له الطبقات الدنيا على أيدى أخوانهم فى الدين

وقد سهلت هذه الأحوال عملية التحول إلى الإسلام بين كثير من الهنود نظراً للمزايا العديدة التى يقدمها الإسلام لأمثال هذه الطبقات المطحونة،ولذلك كان تغيير الدين عند هؤلاء الناس هو السبيل الوحيد الممهد أمامهم للخلاص[٢] فرحبوا بديانة الإسلام الذى لايعترف بالطبقية والذى يقر مبدأ المساواة بين الناس جميعاً، ولايفرق بين إنسان وآخر على أساس الجنس أو العنصر أو اللون أو الوضع الاجتماعى أو المالى، ومن ثم انتشر الإسلام فى كل مكان وصله تاجر أو داعية أو فقيه مسلم، وخاصة فى سواحل الهند وهضبة الدكن وغيرهما من أنحاء الهند وأقاليمها العديدة مثل البنغال الذى انتزع الإسلام السواد الأعظم من سكانها وبخاصة طبقة الفقراء والعشائر الذليلة التى قدم لها الإسلام مثلاً أسمى للأخوة الإنسانية ومنفذاً حراً تنفذ منه إلى نظام اجتماعى جديد[٣] .

وقد حظى الذين دخلوا فى الإسلام من أهالى هذه البلاد بالاحترام والتقدير اللذين حظى التجار الغرباء بهما أيضاً. الأمر الذى دفع بالحركة الإسلامية دفعات كبيرة بين الهنود ملوكاً ورعية.

---

(١) أرنولد ، تاريخ الخليج، ص ٤٠٣ (سلطنة عمان، الطبعة الثالثة ١٩٨٥) .

(٢) أرنولد، المرجع السابق ص ٣٢٣.

(٣) أرنولد، المرجع السابق ص ٣١٤.

ويحرص المسلمون من الهنود على تأكيد الروابط التى تجمعهم بالتجار العمانيين الذين كانوا سبب إسلامهم فيقولون إنهم ينحدرون من أنجال هؤلاء التجار المسلمين الذين أقاموا فى بلادهم منذ أزمنة بعيدة. وكانت جماعات المسلمين فى جنوب الهند يعزون دخولهم فى الإسلام إلى تعاليم الدعاة الذين ما زالوا يمجدون قبورهم حتى الوقت الحاضر .

وهكذا نرى أنه نتيجة لجهود إباضية عمان وغير العمانيين انتشر الإسلام فى الهند، والتزم الهنود المسلمون بتعاليم الإسلام وتقاليده ، وحافظوا على دينهم رغم ما تعرضوا له من هجوم شبه مستمر من ملوك الهند ومهراجاتهم الذين ما فتئوا يشنون الغارات على المسلمين.

* * *

علاقات إباضية الخليج العربى مع أندونيسيا

كان لازدياد النشاط الملاحى والتجارى لإباضية عمان وغيرهم وتأسيسهم المستوطنات للتجارة والإقامة أثر كبير فى أن انتشر الإسلام تدريجياً بين الأهالى فى سومطره وجاوه حتى بورينو وجزيرة سلبيس.

وتمكن العرب من إقامة سلطنة إسلامية فى جاوة هى سلطنة داماك[١] مما أدى إلى دفع الحركة الإسلامية بقوة إلى الأمام فى الجزر الأخرى وإلى فتح الباب أمام التجار العمانيين وغيرهم لمزيد من التجارة والهجرة.

وهناك إشارات تدل على تأثر جاوة بالتجار الإباضية العمانيين، إذ عثر على مساجد أثرية قديمة كثيرة العدد بغير زخارف مما يدل على أنها من بناء التجار العمانيين، أو على الأقل متأثرة بالطابع العمانى فى بناء المساجد، والبساطة طبقاً للمذهب الإباضى وقد حرص الجاويون علي التعلم والتفقه فى الدين .

وكان الإسلام أسبق فى الوصول إلى سومطره بحكم موقعها وقربها من مضيق ملقاد من الحركة الإسلامية النشطة فى شبه جزيرة الملايو وقد تردد التجار الإباضيون من عمان على موانى سومطرة وكان لهم وجود ونشاط فى هذه الجزيرة . وقد تكاثف هذا الوجود وازداد غلبة وتأثيراً لدرجة أن أهل هذه الجزيرة كانوا جميعاً مسلمين .

والعرب هم الذين نشروا الإسلام فى سومطره. وقد كان تجار عمان وغيرهم من التجار العرب قدموا إلى هذه الجزيرة وقاموا ببناء المستوطنات والمراكز التجارية فيها. ويمكن أن يكون التجار العرب المقيمون بسواحل الهند ومراكزها التجارية هم

(١) ستودارد، المرجع السابق ج١ ص ٣٤٥.

الذين أقبلوا إلى سومطرة ونشروا الإسلام فيها .

وقد استجاب أهل أندونسيا للإسلام وحافظوا على تقاليده، وقد ظهرت هذه الإستجابة واضحة فى أمور أخرى منها أنهم أخذوا بالأبجدية العربية فى كتابة لغاتهم،مما هيأ الفرصة لانتشار مفردات وكلمات عربية كثيرة فى هذه اللغات، والمثال على ذلك اللغة الاتشهينيزية وهى إحدى لغات سومطره التى استعملت الأبجدية العربية أثناء تحولها من لغة شفوية إلى لغة مكتوبة، كما أدخلت فى بنياتها مفردات عربية عديدة متعلقة بالفقه والفلسفة والدين وألفاظ عامة.

وكان إسلام مملكة سوكدنة على أيدى العرب، وأن هؤلاء العرب أتوا من سومطره، ولما كان العمانيون يشكلون أغلبية العرب الذين كانوا يعملون بالملاحة والتجارة فى هذه الجهات، فإن المرجح أن التجار العمانيين هم الذين كان لهم فضل تحويل مملكة سوكدنة إلى الإسلام حيث كانت هذه المملكة تقع فى طريقهم إلى بلاد الصين، كما كان لهم الفضل أيضاً فى دخول الإسلام فى جزائر ملوكس. فقد كان العرب يأتون إليها لشراء الفلفل الذى كان يجود فى أراضيها، واستطاعوا أن يدخلوا ملوكها فى دين الإسلام، وخصوصا فى جزيرة ترنات التى اعتنق أهلها الإسلام، وكان سلطان هذه الجزيرة كما يحكى البرتغاليون أول زعماء ملوكس دخولاً فى الإسلام، وكان ذلك على يد أحد التجار المسلمين[١] .

واعتنق الإسلام ملك جزيرة تيدور على يد داعية عربى يسمى الشيخ منصور، وتحول كثير من رعايا هذه الجزيرة إلى الإسلام عقب إسلام ملكهم. وانتحل هذا الملك اسماً إسلامياً هو جمال الدين .

---

(١) أرنولد، المرجع السابق ص ٤٢٦، ٤٢٧.

وفى جزيرة سليبس دخلت القبيلتان اللتان تسيطران على الجزيرة فى الإسلام، وهما ماكبتار والبوجى، ثم لم تلبث قبيلة الغور التى تقطن الداخل أن أسلمت هى الأخرى وكان عدد من الدعاة والتجار العرب عمانيين وغير عمانيين قد وصلوا إلى هذه الجزائر، وأقام بعضهم فيها، مما أدى إلى رسوخ الإسلام وازدياد انتشاره بين الناس حتى أسلم الملك فأسلمت الرعية قرب نهاية العصور الوسطى .

وقد وصلت الدعوة إلى الإسلام إلى جزائر الفليبين أيضاً على يد دعاة من تجار العرب وخاصة العمانيين .

وهكذا كان لجهود الإباضية فى الخليج العربى دور كبير فى نشر الإسلام فى هذه البلاد .

* * *

علاقات إباضية الخليج العربى مع جزر الملايو

كانت سفن عمان وتجارها الإباضيون وغيرهم يأتون إلى جزر الملايو بقصد التجارة وللمرور منها إلى بلاد الصين. وكان ميناء كله KALA أو كله بار KALAH - BAR الذى يقع على الساحل الغربى لشبه جزيرة الملايو فى ولاية كدة الحالية (قويدة عند العرب) هومنتصف الطريق بين أراضى الصين وبلاد العرب، وأن ميناء كله هذا كان «مجمع الامتعة من الأعواد والكافور والصندل والعاج والرصاص القلعى والقصدير والأبنوس..وغير ذلك»، ومنها إلى عمان[١] .

وكان التجار والملاحون العمانيون فى ذلك الوقت أكثر من غيرهم نشاطاً فى نقل المتاجر والسلع من ميناء كله بار إلى عمان، ومن عمان إلى كله بار ووصلت السفن العمانية إلى صندابور[٢] ولعلها سنغافورة الآن. وكان تجار عمان يستوطنون هذه الجهات أو يقيمون فيها فترات طويلة حتى أن بعضهم كانوا ينتسبون إليها. وقد أدى ذلك إلى انتشار اللغة العربية فى بعض هذه الأنحاء .

وكانت التجارة المتبادلة بين عمان والملايو كبيرة الحجم وعظيمة القدر وكان العرب منتشرين أيضاً في جزائر ملوقة ومحتكرين لتجارتها، وملوقة أو ملقا من أشهر المضايق التى تتحكم فى مرور التجارة مثله فى ذلك مثل مضيق هرمز فى شمال عمان ومضيق باب المندب عند مدخل البحر الأحمر من الجنوب، ومضيق جبل طارق شمال بلاد المغرب الأقصى. ومعنى ذلك أن عرب عمان كانوا يتحكمون فى اثنين من هذه المضايق، هما مضيق هرمز ومضيق ملقا، مما يدل على مدى قوة

(١) ياقوت ، المصدر السابق ج٤ ص ٤٧٨.

(٢) برزك، عجائب الهند ص ١٩٢، ١٣٠ (ليدن ، ١٨٨٣ - ١٨٨٦) .

النفوذ الملاحى العمانى فى العصور الوسطى، أمام عهد «إمامة الظهور» فى تلك البلاد.

وربما كان العرب وخاصة العمانيين سادة التجارة مع الشرق دون منازع ومن ثم يمكن القول: إن هؤلاء العرب لابد وأنهم أسسوا مستوطنات لهم ومراكز تجارية فى بعض جزائر أرخبيل الملايو منذ وقت مبكر.

وقد أصبحت هذه المستوطنات مراكز للدعوة الإباضية بجانب كونها مراكز للتجارة، فقد قدم إليها كثير من الدعاة والتجار سواء من عمان أم من غيرها . وقد تمكن هؤلاء الدعاة من نشر الإسلام فى ملقا بالملايو بعد أن نجحوا فى تحويل ملكها إلى الإسلام .

* * *

علاقات إباضية الخليج العربى مع سيلان

ان لإباضية الخليج العربى أثراً عظيماً فى نشر الإسلام فى سواحل الهند وفى الصين وفى أندونيسيا، وكان لهم نفس الأثر فى نشر الإسلام فى جزيرة سيلان (سرنديب) والتى تعرف الآن باسم سريلانكا.

ونظراً لأن السفن التى كانت تقصد جنوب شرقى أسيا والصين كانت تمر بهذه الجزيرة، فقد تهيأت الظروف لوصول تجار عمان الإباضية إلى سيلان وانتشار الإسلام فى بعض ربوعها .

وكان العمانيون متواجدين فى جزيرة سرنديب وغيرها من الجزر التى كانت تنمو فيها أشجار النارجيل (جوز الهند) حيث كانوا يقطعونه ويصنعون من خشبه سفناً، وساعدهم على ذلك أن أهل سرنديب كان لهم خبرة فى زراعة النارجيل وكانوا يقومون بحفظه وببيعونه للصادر والوارد ابتغاء الأجر وطلب المثوبة[١] .

كما كان تجار عمان يحرصون على قصد سرنديب نظراً لأنها كانت مقصد مراكب أهل الصين وسائر البلاد المجاورة لها، فكان العمانيون يأتون منها بالحرير والياقوت بجميع ألوانها كلها والبنور والماس والعطور المختلفة .

ولم ينقطع التواجد العمانى الإباضى على أرض سرنديب ذات يوم، حتى أن تجار الأحجار الكريمة فى سريلانكا (سرنديب) الآن يعتقدون أنهم منحدرون من أصول عربية، بل إن هناك من يشير إلى أن أغلب المسلمين الموجودين فى هذه الجزيرة من أصل عربى، وإن كان فيهم عدد غير قليل من أهل البلاد الأصليين الذين اعتنقوا الإسلام .

---

(١) الحميرى ، المصدر السابق ص ٣١٣.

وفى المقابل كان لسلطان هذه الجزيرة سفنه المجهزة للسفر إلى بلاد اليمن[١] وهو اسم كان يطلق على جنـوب شبه الجزيرة العربية بما فيه عمان فى أغلب الأحـيان .

ونظراً لهذه العلاقات التجارية الوطيدة بين سرنديب وأهل عمان، وللتواجد العمانى العربى على أرض هذه الجزيرة، فقد انتشر الإسلام فى بعض نواحيها.

وكان انتشار الإسلام فى سرنديب نتيجة لنشاط التجار المسلمين الذى كانوا يترددون بصفة مستمرة على هذه المناطق الساحلية .

وقد انتشر الإسلام فى كثير من أنحاء سرنديب حتى اضطر ملكها أن يعين أربعة وزراء مسلمين ضمن وزرائه الستة عشر، ورتب لهم موضعاً يجتمع فيه أهل ملتهم فيكتبون عنهم سيرة نبيهم وقصص ملوكهم فى سالف الأزمان ويعلمونهم ما لايعلمونه من أمر دينهم[١] .

وأخيراً يمكننا القول: إن الإسلام لم ينتشر بدرجة كافية فى جزيرة سرنديب وإنما كان أكثر أهلها كما أشار القزوينى من مجوس، وبعضهم كان من المسلمين، منهم الشيخ الظريف سديد الدين السرنديبى، والنسبة إلى سرنديب على هذا النحو تدل على توطن الإسلام فى بعض نواحى هذه الجزيرة وإلى أن بعض أهلها اعتنقوا الإسلام ، منهم هذا الرجل الذى ينسب نفسه إليها .

* * *

(١) ابن بطوطه، المصدر السابق ج٢ ص ٦٧٧.

(٢) الإدريسى، المصدر السابق ص٣٧.

علاقات الخليج العربي مع جزر المالديف واللكاديف

امتدت علاقة إباضية عمان إلى جزر المالديف التى كانت تعرف فى القرون الأولى للهجرة باسم جزر الديبجان.

وكان الجغرافيون العرب يميزون بين اللكاديف والمالديف التى تقع جنوبها ، بأن الأولى كانت تصنع فيها الحبال من قشر جوز الهند بينما كانت الأخرى تنتج أصدافاً صفراء كانت تستخدم عملة فى جزر المالديف وفى بعض مجتمعات أفريقيا والهند، ولذلك كانت السفن العمانية وغيرها تعرج على هذه الجزر لتحمل شحنات من هذه الأصداف للإتجار فيها وفى أصداف السلاحف التى كانت تزحف إلى الشاطىء بالآلاف لتضع بيضها .

ويدين سكان هذه الجزر بدخلوهم فى الإسلام إلى تجار عمان الإباضية وكذلك الفرس الذين استوطنوا هذه البلاد وتصاهروا مع الأهالى، ومهدوا بذلك لنشر تعاليم الإسلام فيها بنشاط وقوة،وذلك منذ القرن الثالث للهجرة .

وتحدث الكثيرون عن وصول التجار العمانيين بالذات إلى هذه الجزر منذ العصور الإسلامية الأولى، ومعهم الآت النجارة، فيقطعون من خشب النارجيل ثم يجففونه ويصنعون منه السفن، كما كانوا ينسجون من سعف النارجيل شراعاً، ثم يملئون هذه السفينة بخشب النارجيل وثماره ويعودون إلى عمان فيبيعونه هناك لصناع السفن.

وصار تواجد التجار والملاحين العمانيين الإباضية فى جزر المالديف مكثفاً ولا يقل عن تواجد غيرهم من التجار المسلمين الآخرين. وقد شجع على هذا التواجد موقع هذه الجزر المهم بالنسبة للسفن التى كانت تقصد ساحل الهند الغربى، إذ كانت

هذه الجزر تقع مباشرة على الطريق الذى يصل بلاد العرب بهذا الساحل، كما أنها كانت منطقة مكتظة بنخيل جوز الهند الذى يستخدم فى صناعة السفن والحبال عند العمانيين ولذلك كثر مرور سفنهم بها .

* * *

علاقات إباضية عمان مع البحرين

قامت علاقات قوية بين إباضية عمان والبحرين، التى كان اسمها يطلق قديماً على المنطقة الممتدة من ظفار حتى قطر وكانت تتداخل مع منطقة البحرين القديمة التى كانت تسمى جزيرة ابن كاوان والتى كان أهلها شراة (أباضية) مثل عمان، مما يدل على مدى التداخل بين البلدين، وبذلك كانت عمان دولة كبيرة المساحة واسعة النفوذ[١] .

وحدود عمان قبل ظهور الإسلام كانت تمتد لتتداخل مع حدود البحرين بمفهومها القديم الذى كان يشمل الأحساء. وكان ملك عمان قبل الإسلام يمتد نفوذه السياسى أحياناً ليشمل البحرين .

وكان للأزد وجود فى البحرين مما يدل على أن أزد عمان كان لهم وجود فى البحرين القديمة مهاجرين أو مقيمين أو تجاراً منذ عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما تلا ذلك من عصور، ولذلك فإن عمان كانت تدخل فى عصر الخلافة الراشدة وفى عصر الدولتين الأموية والعباسية مع البحرين القديمة .

وقد تعرض أهل عمان لاضطهاد وغزو القرامطة من البحرين عدة مرات، كانت أولاها قبيل نهاية القرن الثالث للهجرة[٢] .

وتصدى أباضية عمان للقرامطة ، هؤلاء الذين كانوا قد استطاعوا السيطرة على أجزاء كثيرة من عمان، منتهزين فرصة الصراع الداخلى القبلى الناشيء بين العمانيين أنفسهم. غير أن العمانيين وحدوا صفوفهم، وتصدوا للقرامطة وأخرجوهم

---

(١) ابن خردزابه، المسالك والممالك ص ٦٢.

(٢) العوتبى،الأنساب ج٢ ص ٢٤٦ (جزءان، مسقط ١٩٨٤م) .

من بلادهم ، وتبرأوا منهم ومن أفعالهم المشينة.

وفى ذلك قال أبو الحوارى، وهوأحد علماء الأباضية فى عمان فى القرن الرابع للهجرة: «نحن نبرأ من أبى سعيد القرمطى ونبرأ ممن تولاه، ونبرأ ممن وقف عنه، ونبرأ ممن شك فيه»[1] .

ولقد لعبت حكومة الخلافة العباسية - القوية آنذاك - دوراً كبيراً فى الضغط على عمان وإحداث الخراب والدمار فيها ، بهدف القضاء على الأباضية.

* * *

(١) الاصطخرى، المصدر السابق، ص ١٤٩، و
انظر : نور الدين السالمى، تحفة الإعيان جـ١ ص ٢٦٩.

علاقات إباضية الخليج العربي مع شرق أفريقيا

لاشك أن ارتباط عمان بشرق أفريقيا قد بدأ منذ أمد طويل قبل الإسلام، حيث عرف العرب ركوب البحر، وعرفوا الانتقال من ساحل البحر الأحمر الشرقى إلى الساحل الغربى لهذا البحر الذى ما زال يربط القارة الأفريقية بالجزيرة العربية، باعتبارها امتداداً للمحيط الهندى جغرافياً وحياةً.

وتسجل كل المصادر التاريخية نبوغ أهل عمان - حتى قبل دخولهم فى الإسلام - فى ركوب البحر، وقدرتهم الفائقة فى ركوب البحر، وبخاصة أن هذا البحر بالنسبة لهم كان المحيط الهندى بحدوده المترامية عند الهند من ناحية وعند جزر وساحل افريقياً الشرقى والجنوبى من ناحية أخرى، وكان هذا بالتحديد هو مساحة الاحتكاك الحضارى بين الشعب العمانى على مر الزمان، والشعوب القاطنة فى هذه الحدود الشرقية أو الجنوبية أو الغربية للمحيط الهندى.

وقد كان الوجود العمانى فى شرق أفريقيا بكل المقاييس - أكبر كثافة وأكثر عمقاً منها فى آسيا أو بالتحديد جنوب شرقى آسيا، ولذلك كان تأثيرهم فى هذه المنطقة من قارة أفريقيا أشد وأقوى، ذلك أن هجراتهم لجنوب شرق آسيا كانت هجرات فردية وغير دائمة فى أغلب الأحيان، أما وجودهم فى شرقى أفريقيا فلم يكن كذلك، لأنه اعتمد بجانب الروابط الملاحية والتجارية على الهجرة العمانية الدائمة (فردية وجماعية) لمناطق شرق أفريقيا، حيث تعود الشعب العمانى على رحلات منتظمة إلى شرق أفريقيا، ساهمت طبيعة المنطقة الجغرافية على تثبيتها وانتظامها ، حيث كانت عمان أقرب البلدان فى شبه جزيرة العرب إلى ساحل شرق أفريقيا، ولذلك كان الاتصال التجارى والبشرى والثقافى مستمراً، وممتداً بين عمان وبين شرق أفريقيا على مدى التاريخ.

فكانت السفن العمانية تخرج من موانيها العديدة المطلة على بحر عمان وبحر العرب مثل صحار ومسقط وقلهات وصور ومرابط وتتجه رأساً إلى موانى ومدن الساحل الافريقى الشرقى، ولا شك أن دلائل كثيرة كانت تشير إلى معرفة العمانيين الوثيقة بالبحر ورياحة وأمواجه، واتجاه الركوب فيه، مما ساعد العمانيين بشدة على اختيار الرياح الموسمية فيه صيفاً وشتاء، تلك الرياح التى تدفع سفنهم فى المحيط الهندى فيتركونها تسير حتى ترسوا بمحاذاة الساحل الأفريقى، وفى عودتهم - بعد التجارة والثقافة - تكون نفس الرياح قد عادت أدراجها فى اتجاه عمان مرة أخرى فيركبونها وسفنهم عائدة بهم إلى عمان مرة أخرى.

وقد كان هذا الانتظام الدقيق فى مواعيد تلك الرياح هو السر وراء انتظام المجيء وانتظام الرحيل لأهل عمان مع شرق أفريقيا[١] .

وقد كان أهل المراكب من العمانيين يقطعون خليج بربرة الممتد بين الحبشة والصومال، أمام باب المندب إلى جزيرة «مبنول» (وهى جزيرة مدغشقر حالياً) من بحر الزنج،وكانت مراكبهم تصل «سفالة» وهى أقاصى بلاد الزنج، وهى غاية مقاصدهم فى أسافل بحر الزنج[٢] .

وقد أبحر المسعودى نفسه فى القرن الرابع للهجرة من صحار إلى ساحل شرقى أفريقيا، ثم ماأبحر من جزيرة ببنلو إلى عمان مستعملاً هذاالخط الملاحى المعروف الذى كان يربط عمان بساحل شرقى أفريقيا.

(١) أحمد محمود المعمرى، عمان وشرقى افريقيا، ترجمة محمد أمين عبد الله مسقط وزارة التراث عام ١٩٨٠ ص ٤٤، و

انظر : محمد عبد الله النقيرة، انتشار الإسلام فى شرقى افريقياً ومناقضة العرب له ، ص ٣١، دار المريخ للنشر سنة ١٩٨٢ الرياض .

(٢) المسعودى، مروج الذهب ج١ ص ١٣١.

ونستطيع القول بوضوح أن كافة المصادر التاريخية تؤكد على وثوق الصلة بين عمان - فى كل العصور - وبين الشرق والجنوب الأفريقى، حتى انهم وصلوا إلى تنزانيا ومدغشقر، وجنوب الصومال ، وجزر القمر، ومنطقة نورديفان، وكلوة، وبمبا، وزنجبار، وان هذا الوصول بشكل رئيسى بل وبصورة وحيدة عن طريق ركوب البحر، وذلك هو خط الاتصال الأول بين عمان وأفريقيا.

وقد كان لدينا دائماً شك كبير فى أن تكون الصلة «البحرية» هى التى وصلت وحدها بين عمان وأفريقيا بصفة خاصة - فى فترات حكم الإباضية» - وبالذات بعد ظهور الدويلات الإباضية فى جبل نفوسة والدولة الرستمية كدويلات إباضية رسمية، وقد تأكد لدينا هذا الهاجس، ونحن ننظر فى علاقات تلك الدويلات، وذلك الرباط المتواصل بين أباضية المغرب وأباضية المشرق، ولقاؤهم الدائم فى موسم الحج، وبعد أن استقرت دويلات الإباضية فى بلاد المغرب الأدنى والأوسط وقامت لهم قائمتهم.

فقد انطلق رجال الإباضية فى حماسة عالية، نحو الصحراء الأفريقية الكبرى ، وعرفوا كل واحاتها ، وانطلقوا إلى بلاد السودان بعدها ، يتاجرون ويدعون إلى الإسلام، وأسسوا نظاماً مستقراً للقوافل التجارية السيارة بين شمال أفريقيا الذى أصبح إباضياً فى معظمه، وبين غرب ووسط أفريقيا، وأصبح للإباضية سيطرتهم الكاملة عليها .

وأكثر التجار الذين يرتادونها فى ذلك الوقت إباضية، سواء كانوا من تاهرت أو «ورجلان» أو وادى ميزاب أو طرابلس، أو جبل نفوسة، أو حتى من الإباضية الوافدين من بلاد المشرق، والذين وصلوا فى رحلاتهم إلى بلاد سجلماسة، وبلاد السودان، وكان الطريق الذى يربط بين ليبيا وحوض بحيرة تشاد، أو من طرابلس

وزويلة يسيطر عليه أباضية جبل نفوسة وأباضية فزان[١] .

والطريق الذى يربط تاهرت وبلاد الجزائر بأواسط نهر التيجر والذى يمر ببلاد «ورجلان» ، و«تادمكت» ثم يصل إلى كوكو على نهر التيجر، يسيطرعليه أباضية هذه البلدان الثلاث (تاهرت، وورجلان، وتادمكت).

أما الطريق الذى يربط المغرب الأقصى بأعالى نهر التيجر، ونهر السنغال، فقد كان يسيطرعليه صفرية سجلماسة[٢] ، وكان به أباضية كثيرون، والطريق الرابع الذى كان يربط تونس ببلاد «الهوسافى» شمال نيجيريا الحالية، فهو الطريق الوحيد الذى كان يسيطر الأغالبة على بدايته، ولكنه بعدأن يخرج من تونس كان يقع فى أرض يسيطر عليها الإباضية لأنه يمر بغدامس أو ورجلان،، وكلاهما كانا من ضمن الدولة الرستمية[٣] .

وقد كانت هذه الطرق البرية الشهيرة والتى ما زالت تستخدم حتى الآن للربط بين الصحراء الكبرى وبلاد الجنوب الأفريقى، هى همزة الوصل بين الأباضية وبين أفريقيا داخلياً.

وقد كانت هذه هى الصلة الثانية بأفريقيا عن طريق البر بجانب الصلة الأولى التى أشرنا إليها عن طريق البحر.

---

(١) جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، ص ٢٧٢، (طبعة الجزائر، ١٩٨٤م) .

(٢) وكان بها كثير من الأباضية يبعثون بزكاة أموالهم إلى أئمة تاهرت (انظر ابن الصغير ، المصير السابق ص ٩٧) .

(٣) تيم سيفرن، رحلة السندباد - خريطة رقم ٢ ترجمة د. سامى عزيز (مسقط - وزارة التراث - ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) .

وهكذا وصل الإباضية إلى جنوب وحول البحيرات الاستوائية وإلى بحيرة نيانسا، ومنابع نهر الزمبيزى، وموزمبيق، وبحيرة تنجانيقاً، وفيكتورياً، والبرث، وكيوجا المعروفة الآن باسم بوردوندي، ورواندا ، وغربى كينيا، وغربى وجنوب أوغندا ، ومملكة كارنجا (زيمبابوى) .

وهكذا اخترق الإباضية العمق الأفريقى بحراً وبراً ووصلوا إلى اعماق النقاط الجغرافية فيها، حتى المنطقة الوسطى التى تقع تقريباً بين وسط تنزانيا وكينيا[١] وقد كانت عبارة عن مئات الأميال من الأراضى الوعرة غير الخصبة، حيث تنمو الحشائش البرية، وأشجار الغابات الجافة غير المثمرة فيما يعرف بالأخدود الأفريقى الذى يفصل بين الساحل، ومنطقة البحيرات، وقد حدث اختراق هذه المنطقة الوسطى من ناحيتين:

الناحية الأولى نجمت عن تحرك جماعات صغيرة من فلاحى البانتو[١] إلى داخل هذه المنطقة منذ وقت مبكر يعود إلى القرن العاشر الميلادى (أو الرابع الهجرى) ،ورغم أنهم انتشروا ببطء إلا أن أعدادهم زادت بسرعة، وأصبحوا كالجسر أو القنطرة التى عبر عليها بانتوا الداخل، ومهدوا لفتح الطريق بين الساحل، وهذا الداخل، وانتهز العمانيون الإباضيون هذه الفرصة ،وهم على معرفة بدقائق الأمور الأفريقية، ولم يفوتوا هذه المناسبة ، إلا وقد استفادوا من هذا الوصل بين الساحل والداخل، وتدفقوا فى تجارتهم عبر هذا الطريق مستخدمين الإبل فى رحلات تستغرق شهوراً داخل القارة.

(١) وهى منطقة المحميات الطبيعية التى تضم الحيوانات المتوحشة الآن (تقرير الأمم المتحدة للبيئة عام ١٩٨٢) .

ولم يكن الاتصال سهلاً قبل ذلك بين الساحل والداخل بسبب الطبيعة الوعرة فيه بعد أن كانت قبائل البانتو متفرقة بين الساحل والداخل.

وقد ساعد أيضاً على اختراق هذه المنطقة العازلة وجود جماعات من الحاميين النيليين الذين كانوا يسكنونها قبل تواجد هؤلاء البانتو فيها[١] ، وكانت لهم عادات وتقاليد تحمى القوافل، وتساعد عابر السبيل، وشجع ذلك العمانيين وبخاصة التجار منهم على ارتياد هذه الطريق التى فتحها البانتو حتى منطقة البحيرات، وكانت هذه الطرق بالتحديد هى السبيل الوحيد إلى وصول الإسلام إلى هذه المناطق الداخلية النائية فى أفريقيا، وقد كان عرض الواحد من هذه الطرق العديدة يبلغ تسعة أقدام، وتحده على الجانبين حجارة مرصوفة[٢] .

وهكذا تواصل أباضية عمان مع أفريقيا فى خطوط متوازية بحراً، وبراً، وكان من المنطقى أن تسود بينهما علاقات وطيدة فى كافة المجالات ، فقد تأثر كل منهما بالآخر، وصارت بينهما العلاقات هبوطاً وصعوداً، حسب تطور الأحداث فى عمان نفسها، حيث كان مركز الإشعاع الحضارى يكمن فيها، وتترجمت العلاقات بين عمان وأفريقيا فى كافة المجالات الثقافية والتجارية والسياسية ، بل وتزاوج رجال عمان بنساء أفريقيا وجاء الجيل الجديد تعبيراً عن هذا المزج الحضارى الذى ترجم نفسه سريعاً فى تزاوج آخر بين اللغة العربية التى حملها الإباضية إلى أفريقيا، ولغة الأفارقة أنفسهم، فنشأت اللغة «السواحيلية» التى جاءت وليدة هذا التزواج العربى الإفريقى، والتى يتكلم بها أهل الشرق والجنوب الأفريقى حتى اليوم.

---

(١) قبائل شديدة المراس متوحشة الطباع كانت تسكن الساحل الافريقى (دولت صادق - شرق أفريقيا ـ دراسة فى جغرافية الإسلام ـ المؤتمر الجغرافى الإسلامى الأول ـ الرياض سنة ١٩٨٤ . ج٤ ص ٢٤) .

(٢) Murphy, op. Cit. p. 238-239.

ونوضح فيما يلى أهم جوانب هذه العلاقات الخارجية التى ربطت أفريقيا بأباضية عمان ثقافياً، وتجارياً، وسياسياً .

أ - العلاقات الخارجية الثقافية :

كان العلاقات الثقافية الخارجية للأباضية مع شرق أفريقيا تعتمد على الأساس المذهبى بشكل أساسى، شأنها شأن كل التوجهات المذهبية، وإن كان الإباضية فى علاقتهم الأفريقية بالذات قد أثبتوا حسن نيتهم المذهبية - إن جاز التعبير - حيث حرصوا أشد الحرص على نشر الإسلام أولاً ثم فكروا فى أى شيء آخر بعد ذلك.

ومع قراءة المصادر التى تتحدث عن تلك العلاقات الأفريقية تنوعت الأوصاف لسكان تلك القارة ما بين «البربر» أو «السودان» أو «الزنج» أو «البانتو» وقد وجدناها كلها مؤشراً لشيء واحد هو ساكن أفريقيا.

وهكذا نستطيع أن نقول أن الإباضية فى القرنين الثالث والرابع الهجريين قد أثروا فى البربر أو السودان أو الزنج أو البانتو تأثيراً دينياً كبيراً أبسط ما يقال عنه تحول هذه القارة من الوثنية إلى الديانة - وأى ديانة - إنها الإسلام ، إلا من المناطق التى صعب على رجال الإباضية الوصول إليها.

وهكذا انتشر الإسلام بين كثير من البربر، وبخاصة فى الصحراء الكبرى، وبين السودانيين والزنج جنوب هذه الصحراء[1] ، إذ مما لاشك فيه أن دعاة المذهب الاباضى القادمين من الشرق قد ساهموا مساهمة جليلة فى ترسيخ مفاهيم الإسلام

---

(١) فرحات الجعبيرى، نظام العزابه عند الإباضية الوهبية فى جربة ص ٧ (تونس ، ١٩٧٥) .

فى ذهن ابناء أفريقيا.

وقد أكد علماء الإباضية على مر السنوات أن كل ما عاناه أهل أفريقيا من بعض تصرفات الدويلات أو الولايات الإسلامية فى شمال أفريقيا لاينتمى للإسلام، وإنما هو من صنع حكام دنيويين.

وهكذا وجدنا طريقاً للمذهب الإباضى كى يفرد لنفسه بين سكان القارة بعض الصفحات[١].

وقد ساهمت قوافل التجار القادمة من مراكز الإباضية وبخاصة فى تاهرت، ورجلان، وواحة الأغواط وغيرها فى إنشاء العديد من «الزوايا» على طول شبكة الطرق التجارية الممتدة عبر أفريقيا، وقد كانت هذه الزوايا[٢] تستعمل مسجداً، ومركزاً لتلاقى التجار، ومكاناً للمبيت والإقامة، وفى صحن هذه الزاوية كان التجار يقضون الليل ويقومون بمعاملاتهم التجارية، وكان لكل زاوية شيخ هو فى نفس الوقت رئيس للجماعة والمكلف بتنفيذ أحكام الشريعة، وعادة كانت الجماعات الإباضية تنشأ زاوية أخرى فى قرية أو واحة جديدة.

وهكذا شيئاً فشيئاً نشأت شبكة الزوايا الإباضية التى كانت لها أكبر الأثر فى نشر الإسلام فى الصحراء الأفريقية المدارية أى بلاد تشاد والنيجر ومالى وفولتا، وكذلك فى السودان النيلى فى مناطق كردفان ومادای ثم بحيرة تشاد نفسها التى كانت فيها بالفعل دول إسلامية أهمها دولة الكانم والبرنو، وأسلم بالفعل أحد ملوك

(١) فرحات، المرجع اسابق ص ٧، ٨.

(٢) ما زالت موجودة إلى الآن وساهمت فى العصر الحديث فى ثورات السنوسى فى ليبيا، وفى ثورة الجزائر ضد الاستعمار الفرنسى.

زغاوة التى تقع شمالى الكانم وبحيرة تشاد، على يد أحد مشايخ نفوسة الإباضية[١] .

فقد أرسل قاضى جبل نفوسة الإباضى عمروس بن فتح الذى كان من أعلم أهل زمانه فى النصف الثانى من القرن الثالث للهجرة، عالماً إباضياً كبيراً إلى هذه البلاد حيث استقر هناك وطاب له المقام، فأسلم كثيرمن الزغاويين على يديه[٢] ، وهذا يؤكد دور الدولة الرستمية فى نشر الإسلام فى أفريقيا على عكس ما قد يثيرة البعض من أن هدف الرستميين فى ذلك الوقت كان التجارة وحدها[٣] وأنهم لم يشغلوا أنفسهم بنشر المذهب فى أفريقيا، ولاننكر انتشار التجارة على أيدى التجار الرستميين، ولكنهم - بلا استثناء - ساهموا فى نشر الإسلام وشغلوا أنفسهم بذلك وإن لم يشغلوا أنفسهم كثيراً بنشر المذهب الإباضى نفسه[٤] .

ولعل هذا ما نستقيه من ذلك الحوار الشيق الذى دار بين الداعية الإباضى أبو يحيى بن أبى القاسم الفرسكائى - الذى سافر إلى بلاد السودان - وأحد ملوك بلاد السودان الذى لم يذكر اسمه، وكان الحديث عن الإيمان بالله والملائكة والرسل والجنة والنار والحساب، حتى أسلم هذاالملك، ولم نلمس حديثاً من هذا الداعية عن المذهب الإباضى أو مبادئه أو فقهه[٥] .

---

(١) حسين مؤنس، معالم وتاريخ المغرب والأندلس - ص١٠٦، و
انظر ، محمود إسماعيل ، الخوارج فى بلاد المغرب في منتصف القرن الرابع الهجرى ص ٩٩ (القاهرة، ١٩٨٦م) .

(٢) الدرجينى ، المصدر السابق جـ٢ ص ٣٢١، و
محمود إسماعيل، المرجع السابق ص ٢٢٩.

(٣) جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية ص ٢٨٥ (الجزائر، ١٩٨٤) .

(٤) د. محمود إسماعيل ، المرجع السابق ص٢٩٩.

(٥) الشماخى ، المصدر السابق ج٢ ص ٦-٨.

وقد ساعد على نشر الإسلام بين الأفارقة عدة عوامل ساهم فيها الإباضية أنفسهم ، وبالذات فى القرنين الثالث والرابع الهجريين يأتى فى مقدمتها :

أولاً: حرص التجار الإباضية على إقامة الشعائر الدينية:

كان هذا الحرص والالتزام بأحكام العبادات بين تجار الإباضية، أثناء تواجدهم فى الأراضى الأفريقية واحداً من أهم عوامل انجذاب السكان هناك إلى الإسلام متأثرين بما كانوا يرونه من هذه الشعائر، وبما كانوا يحسونه من القوة الروحية المسيطرة للإسلام حتى شعروا بأن هذه القوة ذاتها وراء شفاء المرضى، والحماية من السحر فى المناطق التى ينتشر فيها هؤلاء التجار[١] .

ثانياً: الحماية التى كان يسبغها رؤساء القبائل أو الحكام الأفارقة على تجار الإباضية :

وقد أدت هذه الحماية إلى رفع مكانة وشأن هؤلاء التجار، وبالتالى إلى ارتفاع مكانة وشأن الثقافة والدين اللذين يحملانهما، مما دفع الكثير من الأهالى إلى اعتناق هذا الدين وتلك الثقافة[٢] ، ولاشك أن اهتمام هؤلاء الحكام بتجار الإباضية كان ينبع فى البداية من الاستفادة التى كانوا يحققونها من ورائهم، والأموال التى كان يحملها هؤلاء التجار مقابل البضائع الأفريقية التى يشترونها والتى كان هؤلاء الحكام يسيطرون عليها بكل تأكيد .

ثالثاً: وجود بعض العلماء والمعلمين المتفرغين للدعوة الإسلامية :

حيث صحب التجار الإباضيون دائماً معهم مثل هؤلاء الدعاة والمعلمين

(١) محمد النقيرة، المرجع السابق ص ١٤٢.

(٢) Lewis: op. cit. pp 21, 26 - 27.

المتفرغين لمثل هذا العمل النبيل من أجل الله، وقد تبع هؤلاء المعلمون التجار إلى أجزاء كثيرة من القارة سواء فى الداخل أم فى الساحل أم فى شرق أفريقيا أم أفريقيا الاستوائية.

ولم يلبث أن تركهم التجار فى مثل هذه المواقع أو فى بعض المستوطنات والمراكز التجارية التى أنشأوها للقيام بعمليات تحويل الناس إلى الإسلام، ولقد قام هؤلاء المعلمون والدعاة فى أماكن وأزمنة متباعدة بتعليم الناس وإدخالهم فى الدين على نحو واسع، نتيجة لما كان يشاع فى ذلك الوقت من البركة التى تحل معهم . والتى كان الأفارقة يتلمسونها منهم كمصلحين فى النواحى الدنيوية بالإضافة إلى الشئون الدينية[١] .

ولاشك أن اصطحاب مثل هؤلاء الدعاة لتجار الإباضية يؤكد. أن المسألة التجارية عند الإباضية لم تجعلهم يغفلون أبداً عن دورهم فى نشر المذهب الإباضى فى القارات والبلدان التى تعاملوا معها، حيث لم يكن من المتصور أن يكون هناك أى هدف دنيوى وراء اصطحاب مثل هؤلاء الدعاة والمعلمين، بل العكس هو الصحيح حيث إن اصطحابهم بالتأكيد كان فيه تكلفة تزيد عن التكاليف المقررة للرحلات التجارية .

رابعاً: العلاقات الاجتماعية الوثيقة التى نشأت بين العمانيين وبين أهل أفريقيا.

وقد تمثلت هذه العلاقات الوثيقة فى تحول أهل الجماعتين الأفريقية والعمانية إلى جماعة واحدة تقريباً، واختلطت بينهم الأنساب فأصبحوا نسباً واحداً وقد تمثل

---

(١) Lewis: op. cit. pp 27-29.

ذلك فى ظاهرتين أساسيتين:

ا - ظاهرة الزواج الإباضي من الإفريقيات:

حيث تزوج التجار أو الدعاة الإباضية من الإفريقيات، وتناسلوا وكونوا جماعات كبيرة ازدادت أعداداً بالهجرات الجماعية العمانيـة الكبيرة لمثل تلك المناطق وقد ساعد هذا الزواج على تحول كثيرمن الأفارقة إلى الإسلام ، وحرصوا على تعلم شعائر الإسلام خصوصًا وأن الدعاة الإباضية قد اختلطوا تماماً بتلك المجتمعات وصار الأفارقة يلتمسون منهم الإرشاد لا فى مجال العقيدة وحدها بل فى كثيرمن أمور حياتهم[١] .

وظهر بعد ذلك عدد من المدن فيها عرب من أصل عمانى خالص أو أصل مخلوط، ومع نشاط قوافل التجارة فى الداخل استقرت هناك الجماعات العربية فى عدد كبير من مدن وقرى ما يعرف اليوم باسم كينيا وتنزانيا وأوغندا وزائير وبوروندى ورواندا مما أدى إلى انتشار الإسلام بدرجات متفاوتة فى نواحٍ كثيرة من هذه البلدان.

أما الساحل فقد تحول أهله جميعاً أو معظمهم على الأقل إلى الإسلام، وقد شهد نتائج ذلك ابن بطوطة عندما زار هذا الساحل (عام ٧٣١هـ/ ١٣٣١م) فقرر أن كل الناس الذين رآهم فى المدن التى زارها كانوا مسلمين.

---

(١) أحمد عطية سالم، الجاليات العربية فى أفريقيا (بحث فى كتاب العرب وأفريقيا » بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٤، ص ١٥٦.

٢- ظاهرة التعامل الطيب مع الرقيق :

ذلك أن المناطق الساحلية كانت فى حاجة إلى الأيدى العاملة الرخيصة، فكان الأفارقة سواء كانوا عبيداً أم أحراراً يأتون إلى هذه المناطق للارتزاق، وخبرة التجار والسادة العرب فى مزارعهم وبيوتهم وحوانيتهم ومراكزهم التجارية، وكان الرقيق من هؤلاء يلقون معاملة طيبة عرفها الأفارقة لأول مرة، وحسن تعاملهم شهد به المتعاملون مع هؤلاء العرب(١) .

٣- المعاملة الأمينة والصادقة لدى التجار الإباضية :

لمس الأفارقة ذلك بأنفسهم سواء حينما كان العرب ينتقلون إليهم من الساحل إلى الداخل، أم حينما ينتقل الأفارقة أنفسهم من الداخل إلى الساحل ليشتروا مايحتاجونه من هؤلاء التجار العرب، فكان اختلافهم لمثل هؤلاء التجار يتيح لهم فرصة الاحتكاك بالحياة الإسلامية عن قرب، ويدفعهم إلى اعتناق الإسلام، وعندما يعودون إلى ذويهم كانوا ينشرونه بينهم فى حماس كبير(٢) .

ولم يكن توافد الأفارقة من الداخل قاصراً على قدومهم افراداً فقط، بل إنهم كانوا أحياناً كثيرة يأتون فى شكل جماعات كبيرة أو قبائل بأكملها ، تأتى وتستقر على الساحل وتستوطنه بصورة دائمة أو شبه دائمة، وفى بعض الأوقات كان هناك أكثرمن سبعين قبيلة أتوا من الداخل وتركز معظهم فى الساحل وأصبحوا ينتمون إلى المياة السواحيلية بتأثيراتها الإسلامية القوية أكثرمن انتمائهم إلى قبائلهم

(١) Marsh & Kingsnorth: op. cit, P. 9

(٢) حسن محمود ، الإسلام والثقافة العربية فى أفريقيا - دار الفكر العربى - (القاهرة- الطبعة الثالثة - ١٩٨٦م) ص ٣٩٢.

الوثنية فى الداخل[١] .

وهكذا نستطيع أن نؤكد أن الإباضية لم يبخلوا بجهد اجتهدوه لنشر الإسلام فى ربوع افريقيا، وهذا يفند كل ما ادعاه أرنولد بأن العرب لم يكونوا هم ولا أحفادهم دعاة إسلام فى شرق أفريقيا[٢] ، ولم يكن بحال من الأحوال تصديق هذه المقولة بعد أن أصبح الساحل الافريقى الشرقى يضم سبعاً وثلاثين مدينة إسلامية من مقديشيو إلى سفالة فى الجنوب،ولم تلبث أن تحولت بعض هذه المدن إلى إمارات وإلى دويـلات عربية إسلامية كان لها وجود منذ عصور الإسلام الأولـى[٣].

ولايمكن تصديق كلام أرنولد عن تحول العرب إلى أهداف مادية من تجارة وصيد رقيق، وأنهم تركوا قبائل افريقية الشرقية سادرة فى جهلها المطبق[٤] ، ولم يتركوا فيهم أقل أثر للصفات الراقية التى كان يتحلى بها جيرانهم طوال خمسة قرون اتصل فيهم هؤلاء العرب بهم، وهذا الكلام هو عكس كل الشواهد التى تدل على حماسة التجار الإباضية لنشر مفاهيم الإسلام فى ربوع أفريقيا.

لم يكن نشر الإسلام ومفاهيمه هو النتيجة الوحيدة للعلاقات الخارجية الثقافية للإباضية، بل إن هناك جانباً هاماً من جوانب الثقافة المنقولة للقارة الأفريقية على أيدى رجال الإباضية، وهو مظاهر التعريب التى بدأت تطغى على

(١) ترمنجهام، الإسلام فى شرق أفريقيا - ترجمة محمد عاطف النواوى (الأنلجو المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٧٣م) ص ٨٠.

(٢) أرنولد المرجع السابق ص ٢٣٨٠ نقلاً عن jose Ph Thomson فى كتابة:
Mohammedism in Central Africa, p. 871

(٣) Lewis. op. cit. p. 12, Gideon & Derek op. cit. p. 21.

(٤) Lewis: Reginal Review of the Dismbution, spread & islam p. 11

لغة وكتب ووثائق الأفارقة، وإن لم يأخذ هذا الصبغة العربية الخالصة، لأن البانتو كانوا يشغلون غالبية السكان، ولغلبة العناصر البنتوية فى الثقافة التى سادت تلك المناطق وبخاصة الساحلية ، والتى أفرزت ثقافة. هى مزيج من الثقافة العربية والثقافة الأفريقية وهى ما تسمى بالثقافة السواحيلية، حيث ذابت العناصر العربية داخل المجتمع السواحيلى فى خلال جيل أو جيلين، فيصبح هؤلاء سواحليين[١].

وعلى الرغم من أن بعض المصادر تؤكد أنه فى مناطق مثل كلوة، كان السكان يتكلمون العربية بصفة أساسية بجانب عدد من اللغات الأخرى، وأن سجلات كلوة كتبت باللغتين العربية، والسواحيلية، وكان سكانها - أو على الأقل معظمهم من العمانيين[٢] . فقد دخلت على اللغة العربية بعض الكلمات نتيجة التأثر باللغة السواحيلية، التى يعود حوالى نصف مفرداتها فى لغة الشعر السواحيلى القديم، وحوالى خمس مفرداتها فى لغة التخاطب إلى أصل لغوى عربى[٣] .

ومثال ذلك ما ذكره المسعودى حينما زار فى بداية القرن الرابع للهجرة (بداية القرن العاشر للميلاد) جزيرة مدغشقر، وقال عنها : «إنها جزيرة عامرة فيها قوم من المسلمين (إباضية)، إلا أن لغتهم زنجية غلبوا على هذه الجزيرة، وسبوا من كان فيها من الزنج كغلبة المسلمين على جزيرة (اقريطس) أو (كريت) فى البحر الرومى، وذلك فى مبدأ الدولة العباسية ونقض الأموية»[٤] .

---

(١) محمد النقيرة، المرجع السابق ص ٢٨٤.

(٢) ابن بطوطة المصدر السابق ج١، ص ٢٨٤.

(٣) عبد الهادى التازى، الصلات التاريخية بين المغرب وعمان ومسقط، وزارة التراث صنة ١٩٨١

(٤) مروج الذهب، المصدر السابق ج١ ص ٩٧.

وهكذا من نفس كلام المسعودى نؤكد أن ظاهرة امتزاج اللغة العربية باللغة الزنجية أى الافريقية قد أثمرت لغة جديدة هى اللغة السواحيلية.

ولعل المسعودى هنا يقرر ضمناً تاريخ دخول العمانيين الإباضية إلى تلك الجزيرة فى بداية حكم العباسيين، وهى الفترة التى تمتعت فيها عمان باستقلال حقيقى[١] .

وتبدو أيضاً حركة التعريب جلية مع النشاط الإباضى فى أفريقيا على نحو ما يتضح فى تلك الأسماء العربية التى بدأت تغزو مواقع ومدائن أفريقيا، حتى إن اسم «سفالة» الذى كان يطلق على المنطقة الحميرية القديمة بالجزيرة العربية،ما زال علماً على أحد موانى الساحل الأفريقى[٢] ، ونجد أن نهر «سابى»[٣] الذى لايبعد كثيراً عن مدينة زيمبابوى، ما هو إلا اسم محرف لكلمة «سبأ» وهوا سم الدولة العربية التى قامت فى بلاد اليمن قبل الميلاد بقرون عديدة.

كما أن جزءاً من الساحل الشرقى الأفريقى يقع بين رأس حفونى ورأس الشيل فى بلاد الصومال كان يسمى «عزانيا» أو «أزانيا» وهى تحريف لكلمة «خزائن» العربية الأصلية التى ما زالت تطلق على بر فى الصومال يقال له «بر الخزائن» وصار يطلق على «أراضى الصومال وكينيا، وتنزانيا فصار يعرف بساحل «أزاتيا»[٤] ولعلنا نلاحظ الشبه أيضاً بين هذه الكلمة، وكلمة «مزون» التى كانت تعرف بها عمان قبل الإسلام، وقيل إنه كانت توجد مملكة باسم مملكة «عزان» فى

(١) ستودارد، المرجع السابق ج٣ ص ١٣٩.

(٢) حورانى، المرجع السابق ص ١٢٨.

(٣) شوقى الجمل، حضارة زمبابوى - مجلة «الدراسات الأفريقية» العدد ٥٦ سنة ١٩٧٧ - ص ٥.

(٤) جيان، المرجع السابق ص ٥٢، ٥٩.

منطقة ما من جنوب الجزيرة العربية فى فترة سابقة على ظهور الإسلام لم تحدد تحديداً واضحاً، ولكنه اسم عربى تداولته الأجيال جيل تلو الآخر ويبدو أنه اختفى ليظهر على الساحل الشرقى لأفريقيا(١) على أيدى التجار العمانيين الإباضية الذين ما لبثوا كذلك أن أطلقوا على منطقة أخرى فى شرق أفريقيا وهى مدغشقر اسم « مسلج » اشتقاقاً من اسم« مسقط » عاصمة عمان(٢) .

ودون أى خجل فإن بعض المصادر قد أشارت إلى أن العمانيين قد تعلموا كثيراً من أهل هذه المناطق كيف يلبسون، وكيف يرتدون ثيابهم، وهوماأ ثار دهشة البرتغاليين فى عام ٩٠٤هـ/١٤٩٨ ميلادية حينما جاء فاسكو دى جاما فوجد شيخها متشحاً بالثياب الحريرية ومتقلداً السيف والخنجر،وفى معيته أقوام من العرب فى أفخر الثياب(٣) .

ويبدو واضحاً ذلك الأثر المعمارى الإسلامى الذى ما زال موجوداً حتى الآن فى تلك المناطق الأفريقية، ويظهر هذا الأثر فى انتقال الفن المعمارى الشرقى فى البناء إلى أفريقيا الغربية ، وجنوب الصحراء، وبناء المآذن المدرجة والمحراب المثلث. كما أن غياب المنبر والنقوش فى بعض المساجد الموجودة فى أفريقيا الغربية لهو دليل واضح على الأثر الإباضى الذى لايزال موجوداً عند إباضية وادى ميزاب فى جنوبى الجزائر حتى الآن(٤) .

---

(١) دافدسون، المرجع السابق ص ٢٤١.

(٢) جمال زكريا قاسم، استقراء العرب، ص ٣٠٣ ، و
جيان، المرجع السابق ص ٤٤.

(٣) جيان المرجع السابق ص ٣٢٠.

(٤) يوسف فضل حسن، الجذور التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية (بحث فى كتاب العرب وأفريقيا) بيروت - الطبعة الأولى - سنة ١٩٨٤، ص ٥٧، ٥٨.

ولاننكر أن التأثير الثقافى الإباضى قد اختلط بتأثيرات ثقافية إسلامية ليست من المذهب الإباضى فى شيء، ولكن افريقيا قد عرفتها، وعرفتها فيما بعد فى نفس أو بعد الفترة التى عرفت فيها المذهب الإباضى نفسه، ولكنها بالتأكيد ليست عن طريق الإباضية.

ويتجلى هذا فى الطرق الصوفية وحلقات الذكر التى انتشرت فى الداخل والخارج فى شرقى أفريقياً، وكانت تقام حلقات الذكر أسبوعياً إما فى ليلة الجمعة أو بعد صلاة الجمعة ، ولايمكن أن يكون هذاعن طريق رجال الإباضية التى تنكر هذه الطريقة فى العبادات بكل أشكالها، ولايمكن اغفاله التشابه بين حلقات الذكر وحلقات الرقص التى كان الأفارقة يحبونها بشدة، ولعل هذا ماساعد على انتشار مثل هذه الطرق الصوفية رغم وجود علماء الإباضية وانتشارهم المكثف ونظراتهم لمثل هذه المظاهر .

ولايمكن أن ينكر أحد دور الإباضية فى تسليط الأضواء على إنسان هذه القارة والصبغة الحضارية، ويكفى أنه تخلص بعد الاحتكاك الحضارى برجال الإباضية من عادات قبيحة كان أقبحها على الإطلاق أكل لحوم البشر، وتقديم الإنسان قرباناً مذبوحاً للآلهة، ودفن الجوارى والزوجات مع الملك المتوفى، ووأد الأطفال أحياء[1] إذا ولدوا مشوهين، بل إنهم تعلموا الاغتسال والطهارة والوضوء للنظافة على يد الإباضية .

(١) حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق ص ٨٩.

ب- العلاقات التجارية مع أفريقيا :

لاشك أن العلاقات التجارية للإباضية مع شرق أفريقيا كانت أعمق وأكثر من مثيلاتها مع جنوب شرقى أسيا، لأنها لم تعتمد فقط على النشاط الملاحى والتجارى فقط، ولكن على الهجرات الدائمة - لا الهجرات الفردية - والتى كانت بلا شك هجرات متلاحقة، وقد شكل هذان العاملان أهم العوامل التى ساعدت على انتشار وكثافة العلاقات الخارجية التجارية بين الإباضية والأفارقة ومن هذه العوامل ما يلى :

أولاً :

أن عمان بما فيها من إباضية كانت أقرب البلدان فى شبه جزيرة العرب إلى ساحل شرقى أفريقيا، ولذلك كان الاتصال التجارى والبشرى والثقافى مستمراً وممتداً، فكانت السفن العمانية تخرج من موانيها العديدة المطلة على بحر عمان وبحر العرب مثل صحار ومسقط وقلهات وصور ومرباط وتتجه رأساً إلى موانى ساحل شرقى أفريقيا[1] .

ثانياً :

أن الإباضية كانوا فى عمان تقريباً شبه مفصولين عن باقى الجزيرة العربية لأسباب جغرافية ولأسباب غير جغرافية، فجغرافيًا لأن عمان بطبيعتها مفصولة

---

(١) جيان، المرجع السابق ص ٢٤ و

محمد أبو العلا محمد ، المرجع السابق ص ٣٥، ٣٦ ،

أحمد محمود العمرى، عمان وشرقى أفريقيا: ترجمة محمدأمين عبد الله (مسقط وزارة التراث سنة ١٩٨٠) ص ٤٤.

عن باقى الجزيرة العربية بالصحراء الواسعة الشاسعة، وقسوة الحياة فى هذه الصحراء التى تدفع سكانها دفعاً إلى ركوب البحر والذهاب إلى أقرب الأماكن إليها وهى الشرق الأفريقى[١] .

ثم إن الإباضية - مذهبياً - كانوا مفصولين عن باقى الجزيرة العربية التى لم تخضع لمبادىء المذهب الإباضى بل حاربته، واعتبرته فى بعض الأحيان خروجاً عن الدين الإسلامى نفسه، وخروجاً على ولى الأمر المسلم، الأمر الذى دفعهم دائماً إلى الذهاب إلى أبعد الأماكن عن هذا الولى المسلم هروباً من هذه التهمة وبحثاً عن مزيد من الأتباع حتى ولو كانوا فى كلوة، وبمبا، وزنجبار، وماقيا، وجزر القمر، وجزيرة مدغشقر.

ثالثاً : الأمان الذى ساد البحر العربى بين عمان وشرق أفريقيا:

شهد القرنان الثالث والرابع الهجريين بالتحديد نشاطاً بحرياً لم تشهده البحار من قبل، وهو أمر جاء نتيجة سيطرة الدولة العباسية على طرق التجارة العالمية المعروفة وقتذاك، وأصبحت الدولة العباسية تسيطر على مياه البحر المتوسط، ومضيق جبل طارق، وعلى مياه البحر الأحمر، ومضيق باب المندب، وعلى الخليج العربى ومضيق هرمز، وعلى مياه المحيط الهندى وبحر الزنج، ولذلك أصبح المجال رحباً أمام تجار عمان كى يجوبوا البحار بفاعلية أكثر، وساندهم النفوذ الأدبى والسياسى للدولة الإسلامية لتبوء مكان الزعامة فى مجال النشاط البحرى والتجارى فى المحيط الهندى كله، وأصبحت التجارة العمانية هى أساس التجارة العربية[٢] .

---

(١) Murphy: op. cit: p. 223.

(٢) Murphy, op. cit, pp 225, 227

أما من ناحية الأمان الداخلى فى المناطق التى يتاجرون فيها، فبعد أن كان شعب البانتو قد بدأ فى الظهور على الساحل بما فيه من فرص أفضل للحياة، من حيث المطر والأسماك وفرص التجارة، وقد كانوا بدواً أفارقة مسلحين وأشداء أكثرمن السكان الأصليين المرفهين والمترفين نتيجة الثراء والاشتغال بالتجارة، وقد كانت هجرات البانتو إلى الساحل الأفريقى قد استقرت مع بداية القرن التاسع الميلادى (الثالث الهجرى)، وتكيف هؤلاء المهاجرون مع المجتمع الجديد، من خلال المعايشة المستمرة مع الإباضية الذين كانوا مقيمين فى مراكز تجارية أو الذين يأتون من عمان، بعد أن كان العمانيون قد امتنعوا عن التجارة لفترة أثناء الهجرات الشرسة لشعوب البانتو إلى الساحل الشرقى الأفريقى هروباً من الظروف القاسية فى الداخل[١] .

وهكذا انتفى عامل الخوف من الذهاب إلى مثل هذه المناطق، وتوافر الأمان الداخلى بالإضافة إلى الأمان البحرى لتجار الإباضية مما ساعدهم على التجارة المكثفة مع أفريقيا الشرق.

رابعاً : الخبرة العمانية بشؤون الملاحة :

كان لخبرة العمانيين بشئون الملاحة والتى استخدمها التجار للوصول إلى أفريقيا، الفضل فى التشجيع على ركوب البحر وهم مطمئنون إلى مهارة الملاحين الذين يقودون تلك السفن، وقد كان نواخذة أو رؤساء وربانية السفن والأساطيل التجارية كلهم عمانيون اباضيون[٢] .

---

(١) Marsh & Kingsnorth, op. cit. pp. 8.

(٢) ابن بطوطة، المصدر السابق ج١ ص ٢٧٩.

وقد أفرد المسعودى العمانيين بالذكر فى القرن الرابع للهجرة / العاشر للميلاد فقال : «إن أهل المراكب من العمانيين يقطعون هذا الخليج إلى جزيرة «قنبلو» (مدغشر أو ما لاجاش) من بحر الزنج»[١] .

وهكذا ربط المسعودى ركوب البحر بأهل عمان فقط، وأكد أن «هؤلاء القوم الذين يركبون هذا البحر من أهل عمان، كماأشار إلى أنهم وصلوا فى أبحارهم جنوباً حتى سفالة فى موزمبيق وإلى بلاد الواق واق التى تقع فى أقصى بحر الزنج[٢] .

ويؤكد رحالة معاصر للمسعودى وهو بزرك بن شهريار الرامهزمزى على المهارة الملاحية فى بحر الزنج، فيقول «إن يزيد العمانى النواخذة حدثه، من أنه رأى فى بلاد الزنج جبلين عظيمين»[٣] ، كماأن الناخوذة العمانى اسمعيليويه ذكر له أنه خرج هو وجماعة من البحريين من عمان فى مركبه يريد قبيلة (ملاجاس أو مدغشقر) فى عام ٣١٠هـ/ ٩٢٢م[٤] .

وهكذا تؤكد كافة المصادر أن السفن العمانية والنواخذة العمانيون كانوا أكثر من غيرهم نشاطاً، وكانوا يقومون بنقل السلع الأفريقية فى أساطيلهم التجارية التى بلغ عدد سفن واحد منها، - وقد أبحر من بلاد الزنج إلى عمان عام ٣٣٢هـ/٩٤٣م - ست عشرة سفينة[٥] .

---

(١) مروج الذهب، المصدر السابق ج١ ص ١١٦، ١٣١، ١٥٤، ١٥٩.

(٢) مروج الذهب، المصدر السابق ج١ ص١٠٦.

(٣) بزرك، المصدر السابق ص ١٥٠.

(٤) بزرك، المصدر السابق ص ٥٠، ٥١.

(٥) بزرك، المصدر السابق ص ٦٠.

وهكذا أطمأن العمانيون الإباضية إلى وسيلة مواصلات أمنة فى بحر آمن إلى شط آمن، فما الذى يمنعهم - إذن - من أن يكونوا زعماء التجارة مع أفريقيا بلا منازع .

خامساً : مستحدثات العمانيين لتنشيط التجارة:

اشتهر التاجر العمانى بأنه تاجر حريص . وعلى الرغم من روح المغامرة إلا إننا نجده حريصاً على أمواله وأرواح من معه، فلم يكن التجار العمانيون يتوغلون داخل الجزر الإفريقية إلا بعد الدراسة والتأنى، وكانوا يخشون - بجانب القبائل المتوحشة- الأوبئة الأفريقية ووعورة الأرض، وكلها عوامل تكفى لهروب أى تاجر لايتخذ حيطة نحو ذلك.

إلا أن العمانين، لم يكلفوا أنفسهم عناء التعرض لمثل هذه العوامل، طالما توفرت السلع التى يريدونها على الساحل.

أيضاً لم يكتف العمانيون بذلك بل استحدثوا طريقة أخرى لامتداد وتكثيف تجارتهم، قد يظنها أى تاجر للوهلة الأولى صفقة خاسرة لا لزوم لها، وهى تأسيس «مراكز تجارية دائمة» على الساحل الإفريقى، تلك المراكز التى تحولت مع الزمن إلى مدن وحواضر يحفل بها الساحل الشرقى لأفريقيا إلى اليوم.

وقد استحدث التجار العمانيون هذه الوسيلة ليوفروا لتجارتهم الاستمرارية والأمن فى الوقت نفسه، وحتى يتم معرفتها بشكل دائم من قبل الأفارقة[١] .

وبقيت آثار هذه «المراكز التجارية الدائمة موجودة حيَّة حتى الآن، مثل مدينة

---

(١) ستودارد، المرجع السابق جـ٣ ص١٣٩.

(سالالا) التى أنشأها العمانيون القادمون من «صلالة» العمانية، للتجارة وأسموها على اسم مدينتهم «صلالة» ، فأصبحت الآن على ألسنة أهل مدغشقر (سالالا)، وهى واقعة فى شمال الجزيرة[١] ، وفى الشاطىء الشمالى الغربى للجزيرة كانت هناك أيضاً مدينة تسمى «ليرانة» ذكرها ابن سعيد المغربى .

وقال ابن فاطمة الملاح العربى الذى دار حول أفريقيا من الغرب إلى الشرق ووصف سواحل السنغال وجزر القمر، ودخل مدغشقر: «إنها للمسلمين كمقديشيو، وأن أهلها مجتمعون من الأقطار، وهى بلد حط واقلاع»[٢] ، أى أن «ليرانة» كانت مركزاً تجاريًا بحرياً دائماً.

سادساً : السيطرة الإباضية على الطرق التجارية الكبرى عبر الصحراء الأفريقية الكبرى .

تلك الطرق التى استطاع الإباضية السيطرة عليها، وإقامة العديد من الزوايات فيها لتوفير الأمن والراحة لقوافل التجار، وهى الطرق التى سيطرت عليها البلاد الإباضية الثلاثة: تاهرت، وورجلان، وتادمكت[٣] .

وقد كانت السيطرة الإباضية سيطرة روحية بالإضافة إلى السيطرة المادية، حيث إن معظم التجار المشاهير الذين ساروا على هذه الطرق قد أضفوا على هذه الطرق روحاً وهيبة لما اشتهر على أيديهم من أن تجار الإباضية هم تجار علماء، وأصبح منهم نجوم معروفون على طول هذه الشبكة من الطرق التجارية الكبرى

(١) محمد ناصر العبودى، مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين (الرياض، ١٩٨٠) ص ٣٥.
(٢) ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافية ص ٨٤.
(٣) جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، ص٢٧٢.

منهم: أبو نوح الصغير، وأبو نوح سعيد بن يخلف المذاتي الذى كان من أكبر التجار ثراء، وحج ثم عاد للتجارة فى تادمكت[١] ، وأبو صالح حنون الذى كان يرحل إلى ورجلان لبيع الإبل ومنها إلى تادمكت[٢] ، وأبو يحيى بن أبى القاسم يونس الفـرسطائى الذى قتل فى موقعة «مانو» (عام ٢٨٣هـ/٨٩٦م) وكان فقيهاً وتاجراً إباضياً كبيراً دعا إلى الإسلام فى إحدى بلاد السودان، وله مسجد فى فرسـطاء[٣] .

وهكذا نجوم عديدة ارتبطت أسماؤهم بتلك الشبكة الضخمة من الطرق التجارية الكبرى مما أضفى على التجار وقوافلهم بعداً جديداً ساعد على ازدهار التجارة الإباضية فى أفريقيا.

سابعاً : الحالة البدائية السياسية وعدم وجود دولة تضم الأفارقة:

هذه الحالة التى جعلت الساحل الشرقى الإفريقى عبارة عن قبائل متفرقة، لكل سوق أو مدينة أو قرية زعيم أو شيخ مستقل عن الآخر تماماً، ولذلك كان جميع هؤلاء الزعماء والمشايخ يتبارون فى تقديم الخدمات والتسهيلات للتجار العمانيين الإباضية[٤] .

وكان العمانيون أدرى الناس بغنى تلك المناطق الإفريقية وثرائها، مثل كميات العاج، والذهب ، الدقيق، والحديد، وجلود النمور، وخشب الصندل، والأبنوس،

---

(١) الدرجينى المصدر السابق ج٢ ص ٣٦٧.

(٢) الدرجينى، المصدر السابق جـ٢ ص٣٧٤، ٣٧٥.

(٣) فرحات الجعبرى، المرجع السابق ص ٤٥١.

(٤) المسعودى، مروج الذهب جـ٢ ص ٦، و
الادريسى، المصدر السابق ص ٣٢-٣٥، و
ابن سعد، المصدر السابق ص ٨٣ .

والعنبر الممتاز، وأصداف السلاحف وزيت النخيل، وجلود الحيوانات المختلفة الأشكال والألوان.

بينما كانوا يحملون من عمان إلى أفريقيا منتجات كان الأفارقة يتنافسون عليها «كالتمر العمانى» الذى وصل بالآفارقة حبهم له انهم كانوا يسجدون والعياذ بالله.العرب حينما يزورونهم لأنهم من بلاد التمر أو النخيل [١] .

ولم يكن التمر العمانى هو المحصول الوحيد الذى كان يجد سوقاً رائجة فى شرقى أفريقيا، وقد أشار الإدريسى إلى أن أهل جزيرة أنفوجة (مدغشقر) كان أكثر عيشهم من الموز المتعدد الأنواع، ومنه الموز العمانى الذى كان يتميز عن غيره بطيب طعمه وشدة حلاوته وكبر حجمه ثقل وزنه، حتى إن الثمرة الواحدة منه كانت تزن اثنتى عشرة أوقية[٢] .

كذلك الموز (المروارى) أى «الجوهر» نظراً لصفاته الممتازة وكان يزرع فى «قلهات» ، هذا بالإضافة إلى العقود والأقمشة والخناجر والفئوس وأنواع مختلفة من الزجاج والتوابل[٣] .

كما كان التجار الإباضية من عمان يوردون لهم الحرير والأوانى البورسلين من أرخبيل الملايو، ومن بلاد الصين، حيث كان أغنياء العرب والأفارقة يحبون الأكل فيها ، كما كانوا يجلبون لهم الأوانى المصنوعة من الزجاج من فارس، وبلاد العرب،

---

(١) أبو زيد الحسن السيرافى، سلسلة التواريخ ص ١٣٢.

(٢) ابن بطوطه، المصدر السابق جـ١ ، ص٢٨٨-٢٩٦ و
انظر الإدريسى، نزهة المشتاق ص ٣٤.

(٣) Marsh & Kingsnorth, p.p. 8, 9, 10

وسوريا، والأقمشة الملونة المصنوعة من القطن من بلاد الهند، وكذلك كانوا يوردون لهم القمح من أجل كسب صداقة المواطنين[١].

والواضح أن أهم عامل فى تطوير العلاقات الخارجية التجارية بين عمان الإباضية وافريقيا هو حاجة كل منهما للآخر، هذه الحاجة التى تمثلت فى مجموعة من البضائع التى لايستغنى عنها كل طرف، وهكذا ازدادت تلك العلاقات التجارية عمقاً وكثافة وقوة على أيدى الإباضية.

(١) مجهول، السلوة فى أخبار كلوة، تحقيق : محمد على الصليبى، (وزارة التراث، مسقط سنة ١٩٨٥م) ص ٦ ، و
انظر جيان، المرجع السابق ص ٢٦.

جـ - العلاقات السياسية :

ارتبط إباضية عمان بشكل عام بشرق أفريقيا سياسياً أكثر من أى جزء آخر من الجزيرة العربية، وكانت «إمامة الظهور الإباضية» فى عمان حريصة أشد الحرص على استقلالها عن الخلافة العباسية، وهو الأمر الذى دفع إباضية عمان فى النهاية إلى توثيق صلاتها بشرق أفريقيا باعتبارها أكثر الأجزاء بعداً عن الخلافة العباسية من ناحية، وباعتبار تواجد جالية عمانية كبيرة فيها ترحب بأخوة لهم يأتون هرباً من السلطة المركزية فى بغداد من ناحية أخرى.

ثم إن الساحل الشرقى الإفريقى نفسه كان يحمل العديد من العوامل السياسية التى تشجع على الارتباط السياسى الوثيق معه، إذ لم يوجد فى تلك الفترة أى دولة يمكن أن تفرض نفوذها على تلك الأراضى الشاسعة والقبائل المتفرقة التى سمحت للعمانيين وللإباضية أن يصلوا فى السيطرة على تلك المناطق إلى حد إقامة إمارات تابعة لهم.

وهكذا تطورت العلاقات الإباضية العمانية الأفريقية لظروف فى الخلافة العباسية أو لظروف فى عمان نفسها أو لظروف فى أفريقياً شجعت على الالتحام السياسى بين إباضية عمان وأفريقيا، وبخاصة فى القرنين الثالث والرابع الهجريين.

أما الظروف التى فى الدولة العباسية فكانت بسبب الصراع الذى لم يقف منذ الخلاف بين الأمويين والزبيريين، ثم بينهم وبين الخوارج ومن بينهم الإباضية، واشتد هذا الصراع فى الدولة العباسية بين العباسيين وخصومهم السياسيين من شيعة وخوارج.

وظهرت جماعات، وفرق عديدة، وقامت ثورات ودول مناهضة لحكم بنى

العباس، مثل ثورة الزنج فى جنوبى العراق عام (٢٥٥هـ/٨٦٩م) ، ومثل قيام دولة القرامطة فى البحرين، ومثل حكم الإمامة فى عمان.

كل هذه التطورات والصراعات كان لابد أن تؤدى إلى فرار الكثير من الخصوم، والثوار المهزومين، أو المضطهدين إلى أطراف بعيدة عن سيطرة الدولة الإسلامية مثل ساحل شرق أفريقيا، مما دفع كل من يختلف مع الدولة الإسلامية مثل أئمة عمان أن يعتبروا هذا الساحل هو خط الدفاع الثانى بالنسبة لهم، واعتبرته أباضية عمان بالذات عمقاً استراتيجياً لها.

ودأب إباضية عمان فى صراعهم من أجل استقلالهم عن الخلافة العباسية على الهجرة إلى ساحل شرقى أفريقيا سواء لطبيعة البلاد الجغرافية أم لطبيعة الموقع الذى أثر فى طباع السكان وميولهم وجعلهم فى حالة رفض دائمة لأى محاولة للخضوع السياسى حتى ولو كان لقوى محلية عمانية مختلفة مثلما حدث فى فترات الصراع بين الإمامة الإباضية وبعض القبائل العمانية أو بينها وبين التكتلات والأحلاف القبلية ذات الأهداف السياسية المعارضة للإمامة أو الطامعة فى تولى الحكم والسلطان. وذلك على نحو ما حدث فى الصراع الذى دار بين الإمام الصلت ابن مالك (٢٣٧-٢٧٣هـ/ ٨٥١-٨٨٦م) ، وبين خصومه ، ثم انقسام البلاد بعد إقالته إلى رستاقية ونزوانية[١] ، ثم إلى نزارية ويمنية بعد ذلك[٢] وقيام الصراع بينهما.

(١) انظر ما سبق فى الفصل الثانى من الرسالة .

(٢) جمال زكريا قاسم، المرجع السابق ص ٢٨٦ ، ٢٨٧.

وتفشى الانقسام بين القبائل العمانية لدرجة أن بعضها كان يستنجد بالحكام المجاورين لعمان مثل محمد بن نور حاكم البحرين من قبل الخليفة العباسى المعتضد، وذلك فى عام ٢٨٠هـ/٨٩٣م[١] ، وكالقرامطة فى عام ٣١٧هـ/٩٢٩م، وفى ٣٥٥هـ/٩٦٦م[٢] .

ومهما يكن من أمر فإن هذه الأحوال المضطربة بين إباضية عمان قد دفعت الناقمين على الوضع كله، أو الباحثين عن الهدوء والمسالمة إلى الهجرة من عمان: فمنهم من هاجر إلى منطقة الإحساء بعيداً عن هذا الصراع الدامى، ومنهم من هاجر إلى شرقى افريقيا[٣] .

وبالتأكيد فإن المشايخ والعائلات العمانية قد هاجروا إلى ساحل شرقى أفريقيا، كما هرب بعض العمانيين إلى زنجبار وبعضهم إلى اليمن.

ووجد هؤلاء المهاجرون إلى ساحل شرقى أفريقيا استقبالاً طيباً لأن تلك المنطقة من القارة الأفريقية لم تنعم بوجود وحدات سياسية كبيرة تستطيع منع المهاجرين من الدخول أو تقف عقبة فى طريقهم.

وكل ما كان موجوداً هناك هو قبائل تعيش على الساحل فى قرى صغيرة لايزيد عدد سكانها عن ألف نسمة، ورحبت بالمهاجرين من إباضية عمان وذلك نظراً لما كانت تحصل عليه هذه القبائل من فوائد جمة من وراء هؤلاء المهاجرين.

---

(١) الطبرى، المصدر السابق ج١٠ ص ٣٣، و
المسعودي، المصدر السابق ج٤ ص ٢٧٥.

(٢) ابن الأثير، المصدر السابق ج٨، ص ٥٦٥ و ٥٦٨.

(٣) نور الدين السالمى، تحفة الأعيان : ج١ ص ٢٥٩، و
انظر مايلز، المرجع السابق ص ٩٥.

وقد كان هؤلاء المهـاجرون وأسلافهم على معرفــة كـاملة بالمنطقة منذ زمن بعيد نتيجة للعلاقات التى كانت قائمة بينهما[١] ، كما كانوا على معرفة أيضاً بخيراتها، وما فيها من سلع ومحاصيل كانت مطلوبة فى الأسواق العالمية، وعلى معرفة بأن هناك مراكز تجارية دائمة أو مستوطنات عربية يمكنهم اللجوء إليها، والاقامة فيها حتى تتحسن أحوالهم وحتى يستطيعوا التكيف مع هذا المتجمع الجـديد.

كل هذه الأسباب أدت إلى توثيق العلاقات السياسية بين عمان الإباضية وشرقى أفريقيا، حتى أصبح شرقى أفريقيا تابعاً لعمان تماماً، وأسس العمانيون إمارات عديدة لهم هناك[٢] ، بعد أن حولوا المراكز التجارية الدائمة إلى مدن كبيرة بنوها وبخاصة فى الجزر المنتشرة قرب الساحل الافريقى ليسهل الدفاع عنها ضد أى غزو من القارة الأفريقية[٣] .

وكانت أولى الإمارات العمانية التى أسست على ساحل شرقى أفريقيا هى إمارة «لامو» ، وكانت كبرى موجات الهجرة المكثفة عن عمان بين عامى ٢٩١هـ/ ٩٠٣م، ٣٠١هـ/٩١٣م بسبب اضطهاد القرامطة لهم، وبسبب ما سمعوه من الزنوج أو الجنود السود الذين كانوا بجيش القرامطة عما كان يوجد فى الأرض الجديدة من خيرات وثمار.

وتحقيقاً لذلك فقد قام سبعة أخوة من «الحرث» على رأس عشيرتهم، وأتوا

---

(١) محمد النقيرة، المرجع السابق ص ٦٨.

(٢) مايلز، الخليج: ص ٨٥، و

Rensch, op. cit. p. 73

(٣) دافيد سون، المرجع السابق ص ٢٧٧، ٢٧٨.

فى ثلاث سفن ضخمة مليئة بالمحاربين والمهاجرين الأخرين الذين تركوا الاحساء ونزلوا بعد رحلة بحرية طويلة على ساحل بنادر بالصومال، واحتلوا هذا الساحل خلال وقت قصير، ومدوا نفوذهم حتى «ممبة»، وحدث صراع عربى - عربى فى تلك المناطق مع الشيعة الزيدية فى هذه المناطق كانت الغلبة فيه «للحرث»(١) .

وقد كانت مقديشيو أول مدينة عربية بناها «الحرث» على ساحل «بنادر» عام ٢٩٥هـ/٩٠٧م، وبنوا كذلك مدن براوة عام ٣٦٥هـ/٩٧٥م(٢) ، ومدينة مركة، وقركاوة، والنجا، وبذونة، وماندا، وأعوزى.

كما ظهرت فى عهدهم مدن جليب ، وكندر شيخ، وجزيرة دار شيخ(٣) ، وقد أسسوا فيها دولة لهم أو سلطنة استمروا فى حكمها طوال العصور الوسطى.

وعندما وصل الشيرازيون المهاجرون بقيادة حسن بن على إلى مدينة مقديشيو بعد ذلك بسبعين عاماً من بنائها، لم يستطيعوا أن ينزلوا فيها، ولم يستطيعوا أن يحطموها فاتجهوا جنوبًا إلى كلوة(٤) ، ولم يفعلوا ذلك لأن أهل مقديشيو كانوا يختلفون عنهم فى المذهب، بل لأن مقديشيو كانت من القوة والتحصين مما جعلها صعبة المنال على هؤلاء الوافدين الجدد وعلى من أتى بعدهم من الغزاة(٥) ، بدليل أن نفس العمانيين هم الذين استقبلوا الشيرازيين فى كلوة عام

(١) Rensch, op. cit., p. 90

(٢) آدم متز، الحضارة الإسلامية ج٢ ص ٤٣٦، ويجعل بناء مقديشيو فى عام ٢٩٦هـ .

(٣) حسن محمود، المرجع السابق ص ٣٩٨.

(٤) رجب محمد عبد الحليم، العلاقات السياسية بين مسلمى الربيع، ونصارى الحبشة فى العصور الوسطى، و النهضة العربية: سنة ١٩٨٥، ص ٦٧-٦٩.

(٥) أحمد شلبى، المرجع السابق ٦، ص٣٩٦.

٣٦٥هـ/ ٩٧٥م حينما وجد على بن الحسين بن على الشيرازى بعض المسلمين العمانيين فى المناطق الداخلية فى كلوة، ووجدوا مسجداً واحداً،ورجلاً مسلماً مع عائلته، قام بمهمة الترجمة بين القادمين الجدد وبين ملك الجزيرة الأفريقى[١] .

إلا أن العمانيين لم يتركوا كلوة للشيرازيين على طول المدى، بل قام محمد بن الحسين المنذرى العمانى التاجر العمانى الواسع الثراء بتجهيز جيش من أتباعه جاء كلوة متنكراً، وأرغموا سلطانها حسن بن سليمان على الفرار لاجئا إلى زنجبار، وأقام محمد بن الحسين المنذرى حاكماً لكلوة، بمساعدة قبيلة «مواتاماندلين» صاحبة دولة موزمبيق فى ذلك الوقت[٢] .

وقد تأثرت أيضاً أفريقيا بعلاقاتها مع إباضية عمان، فظهر فى نظم الحكم فيها معالم المذهب الإباضى فكان هناك الإمام والمشايخ، وأهل الشورى من الوزراء والفقهاء .

وهكذا أقامت العلاقات الخارجية بين إباضية الخليج العربى وغيرهم من الإباضية المنتشرين فى العالم الإسلامى شبكة قوية الاتصال، مركز الدائرة فيها عمان بأئمتها وفقهائها وتجارها من أبناء المذهب الإباضى.

* * *

(١) مجهول: السلوة فى أخبار كلوة، ص٢٩.

(٢) عبد المنعم عامر، عمان فى أمجادها البحرية ص ٣٦ و
مجهول، السلوة فى أخبار كلوة ص٣١ و

الخاتمة

* * *

الخاتمة

لقد كان لفرقة الإباضية دور مهم فى الخليج العربى إبان القرنين الثالث والرابع الهجريين، وهذا الدور لم يحظ بعناية تذكر من قبل الباحثين فى حقل التاريخ الإسلامى، فرأى الباحث أن يضطلع بمهمة إماطة اللثام عن الدور الفعال لهذه الفرقة، ولاسيما أنه لايزال لها وجود قوى فى منطقة عمان التى احتضنت فكر الإباضية، كما أن هناك العديد من النواحى التى تتعلق بإباضية الخليج العربى، لايزال الجدل حولها قائماً ولم تحظ بدراسة كافية لحسم هذا الجدل والتوصل إلى نتائج مرضية .

وقد شهدت حركة الإباضية خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين أحداثاً وتطورات زاد من أهميتها وجود ارتباط عضوى واضح بين سكان الخليج العربى والإباضية تدعمت فيه أواصر الصلة بين سكان الخليج العربى والإباضية .

ولما كان الموضوع من الأهمية بمكان، فقد رأى الباحث أن تأتى الدراسة فى أربعة فصول ، عالجت القضايا الرئيسة فيه .

واقتضت طبيعة البحث أن ينتهج صاحبه أسلوب الدراسة والاستقصاء مع التحليل والمقارنة لكل جزئيات الموضوع . واستظهار مصادره .

تناول **الفصل الأول** عوامل انتشار المذهب الإباضى فى منطقة الخليج العربى وتطلب هذا الحديث عن جغرافية الخليج العربى وأهميته بالنسبة للدولة الإسلامية من النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية كما حوى

الفصل نبذة عن نشأة فرقة الإباضية فى البصرة، حاضرة الخليج العربى آنذاك، حيث كان مهد الفكر الإباضى، بعد صراع على ومعاوية ، ثم انطلق منها إلى أطراف العالم الإسلامى، وبخاصة الخليج العربى حيث تجاوب أهله مع مبادىء الفكر الإباضى .

وفى **الفصل الثانى** تعرض الباحث إلى مقدمات الكيان السياسى للإباضية فى الخليج العربى وانتقال قيادة الإباضية فى الخليج العربى من البصرة إلى عمان حيث قامت «إمامة الظهور الإباضية» هناك.

ثم عرض الباحث لازدهار «إمامة الظهور» فى عمان، واضمحلالها بعد أزمة الحكم الإباضى .

وجاء **الفصل الثالث** ليوضح أثر الإباضية فى حياة أهل الخليج العربى الفكرية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية. حيث تم إبراز جوانب الفكر الإباضى المعتدلة. التى تدل على إلتزامهم بالنهج الإسلامى، كما أبرز الفصل السلوك السوى للإباضية، وتأثيره على أهالى الخليج العربى، هذا السلوك الذى جاء وفقاً للقيم الإسلامية، إضافة إلى تأثر أهل الخليج العربى بالفقه الإباضى.

ومن ثم اختتمت الرسالة **بالفصل الأخير** الذى تناول العلاقات الخارجية لإباضية الخليج العربى مع الدولة العباسية، وشرق آسيا ، والصين، ومصر وشمال وشرق أفريقيا ، وقد تنوعت هذه العلاقات بين علاقات سياسية واقتصادية وثقافية وفكرية ، واجتماعية، بالإضافة إلى توضيح الدور المهم

لتجار وملاحى الإباضية فى نشر الدين الإسلامى واللغة العربية فى كثير من البلدان التى أرتحلوا إليها .

وربما تسنى للباحث من خلال الدراسة أن يبرز كثيراً من الجوانب التى شابها الغموض والتى لم تكن - قبل هذا البحث - إلا شذرات متناثرة فى ثنايا كتب العقيدة والتاريخ التى عرضت للإباضية .

كما ألقى البحث مزيداً من الضوء على بعض النواحى السياسية والاجتماعية والفكرية لأصحاب هذا المذهب، ودورهم فى منطقة الخليج العربى فضلاً عن ذلك الدور - الذى ظهر لنا جلياً من خلال البحث - فى نشر الإسلام واللغة العربية .

وأهم النتائج التى توصل إليها البحث ما يلى :

١- أن مصطلح الإباضية شاع فى القرن الثالث الهجرى وقبل الإباضيون أنفسهم إسم «أهل الاستقامة»، و«جماعة المسلمين» و«الشراة» .

٢- أن مركز الدعوة الإباضية فى الخليج العربى انتقل فى الربع الأخير من القرن الثانى الهجرى من البصرة إلى عمان التى أصبحت على امتداد القرنين الثالث والرابع للهجرة مركز الدعوة الإباضية وقيادة لوائها .

٣- أن الدعوة الإباضية فى الخليج العربى دخلت مع انتقالها إلى عمان فى القرنين الثالث والرابع الهجريين، انتقلت إلى دور «إمامة الظهور»، وهو الهدف الأسمى الذى كان يسعى إليه رواد الإباضية

من دعوتهم وهو أن تنقل دعوتهم من دور الكتمان إلى دور الظهور.

٤- أن عمان باعتبارها مقر «إمامة الظهور» فى الخليج العربى قد أصبحت حجر الزاوية فى البناء السياسى والثقافى للكيان الإباضى وكذلك مركزاً للدعوة الإباضية وانتشارها خارج الخليج العربى حيث سارت العلاقات الخارجية للإباضية فى الخليج العربى مع جيرانهم سواء فى مصر وشرق وشمال أفريقيا وشرق أسيا، سارت هذه العلاقات فى القرنين الثالث والرابع الهجريين فى خط متوازن مع نشاط «إمامة الظهور» الإباضية فى عمان .

فيجدر بالباحث أن يلفت أنظار الدارسين إلى أهمية التعمق فى دراسة الإباضية من النواحي الفكرية، وبحث بعض النقاط التى لايزال الجدل حولها قائماً، بعض العادات والسلوكيات التى ينفرد بها أصحاب هذا المذهب.

فضلاً عن ضرورة التعرف على الأسباب الحقيقية التى كانت وراء بقاء هذا المذهب - إلى اليوم - فى منطقة الخليج العربى ، على الرغم من اضمحلاله فى بعض البلدان التى دخلها .

وأخيراً فإن دور تجار الإباضية فى نشر الدين الإسلامى الحنيف فى قارتى آسيا وأفريقيا يحتاج للكثير من التوضيح.

ولعلنى من خلال هذه الدراسة أكون قد وفقت إلى ما كنت أسعى إليه بهذا البحث، والتوصل إلى نتائج مرضية.

والله نعم الموفق ونعم النصير .

ملحق رقم (١)

جدول بأئمة

«إمامة الظهور»

الإباضية فى عمان

جدول بأئمة « إمامة الظهور » الإباضية فى عمان

ما بين (١٧٧-٤٠٥ هـ/ ٧٩٤ - ١٠١٤م)

* * *

أئمة «إمامة الظهور» فى عمان ١٧٧ إلى ٤٠٥ هـ	خلفاء دولة بنى العباس المعاصرون « لإمامة الظهور »
أولاً: أئمة الشراة (١٧٧ - ٢٨٠هـ)	
محمد بن أبى عفان (١٧٧ - ١٧٩ هـ)	هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ هـ)
الوارث بن كعب الخروصى (١٧٩ - ١٩٢ هـ)	
غسان بن عبد الله الفحجى اليحمدي (١٩٢ - ٢٠٨ هـ)	الأمين (١٩٣ - ١٩٨ هـ) المأمون (١٩٨ - ٢١٨ هـ)
عبد الملك بن حميد الأزدى (٢٠٨ - ٢٢٦ هـ)	المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧ هـ)
المهنا بن جيفر الفحجى اليحمدى (٢٦٦ - ٢٣٧ هـ)	الواثق (٢٢٧ - ٢٣٢ هـ)

ائمة «إمامة الظهور» فى عمان ١٧٧ إلى ٤٠٥ هـ	خلفاء دولة بنى العباس المعاصرون « لإمامة الظهور »
الصلت بن مالك الخروصى (٢٣٧ - ٢٧٣ هـ) راشد بن النظر اليحمدى (٢٧٣ - ٢٧٧هـ) عزان بن تميم الخروصى (٢٧٧ - ٢٨٠هـ)	المتوكل على الله (٢٣٢-٢٤٧ هـ) المستنصر بالله (٢٤٧-٢٤٨هـ) المستعين بالله (٢٤٨-٢٥٢هـ) المعتز (٢٥٢-٢٥٥هـ) المهدى (٢٥٥-٢٥٦هـ) المعتمد على الله (٢٥٦-٢٧٩هـ) المعتضد بالله (٢٧٩ - ٢٨٩ هـ)
ثانياً: الأئمة المستضعفون **(٢٨١ - ٣٢٠هـ)**	
محمد بن الحسن الخروصى (تقريباً ٢٨٤ هـ)	المعتضد بالله (٢٧٩ - ٢٨٩ هـ)
الصلت بن القاسم الخروصى (لم تحدد فترة حكمه)	
غران بن الهزبر المالكى اليحمدى (لم تحدد فترة حكمه)	

خلفاء دولة بنى العباس المعاصرون « لإمامة الظهور »	ائمة «إمامة الظهور» فى عمان ١٧٧ إلى ٤٠٥ هـ
	عبد الله بن محمد (أبى سعيد القرمطى) (٢٨٦هـ)
	الصلت بن القاسم (للمرة الثانية) (٢٨٧ هـ)
	الحسن بن سعيد السخنى (٢٨٧ هـ)
المكتفى (٢٨٩ - ٢٩٥ هـ)	الحوارى بن مطرف الحدانى (٢٩٢ هـ)
المقتدر (٢٩٥ - ٣٢٠ هـ)	عمر بن محمد بن مطرف (٣٠٠ هـ)
	محمد بن يزيد الكندى (لم تحدد فترة حكمه)
	الحكم بن الملا البحرى (لم تحدد فترة حكمه)

خلفاء دولة بنى العباس المعاصرون « لإمامة الظهور »	أئمة «إمامة الظهور» فى عمان ١٧٧ إلى ٤٠٥ هـ
	ثالثاً: أئمة الدفاع (٣٢٠ - ٤٠٥هـ)
القاهر بالله (٣٢٠ - ٣٢٢ هـ)	سعيد بن عبد الله
الراضى بالله (٣٢٢ - ٣٢٩ هـ)	(٣٢٠ - ٣٢٨ هـ)
المتقى لله (٣٢٩ - ٣٣٣ هـ)	راشد بن الوليد
المستكفى بالله (٣٣٣ - ٣٣٤ هـ)	(٣٢٨ - ٣٤٢ هـ)
المطيع لله (٣٣٤ - ٣٦٣ هـ)	
الطائع لله (٣٦٣ - ٣٨١ هـ)	الخليل بن شاذان
القادر بالله (٣٨١ - ٤٢٢ هـ)	(٤٠٥ هـ)

ملاحظات علي ما ورد في الملحق رقم (١)

١- تم تقسيم أئمة «إمامة الظهور» فى عمان إلى ثلاثة أقسام كما قسمها رواد الإباضية.

٢- لم يرد ذكر الإمام الجلندى بن مسعود (١٣٢ - ١٣٤هـ) مؤسس دولة الإباضية الأولى فى عمان التى قضى عليها العباسيون سنة ١٣٤هـ.

٣- انقطعت الإمامة فى عمان من سنة (١٣٤هـ / ٧٥٣م)، وحتى مبايعة الإمام محمد بن أبى عفان، لتبدأ المرحلة الثانية لإمامة الظهور الإباضية فى عمان التى استمرت إلى أن قضى عليها العباسيون سنة (٢٨٠هـ / ٨٩٣م).

٤- بعد سنة ٢٨٠ هـ خضعت عمان لنفوذ «الأئمة المستضعفين» حتى سنة ٣٢٠هـ، حيث بدأت مرحلة « أئمة الدفاع » التى استمرت إلى ٣٤٢ هـ، حيث خذل الناس الإمام راشد بن الوليد الذى مُنِيَ بهزيمة من الجيش العباسى، ثم عاشت عمان - بعد ذلك - مدة خمسة وستين عاماً تناوب فيها على حكم عمان عمال الخلافة العباسية وبعض صنائعهم المحليين مثل القرامطة (انظر : الكامل فى التاريخ لابن الأثير حوادث سنة ٣٦٣هـ وما بعدها).

٥- يلاحظ أن الأئمة المستضعفين لم تخضع لهم عمان بأسرها، وإنما تبعهم بعض بلدانها دون البعض الآخر.

كما أن بعض هؤلاء «الأئمة المستضعفين» لم تعرف فترات حكمهم على وجه التحديد.

* * *

ملحق رقم (٢)

«عهد الإمام الصلت بن مالك الخروصي
(٢٣٧-٢٧٣هـ/٨٥١-٨٨٦م)
إلى قادة الجيش المرسل لتحرير
وتخليص جزيرة سقطرى العمانية
من قوات الحبشة الغازية»

* * *

هذا ما يقول الإمام الصلت بن مالك : بسم الله الرحمن الرحيم . إنى أشهد أن لا إله إلى الله وحده لا شريك له ، ومقاليد كل شيئ عنده الواحد الأحد ، العلى الجد ، الذى ليس لعظمته حد ، ولا لملكه عد ، ولا لقدره صاد ، ولا لأمره راد ، ولا له نظير ولا مضاد ، تفرد بفطر الخلق ، ونصر الحق ، ورتق الفتق ، وعلا فدنا ، ودنا فنأى ، وسمع ورأى ، وأعلم وأحصى ، وقدر وقضى ، وأعز وأذل ، وهدى وأضل ، وآثر وأقل ، وأفهم وأدل ، فهو الهادى الدليل ، وكل جبار عنده ذليل ، وكثير عنده قليل ، وهو الجواد بالتفضيل ، والمجازى لمن عصاه بالعذاب الوبيل ، وأشهد أن محمداً أمين الله ، أرسله بما أنزله وفضله ، فعرفه الله العقول ، وأقام به الحجة على الجهول ، وتبتر به الأوثان ، وشرع به شرائع الإيمان ، ودفع به حزب الشيطان ، وأقمى به كل جبار عنيد ، وكل معتد مريد ، فحاربه الكفر وأهله إلى تشريد وتطريد ، وظهر أمر الله وهم كارهون ، وأرادوا أن يطفؤا نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون ، فالحمد لله على قضائه الغالب ، ودينه الواصب ، وحقه الواجب ، كما هو أهله من الحمد والثناء ، وكل وجه لوجه يعنى ، وأوصيكم ونفسى بتقوى الله غافر الذنب ، وقابل التوب شديد العقاب ، ذى الطول ، لا إله إلا هو إليه المصير ، فإليه توبوا فإنه يغفر الذنوب لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى .

﴿ وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون ، واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون ، أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله وإن كنت لمن الخاسرين ، أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين ، أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين - قال الله تعالى ﴿بلى قد جاءتك أياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ، ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله

وجوههم مسودة أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين ، وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم من العذاب لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون ﴾ .

فالزموا تقوى الله فى الغيوب وداووا بها العيوب وتجهزوا للقاء الله بالطاهرة من العيوب فإن الله يغفر لمن يحوب، ثم ينصح إذ يتوب .

﴿ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما ﴾ .

فتوبوا إلى الله من سيء مما مضى ، وأصلحوا فيما بقى بما عنكم به يرضى ، وصونوا دينكم ، ولا تبيعوا دينكم بدنياكم ولا بدنيا غيركم ، وقفوا عن الشبهات ، وأحرموا عن محارم الشهوات ، وغضوا أبصاركم عن مواقعة الخيانة ، واحفظوا فروجكم من الحرام ، وكفوا أيديكم وألسنتكم عن دماء الناس وأموالهم وأعراضهم بغير الحق ، واجتنبوا قول الزور ، وأكل الحرام ومشارب الخمر ، وجماعة السوء ، ومداهنة العدو ، وأدوا الأمانات إلى أهلها .

﴿ وإذا قلت فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ﴾ .

وإذا حدثتم فلا تكذبوا ، وإذا وعدتم فلا تخلفوا ، وأقيموا الصلاة بقيامها ، وقراءتها وركوعها وسجودها وتحياتها وتكبيرها وتسبيحها ، والخشوع فيها لله فإن الله مدح المؤمنين فقال :

﴿ قد أفلح المؤمنون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ،والذين هم على صلواتهم يحافظون

، أولئك هم الوارثون ، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ﴾ .

فافهموا عن الله ، وأقبلوا ما جاء من الله ، ولا ترخصوا لأنفسكم فى شيئ من طاعته الواجبة دخلا ولا كسلا ، ولا تبيتوا شيئا من معاصيه عبلا ولا خبلا ، ولا تركنوا إلى حاده تعصبا وميلا ، فأخاف عند ذلك أن يخذلكم .

﴿ إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ .

واعلموا أنى وليت عليكم يا معشر الشراة والمدافعة - على جميع سقطرى ، أهل السلم منها وأهل الحرب وعلى الصلاة ، وقبض الزكاة ، والجزية ، والمصالحة والمسالمة والمحاربة لأهل النكث من النصارى ، أو من حاربكم من المشركين فى سفركم أو فى مستقركم ، على الأمر والنهى ، وإعطاء الحق ومنع الباطل ، وإنصاف المظلوم من الظالم ، ووضع الأمور فى مواضعها ، وإعطاء كل ذى حق نصيبه من العدل ، من قريب الناس وبعيدهم . وقسم ثلث الصدقات على أهلها ، وتزويج النساء التى لا يصح لهن أولياء فى مواضعهن بمن رضين به ، إذا كان لها كفؤا على ما ترضوا به من الصداق ، ولا يكون الصداق أقل من أربعة دراهم ، وإقامة الوكلاء لليتامى والأغياب الذين لا أوصياء لهم ولا وكلاء فى أموالهم ، وفرض الفرائض لليتامى فى أموالهم ، وللنساء النفقات على أزواجهن بالعدل والمعروف - محمد بن عشيرة ، وسعيد بن شملال ، فاسمعوا لهم وأطيعوا لهم فى طاعة الله ، وفيما دعاكم إليه من حق ، ومجاهدة أعدائه مجتمعين أو متفرقين فى بر أو بحر ، ولتصدق نياتكم ، وتحسن رعايتكم ، وتألوا على الحق قلوبكم .

﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾ ، ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب

عظيم ﴾ ، ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾ .

فانصحوا لوليكم ، ووازروهما ، وتكنفوهما وانصروهما على الحق ، ولا تخذلوهما ، وأجيبوهما ولا تخلفوا ولا تبطؤا عن دعوتهما ، وتناصحوا فيما بينكم، ولا تغاشوا ، ولا تباغضوا ، ولا تغضبوا ، ولا تحزنوا ، ولا تكاذبوا ، ولا تكالبوا ، ولاتحاسدوا ، ولا تكايدوا ، ولا تماكروا ، ولا تضاغنوا ، ولا تطاعنوا فى الأحساب ، ولا تفاخروا فى الأنساب ، ولا تضادوا ، فإنه بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «المسلم أخو المسلم لا يضاره ولا يشاره ولا يماكره وهم كالبنيان يشد بعضه بعضا » ، وتكون غيب بعضكم لبعض فى الشهادة والسرائر كالعلانية ، كأنهم نفس واحدة ، على كلمة واحدة ، وولاية واحدة وعداوة واحدة وحياة واحدة وميتة واحدة ، وأن الله يقول لنبيه ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾ وقال : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتأمنون بالله ولو آمن أهل القرى لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ، لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون ﴾

وقد بغى هؤلاء النصارى وطغوا ونقضوا عهودهم ، ونرجو أن يديل الله عليهم ، وإلى الله نرغب ونبتهل أن يهدم محاصنهم ، ويخرب بالعدل مساكنهم ، ويغنمكم أموالهم وطعامهم ، إن ربنا سميع قريب . فإذا سرتم أو نزلتم فاكثروا ذكر الله فإن بذكر الله تطمئن القلوب وقال الله: ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾

وشدوا على ربابنة السفن أن لا يتفرقوا ، ولا يسبق بعضهم بعضا ، فمن سبق

فليقصر على أصحابه بقدر ما يكون ، حيث يسمع بعضهم دعاء بعض ، فإن عناهم معنى تكيف ووازر بعضهم بعضا إن شاء الله . فإذا أقدمكم الله الجزيرة ، فتناظروا وتشاوروا ، وأرجوا ألا يجمعكم الله على ضلال ، فإن رأيتم أن لا يكون صمدكم ومنزلكم قريبا من القرية الناكثة ، فتحاصروهم ويكون رسلكم إليهم من هناك ، وترسلون إلى أهل العد الذين لم ينقضوا عدهم ، حتى يصل إليكم وجههم ورؤساؤهم ، فإن رأيتم أن يكون منزلتكم فى القرية حيث عود ينزل الولاة والشراة، فافعلوا من ذلك ما اجتمع عليه رأيكم ، من بعد مشورة أهل الخبرة بذلك ، ممن ترجون بركة رأيهم وفضل معرفتهم . فإذا أرسلتم إلى أهل السلم والعهد ، فاعلموهم مع رسلكم أنهم آمنون على أنفسهم ودمائهم وحريمهم وذراريهم وأموالهم ، وأنكم وافون لهم بالعهد والذمة والجزية على الصلح الذى يقوم بينهم وبين المسلمين فيما مضى ، ولا ينقض ذلك ولا يبدله ، ومروهم بإحضار جزيتهم إليكم ، واختاروا إليهم رجالا من خيارهم ، من يثبت إلى الصلاح منهم ، فوجهوهم إلى هؤلاء الناقضين لعهدهم ، الناكثين على المسلمين ببغيهم ، واجعلوا ممن توجهون رجلين صالحين ممن يوثق بهم من أهل الصلاة ، فأن لم يمكنكم بعث اثنين صالحين من أهل الصلاة فواحد ، فتأمروهم إن يصلوا إلى الذين نقضوا العهد ، فتدعوهم عن لسانى وألسنتكم إلى الدخول فى الإسلام ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، مع حقوق الله والانتهاء عن معصيته ، فإن قبلوا ذلك فهى أفضل المنزلتين لهم وذلك يمحو ما كان من حدثهم ، لأن الله يقول فى المحكم من كتابه .

﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد، فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم﴾ .

وإن كرهوا أن يقبلو الإسلام ويدخلوا فيه ، فلتدعوهم إلى الرجعة من نكثهم والتوبة من حدثهم إلى الدخول فى العهد الأول الذى كان بينهم وبين المسلمين ، على

أن لهم وعليهم الحكم بالقرآن وحكم أهل القرآن من أهل أولى العلم بالله وبدينه من أهل عمان ممن نزل إليهم أمر المسلمين ، فإن أجابوا وتابوا فلتقبلوا ذلك منهم ولتأمروهم بترك ما فى أيديهم وأيدى أصحابهم من أهل الحرب من نساء مسلمات ، ثم لا يتزوج رسلكم من عندهم حتى يقدم معهم رؤساء أهل الحرب ، ويسلموا إليهم النساء المسلمات اللاتى سبوهن واجعلوا لرسلكم أجلا فى رجعتهم بمن أجابهم وبالسبايا إلى ذلك الأجل أن لا تظلموهم ، ولا تخادعوهم ، ولا تماكروهم بالباطل والتوانى فى ذهاب الأيام ، فإن وصلوا إليكم بمن أجابهم من أهل الحرب وقد استسلموا وتابوا من حدثهم وجاءوا بالنساء المسلمات فاقبلوا ذلك منهم ، ولاتعرضوا لأحد ممن وجاءكم تائبا متأمنا مستسلما بسفك دمه ، ولا انتهاك حرمته ولا سبى ذريته ، ولا غنيمة ماله ، وليكونوا مثلكم آمنين ، واحفظوهم ألا يرجعوا إلى هرب من أيديكم ، وتأمروهم أن يرسلوا إلى من ورائهم من أصحابهم أن يلقوا بأيديهم إلى ما ألقوا هؤلاء بأيديهم ، وتأمروهم أن يبعثوا إلى من ورائهم بإحضار جزية هؤلاء الذين قد أمنتموهم الماضية ، ولا يعلموا بما تريدون فيهم فإن جاء الذين من وراءهم كما جاء هؤلاء وألقوا بأيديهم فاقبلوا ذلك منهم ، وخذوا جزية من وصل إليكم منهم ، وأما من تمرد وأراد أن يبعث بجزيته ويقيم فى منزله على حدثه فلا تقبلوا ذلك منهم ، ومن صار منهم إلى أمانكم وعهدكم فليكونوا فى أسركم آمنين ، وأحسنوا إليهم فى طعامهم وشرابهم ، وامنعوهم ممن أراد ظلمهم حتى توصلوهم إلى والى المسلمين إن شاء الله ، فإن الله يقول :

﴿ قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولايحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾ .

فإذا أعطوها فلا سبيل عليهم ، وإن رجع إليكم رسلكم فأخبروكم بأنهم كرهوا

الدخول فى الإسلام ، والرجعة عن نكثهم ، وحدثهم إلى العهد والذمة وإعطاء الجزية ، وكان فى رسلكم رجلان ثقتان ، أو رجل واحد من أهل الصلاة ممن تثقون به فى صدق خبره ، فقد حل لكم عند ذلك مناصبة هؤلاء الناكثين ، ومحاربتهم بالمكائد والقتل لهم حيث وجدتموهم بالبيات وغير البيات ، وغنيمة أموالهم ، وسبى ذراريهم الذين ولدوا فى حال نقضهم ، ونكثهم فأما من كان مولودا فى حال سلمهم قبل أن ينقضوا عهدهم فأولئك لا سبى فيهم ، وحل لكم أيضا سبى نسائهم ، واتقوا الله فيما غنمتم ، فلا تستحلوا قليلا ولا كثيرا من الشسع فما فوقه ، ولا وطء النساء من السبايا فإن ذلك حرام ، ومن الخيط والمخاط ، ولا تغلوا من ذلك شيئا فإن ذلك عار وشنار ونار ، حتى تباع الغنائم فيحفظ خمسها من وليته أمركم محمد ابن عشيرة ، وسعيد بن شملال ، فإن حدث بأحدهما حدث فالباقى منهما يقوم مقام صاحبه ، فإن حدث بهم جميعا حدث ، فقد أقمت مقامهما حازم بن همام ، وعبد الوهاب بن يزيد ، وعمر بن تميم ، وأما ما قدرتم عليه من سبى نسائهم وذراريهم الذين وصفت لكم كيف يحل سبيهم ، فلا تبيعوهم هناك حتى توصلوهم إلى ، وأنفقوا عليهم من مال الله من الغنائم حتى تصلوا بهم إلى ، وإن لم تقدروا على رجلين ولا رجل من أهل الصلاة ممن تثقون به فى إبلاغ الحجة عليهم وإبلاغ مقالتهم إليكم فلا تبيتوهم ، ولا تغتالوهم بالقتل ، ولا تسبوا لهم سبيا ولا ذرية ، ولا تغنموا لهم مالا حتى تسيروا إليهم بأنفسكم ، فإن كانوا متفرقين فرأيتم أن توجهوا منكم طائفة ، وتقيم منكم طائفة فى عسكرهم ، إن لم تخافوا مكائد الفسقة على الطائفة الخارجة إليهم وإكمانهم لهم ، فاخرجوا لهم من رأيتم فى كم رأيتم من الرجال من أهل النجدة ، والرحلة ، والخفة ، حتى يأتوا إلى من رجوا أن يدركوهم فى تواحدهم وانفرادهم من جماعتهم ، فإذا وصلوا إليهم دعوهم إلى الإسلام والدخول فيه ، فإن أجابو اقبلوا منهم ، وإن كرهوا دعوهم إلى الوفاء بالعهد

والرجعة عن النكثة إلى حكم القرآن وحكم أهله من المسلمين بعمان ، وإن قبلو اقبلوا منهم ، وإن كرهوا هللوا الله وكبروه وحكموه وقاتلوهم ، فإن أظفرهم الله بهم قتلوا من قاتلهم فى المعركة وسبوا ذراريهم الذين ولدوا بعد نقض العهد كما وصفت لك سباهم ، ولا يقاتلوا مواليا إلا أن يقاتلهم ، فإن استأسر أخذوه ولم يقتلوه ، وإن خفتم مكيدتهم واجتماعهم على طائفة إن وجهتموها فلا توجهوا إليهم طائفة دون طائفة ، ولكن استعينوا بالأدلة من أهل العهد . وسيروا بأجمعكم ، فإن خفتم على عسكركم ، وعلى ما تخلفون فيه من طعامكم فرأيتم أن تكوروا السفن فى البحر وردوا فيها الأطعمة ، وتخلفوا فيها رجالا من رجالكم فافعلوا ، ثم سيروا ولا قوة إلا بالله إلى حيث رجوتم أن تهجموا عليهم أو على أحد منهم ، وإن كانت الحجة قد صحت عندكم كما وصفت لكم برجلين ثقتين من أهل الصلاة ، أو بواحد من أهل الصلاة بأنهم قد كرهوا الدخول فى الإسلام ، والرجعة إلى النكث إلى العهد، فليس عليكم أن تحتجوا عليهم بعد طلك ولا أن تدعوهم ، فاصبوا لواءكم واعطوه أرجى لكم فى أنفسكم بالكرة على عدوكم ، والتخصيص لواليكم لمن يتقدم ولا يتأخر ، ويثبت لواءه ولا ينكسه ويظهره ولا يدسه ، ثم اذكروا الآخرة وانسوا الدنيا فإنكم الحنفاء ، والله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا ، ثم سدوا الصفوف ، وقووا النيات ، وجردوا السيوف واجعلوا لكم ميمنة وميسرة وقلبا ، وإن رأيتم أن تجعلوا منكم كمينا لعدوكم فافعلوا «وهى طائفة تكون لا يراها العدو حتى تأتى من ورائهم» واعلموا أنه يقال إن السيوف مفاتيح الجنة ، وأن الجنة تحت البارقة ، فلا يهولكم عدوكم ، وهبوا الله أنفسكم ، وامضوا إليه زحوفا ولاحموا لهم صفوفا ، وليكن شعاركم «لا إله إلا الله محمد رسول الله ، لا حكم إلا لله ، ولا حكم لمن حكم بغير ما أنزل الله وخلعا وبراءة وفراقا لجميع أعداء الله» فإنها ساعة تفتح لها أبواب السموات وأبواب الجنات ، وتزين فيها الحور العين ، وتهبط

فيها الملائكة ويأتى نصر الله ويمدكم إن شاء الله بأضعافكم من الملائكة ، ويقلل الله عدوكم فى أعينكم ويكثركم فى أعينهم ، فيجعل الله أصواتكم بالتكبير ، والتحكيم ، كالرعد القاصف فى أسماعهم ، ولوامع سيوفكم كالبرق الخاطف فى أبصارهم ، وعند ذلك لا تحصى أجوركم ، وما أعد الله للصابرين الصادقين أهل السموات وأهل الأرض من أجوركم ، فاصبروا ساعة يفرق الله بين الحق والباطل ، وقولوا كما قال إخوانكم لو ضربونا حتى نبلغ الغاف من عمان لعلمنا أنا على حق وأنهم على باطل ، وهم حزب الشيطان وأنتم حزب الرحمن ، وقال الله :

﴿ إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ ﴿ اصبروا وصابروا ، ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ فإن الله يقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوه الأدبار ، ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ، فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا إن الله سميع عليم ﴾ ، ﴿ واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾ .

فما غنمتم من سلاح ، أو طعام ، أو أنعام ، أو أثاث فليس لأحد منكم أن يذهب منه شيئا قليلا ولا كثيرا لا طعام ولا غيره ، فأما الأثاث والطعام ، والأنعام، وما ثقل عليكم فلا يمكن لكم حمله ، فذلك يباع كله فيمن يزيد بالاجتهاد منكم فى طلبه غاية الثمن ، ويتولى بيعه محمد بن عشيرة وسعيد بن شملال ، أو من شهد ذلك منهما ، ثم يعزل خمس ذلك حتى يوصل إلي ، وتقسم أربعة أخماس على المقاتلة ، على من حضر الحرب كلهم بالسواء ، وما كان من سلاح ، أو نساء ، أو ذرية من الذين ولدوا بعد نقض العهد ، فأولئك يحملون إلى ويرفع وينفق عليهم من مال الله من المغانم إلى وصولهم . ويرفع السلاح إلى ومن غنم شيئا ووقع فى

يده شيء من النساء ، فليتق الله فلا يطأهن حتى يبيعهن ويقبض ثمنهن . فمن شككتم فيه واشتبه عليكم فيه من الذرارى ولم تدروا أكان مولده بعد العهد أو فى العهد فخلوا سبيلهم ولا تسبوهم . وما كان من المسلمات اللاتى سبوهن قد ولدن من أحد منهم ، أو كان فى بطونهن حبل فإن أولادهن لحق أمهاتهم المسلمات وهم مسلمون مثل أمهاتهم ، ولا يكونن لحقا بآبائهم ولو دخلوا فى العهد ورجعوا عن النكث ، وإن كان من النساء المسلمات المسبيات أحد قد ارتد عن الإسلام جبرن حتى يرجعن إلى الإسلام .

وإذا التحمت الحرب بينكم وبينهم فلا تقتلوا صبيا صغيرا . ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ، إلا شيخا أو امرأة أعانوا على القتال ، ومن قتلتموه عند المحاربة فلا تمثلوا به فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المثلة ، وكذلك ما أخذتم من الجزية فارفعوه إلى ، وأما إن كان فيها شيء من الصدقات على أحد من أهل الصلاة فقبضتموه ففرقوا ثلثه على فقراء البلد بالاجتهاد منكم فى ذلك ، وارفعوا إلى ثلثيه ، والذى عليه عزم رأيي أن يكون منزلكم فى القرية حيث كان ينزل ولاة المسلمين قبلكم ، فتعمروا عسكركم ومسجدكم بالصلوات والذكر لله بالغدو والآصال، ثم لا تغفلوا عن الحرس فى الليل واجعلوه نوائبا بينكم فى كل ليلة حول قريتكم ، فإنه يقال إن الله يباهى بنفر من عباده من أهل أرضه ملائكته منهم مقدمة القوم إذا حملوا وحاميهم إذا انهزموا وحارسهم إذا ناموا ، تتموا الصلاة ما دمتم فى القرية ، وإذا خرجتم أكثر من فرسخين من القرية صليتم قصرا ، وجمعتم الصلاتين الظهر والعصر ، والعشاء والعتمة ، وإن حضرتكم الصلاة وأنتم مواقعون لعدوكم، وهم فى وجوهكم أو من وراء ظهوركم ، وأنتم فى القرية ، أو فى السفر ، فأى صلاة حضرتم فى ذلك الوقت فليقم الإمام مستقبل القبلة وخلفه طائفة من أصحابه ، وتقيم طائفة أخرى فى نحر العدو مستقبلين لوجوههم وجوه العدو وحيث يسمعوا

تكبير الإمام جميعا ، فيوجه الإمام الطائفتين جميعا ويكبر الإمام تكبيرة الإحرام وتكبرها معه الطائفتان جميعا ، فإن كان فى صلاة النهار قرأ فاتحة الكتاب وحدها، وإن كان فى صلاة فيها قراءة قرأ فاتحة الكتاب وسورة من قصار السور ، ثم كبر الإمام وركع وركعت الطائفة التى وراءه معه ، ووقفت الطائفة الأخرى فى نحر العدو راكعة لا ساجدة ، فيركع الإمام وتركع الطائفة التى خلفه ويسجد الإمام وتسجد الطائفة التى خلفه ويسجد الإمام سجدتين ، ثم يرفع الإمام رأسه وينتصب الإمام قائما وتمضى هذه الطائفة الذين كانوا خلفه فتركد فى نحر العدو ، حيث كانت الطائفة الأخرى ، وترجع الطائفة الأخرى ، فتقوم مقام الطائفة الذين كانوا خلف الإمام ، فتكون خلف الإمام فيقرأ الأمام ثم يركع وتركع معه الطائفة ويسجد وتسجد معه سجدتين ، ثم يقرأ التحيات ويسلم وتسلم الطائفتان جميعا ، ثم ترجع الطائفة إلى أصحابهم فهذه صلاة الحرب فى موضع التمام وفى موضع القصر ، وأما صلاة المضاربين بالسيوف عند التقاء الزحوف فهى خمس تكبيرات ، وصلاة الهارب خمس تكبيرات ، حيث كانت وجوههم ، وأما الطالب لعدوه فيصلى صلاة نفسه إذا كان لا يخاف عدوا وإنما هو الطالب لعدوه ، فإن كان فى حد التمام صلى تماما ، وإن كان فى حد القصر صلى قصرا ، ومما أوصيكم به أن تتقوا الله ولا تبيعوا شيئا من الأسلحة بسقطرى ، ولا تشربوا نبيذا ، ولا يحدثن أحدكم امرأة خاليا ، ولا يشتمن بعضكم بعضا ، ولا يكونن مجلسكم فى لهو ولا لعب ولا هزل ولا كذب ، فمن ظفرتما عليه أنتما «أعنى محمد بن عشيرة ، وسعيد بن شملال» أو صح معكما عليه أنه شرب نبيذا حراما ، أو خلا بامرأة يحدثها غير ذات محرم منه ممن تسبق إلى قلوبكم فيه التهمة ، أو يكون منهم اللهو باللعب أو بالغناء أو بشيء مما يكرهه الله والمسلمون ، أو آذى أحدا من المسلمين أو والى أحدا من عدوهم ، أو باع سلاحا فى أرض الحرب ، فقد أذنت لكما فى قطع صحبتهم، وإخراجهم من عسكركم ،

وقطع النفقات والإدام عنهم ، ومن كان معه منهم شيء من أسلحة المسلمين فتضمنوه ، إلا من تاب منهم واستغفر ربه وراجع ما تحبون منه ، فاقبلوا توبته وأقيلوا عثرته ، وردوا عليه نفقته ورزقه ، إلى أن يسلمكم الله وترجعوا إلينا إن شاء الله ، ومن أراد من أهل سقطرى من أهل الصلاة من رجال ، أو نساء ، أو صبيان ، أن يخرجوا معكم إلى بلاد المسلمين إن شاء الله ، ومن كان هنالك من أولاد الشراة وأعوان المسلمين فاحملوهم إلى بلاد المسلمين ، فإن تلك دار لا تصلح لهم بعد تلاحم الحرب بيننا وبينهم .

واعلموا أنه لا يحل لأحد من المسلمين نكاح نساء النصارى من أهل سقطرى لا نساء أهل العهد منهم ، ولا نساء أهل الحرب ، إلا نساء الذين يقرءون الإنجيل من أهل العهد منهم ، فأما من يقرأ الإنجيل منهم من أهل العهد ، فلا يحل نكاح نسائهم ، ولا أكل ذبائحهم ، ولا طعامهم ، وأما أهل الحرب فلا يحل نكاح نسائهم ، قرءوا الإنجيل أم لم يقرءوه ، ولا تؤكل ذبائحهم كانوا من أهل العهد أم من أهل الحرب .

وما اشتبه عليكم من الأمر الذى أنتم فيه فلم تجدوه فى الآثار ولا فى الكتاب ولا فى السنة ، ولا فى كتابى هذا ، فقفوا عنه حتى تردوه إلى إن شاء الله ، وإن انقضى الأمر بينكم وبين عدوكم إلي رأس الزنج فاخرجوه في رأس الزنج ، وتختلفوا بعد أن ينقضى الأمر بينكم وبينهم ، وإن لم ينقض الأمر بينكم وبينهم إلى تبرمة فتأخروا إلى تبرمة إن شاء الله ، فإنى أرجو أن يكون معكم من الطعام ما يكفيكم إلى ذلك إن شاء الله .

لا تختلفوا فى آرائكم ، ولا فى سلمكم ولا فى حربكم ، وليكن رضاكم واحدا ، وغضبكم واحدا ، ووليكم واحدا ، وعدوكم واحدا سواء ، ودمكم سواء ،

فإنى أسأل الله أن يهديكم للائتلاف وأن يؤمنكم ، ويؤمن بكم من المخاوف ، وأن يعيذكم ويعذكم من الارتجاف والاختلاف ، وأن يكسيكم كل خلق واف ، وكل علم كاف ، وكل عمل صاف ، وأن يدفع بكم أهل الإنصاف ، ويملك بكم أهل الشرك والإسراف ، وأن يجر بكم من المصارع ، ويجب بكم منهم المطامع ، ويصم بكم منهم المسامع ، ويحصدهم لكم بالقواطع اللوامع ، ويأسرهم لكم فى المجامع ، حتى يحيي بكم الشرائع ، ويهب لنا فيكم أكمل الصنائع ، ويجعلكم وإيانا منه فى الحمى والودائع ، وأستودع الله أنفسكم ودينكم وخواتم أعمالكم فإنه خير حافظ وهو أرحم الراحمين ، ولا جعله الله آخر العهد بيننا وبينكم ، وذكرنا وإياكم برحمته، وأيدنا وإياكم بعصمته ، وزادنا وإياكم من نعمته ، وهدانا وإياكم لحكمته، وأعاذنا الله وإياكم الفتن والإحن والحزن ، وجعل كلمتكم العلياء ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، وأيدكم بروح القدس الذى لا يهزم ولا يغلب ، وأذل الشيطان وحزبه بالرعب والرهب والغرق ، وقطعهم شذرا ومذرا ، ومنحكم منهم أدبارا ، وهتك بكم منهم أستارا ، وأهلك بكم منهم أرواحا وأبشارا ، وأصلاكم بهم بوارا ونارا ، آمين يارب العالمين .

وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله ، خاتم النبيين عليه السلام ورحمة الله وبركاته ، شهد الله على ما نقول وكفى به شهيدا ، أشهدكم الله وملائكته ، ناصرين وضاربين لوجوه الكافرين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ونعم المولى ونعم النصير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »[١] .

---

(١) انظر : نور الدين السالمى ، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان جـ١ ص ١٦٩ إلي ١٨٣ (مكتبة الاستقامة، سلطنة عمان) .

ملحق رقم (٣)

« عهد الإمام الصلت بن مالك لأحد ولاته على رستاق مجار

* * *

« عهد الإمام الصلت بن مالك لأحد ولاته على رستاق هجار »

عهد عهده الإمام الصلت بن مالك ، لغسان بن جليد[١] ، حين بعثه واليا على رستاق هجار : «إنى أوصيك بتقوى الله فى سرك وجهرك ، وإن تكون على أمر الله حدثا[٢] وفى مرضاته راغبا ، وإن تعمل بالعدل فى الرعية ، وأن تقسم بينهم بالسوية ، وأن تأمر بالمعروف وتحث أهله عليه ، وتنهى عن المنكر وترده على من عمل به ، وتنزل كل ذى حدث حيث أنزله حدثه ، وأن تقيم فيه كتاب الله ، وتحيي فيهم سنة نبى الله صلى الله عليه وسلم ، وتسير فيهم بسيرة أئمة الهدى ، فى حد الغضب منك والرضا ، ولا يخرجك غضبك من الحق ، ولا يدخلك رضاك فى الباطل ولا تتعاطى من الناس عند قدرتك عليهم ما لم يأذن الله به لك فيهم ، ولاتخف فى الله لومة لائم ، واجعل الناس عندك فى الإنصاف سواء واحذر أن يستميلك إلى أحد منهم هوى ، ولا تركن إلى أهل الجهل والباطل والطمع والغى ، فإن الله قد حذر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فقال :

﴿ واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ﴾ وقال : ﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون﴾ . وقال : ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون. إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين ﴾ .

ولا تتخذ من الأصحاب إلا الأمناء الذين تؤمنهم على ما يغيبون به عنك من أمانتك فيما يرفعونه إليك من رعيتك ، فإنى قد ائتمنتك على أمانتى ، ووثقت

(١) خ خليد .

(٢) يقال رجل حدث بين الحداثة ، أى تكون على أمر الله ثابتا ظاهرا كأنك فيه ابتدا أو فتيا .

بك على حمايتى ، بالقيام بالقسط فى رعيتى ، والمساعدة لى على ما أنا قائم لسبيله من أمر ربى ، وكن كما رجوت فيك وعند ظنى بك ، فإنك عين لى على ما غاب عنى ، ، والله شهيد عليك وعلي ، وناظر إليك وإلي وسائلك وسائلى ، فلست بمعنى لك من الله ، ولا أنت بدافع ولا نافع لى عند الله ، إلا بحفظ أمانته ورعاية حقوقه والصدق عليه ، فبالله فاكتف ، ومنه فاستح ، وإياه فاتق ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

واعلم أنك قادم على رعية قد رعاها رعاة قبلك ، وأفضل منك ما أنت قادم عليه ، وأن تأمرهم بطاعة الله ، وتعمل بما فيهم ، وتدعوهم إلى الوفاء بعهد الله ، وتفى به لهم ، وتحضهم على شرائع الإسلام ، والرضا بالحلال وترك الحرام ، وأن يعملوا بفرائض القرآن فيما ساءهم أو سرهم أو نفعهم أو ضرهم ، وأن يسمعوا ويطيعوا لمن ولاه الله أمرهم فيما أطاع الله فيه ، وأن يتعاونوا على البر والتقوى ، ولا يتعاونوا على الإثم والعدوان ، وأن تعدلوا بالحق وتجتمعوا على العدل ، توادوا أهل الطاعة ، ولا توادوا أهل المعصية فإن الله يقول :

﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا ءاباءهم أو أبنآءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ﴾ .

فمن كان من الله وجد فيه بعث الله للمؤمنين[١] وازجرهم عن العصيان والحميات[٢] ، فإنها من صفات الجاهلية فانه عن ذلك وقدم فيه ، وأخمد ذلك

---

(١) هذه العبارة غير صحيحة ولم نجد لها أصلا نرجع إليه فليتأمل .

(٢) الحميات جمع حمية وهى ميل المرء إلى قومه ، أو من يحبه فى حال الفساد وقوله قدم فيه أى قدم إلى الحد والتعزير من يستحق ذلك من أهل الحمية الجاهلية .

واطفه، وحذرهم الفتنة والبغى والضغائن والفساد والحقد والهمز واللمز لبعضهم بعضا ، فإن ذلك يورثهم الإحن فيما بينهم ، وترك ذلك عونا لهم على سلامة الصدور ، وصلاح ذات البين ، واشدد عليهم فى الانتهاء عن مشارب الحرام ، ومجالس الخوض واللعب واللهو الباطل والسفه والجهل والظلم والخيانات ، وامرهم بعمارة مساجدهم ، وتقديم أهل الفضل والصلاح للإمامة فى صلاتهم ، فمن قبل ما أوصيته به وأجاب دعوتك واستقام على ذلك فاخفض لأوليائك جناحك ، وألن لهم جانبك واقبل منهم واحسن إلى محسنهم ، ومن كره قبول العافية وأعرض عن الدعوة وخاف الحق وترك السنة وركب المعصية ، فشمر لأولئك عن الساق واحسر لهم عن الذراع ، وأبسط عليهم من العقوبة ما يستحقونه بإحداثهم ، وأنزلهم حيث أنزلهم الحق فإن الله عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم :

﴿ يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾ وأنزل الناس منك منازل على قدر منازلهم من الخير والشر ، ولينفع بذلك أهل المعروف ، وليضر أهل الباطل والمنكر فعلهم عندك . وشاور من يخاف الله فى أمرك وشاركهم فى عنايتك ، فإنك تحتاج إليهم ولا غنى لك عنهم ، واتخذهم لسرك ولمشورتك ، ولا تأخذ تعديل الناس إلا بالثقات الذين لا شبهة فى صلاحهم ، ولا يختلف فى عدلهم فأولئك فاسأل وعنهم فاقبل ، واحذر أهل الدنيا الذين تخاف مكرهم ، ولا تأمن شرهم وغدرهم ، ولا تقم شيئا من الحدود قبلك ، ولا تحكم بين الناس فى القصاص ، ولا فى الأرش ولا فى الأموال ولا فى نكاح ولا فى طلاق ولا فى عتاق ، حتى ترفع ذلك إلى ، ولك ما اشتبه عليك شيء مم الحكم فيما بين الناس ، فقف ، ولا تقدم عليه حتى تشاورنى ، فأنظر فيه أنا ومن معى من أهل الرأى ثم أطلعك من ذلك على ما أرجو به السلامة ، فإن ذلك أسلم لى ولك إن شاء الله ، وانصف الضعيف من القوى ، والفقير من الغنى ، والعبد من المولى ، وكل

حق صح معك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك ، ولا تكن فظا غليظا القلب من كثرة المعانى ، ولا محتجبا عن مطالب الحق والضعفاء واليتامى ، واجعل للنساء حظا من خلوتك فإن لهن أسرار أنت موضعها[١] ، واصبر نفسك لذلك ، ولا تضجر من كثرة المعانى ، ولا تحكم بين الناس وأنت غضبان ، ولاتبع ولا تبتع فى ولايتك شيئا إلا ما لابد منه من بيعه ومن طعام الصدقات من غير أن تجبر أحدا يشترى منك شيئا ، ولا تعلم أحدا أنه متخذ بذلك عندك يدا ، ولا تجبر أحدا يحمل طعاما من بلد إلى بلد استكراها منك لهم ، ولا تقبل من أهل ولايتك الهدايات ، ولا تجبهم إلى الدعوات ، وأمر بذلك ولاتك ، وأصحابك ، فإن ذلك من المعائب ، ولا يدعو إلى الأدهان والإصغاء ، والركون إلى الهوى ، فأعاذنا الله وإياك من الشيطان وفتنته ، رغب الناس فيما افترض الله عليهم ، من أداء زكواتهم ودفعها ليضعوها فى مواضعها ، واعلمهم أن من وفى بها فهو من الله فى رحبة من الأثر فى سعيه والإيجاب له من ثوابه ورحمته ، ومن سترها أو شيئا منها فقد خان الله ورسوله ، فليس من الله فى شيء، ولا يقبل الله صلاة لمن كان لزكاته خائنا ، قال الله تعالى :

﴿ قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إلى من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين ﴾ ومن لم يؤدى زكاته لم يقم بما أنزل الله من فرائضه وشرائع دينه ، ومن أداها إليكم طائعا فاقبلوها منه ، ومن اتهمتموه فيها وكان عند أهل المعرفة متهما فاستحلفوه بالله ما ستر عنكم ما لله فيه حقا من غير تهديد منكم

---

(١) وذلك لأجل الاستفتاء والرجوع فى قضاياهن ، والنظر فى شكواهن ، فإن الوالى العادل التقى موضع اطمئنان الخائف الوجل ، والذى يعتريه الخجل والحياء كالمرأة وللمرأة أسرار كمسائل الحيض والنفاس ، والأحوال الزوجية قد تأبى أن يعلم بها أحد من الناس سوى القاضي، أو المفتى ، فإن الأحوال العائلية كثيرا ما تضن بها كرائم العائلات إلا فى المجلس الخاص للفصل فيها صونا للكرامة .

له بحبس ولا قيد ولا ضرب ، فإن يك صادقا فقد سلمتم وسلم وإن يك كاذبا فسيلقى الله بخانته وأنتم أبرياء منها ، ولعمرى لأن يلقى الله بخيانته أحب إلى أن تلقوه بعقوبته على غير بيان ولا برهان ، وحاسبوا أهل التجارات على تجاراتهم بالرفق والدعة ، ويقوم عليهم كلما أرادوا التجارة بقيمة عادلة وسطا على أوسط سعر البلد ، ومن ادعى أن عليه دينا وقال إنه يريد أن يقضى دينه من ورقه فى سنة طرح عنه دينه ، فإن بقى فى يده ما يبلغ فيه الصدقة أخذت منه ، وإن لم يبق ما يبلغ فى الصدقة فلا سبيل عليه ، وإن اتهم فيما ادعى استحلف بالله أن عليه من الدين كذا وكذا ، وكل دين على رجل مفلس فإنه لا يحاسب عليه ، ولايكمل به الصدقة ، ولا يؤخذ بما فى أيدى الناس من ثمارهم ، ولا يقوم ذلك عليهم فى حساب ورقهم حتى يبيعوها ويصيروها دراهما ، ويحمل مال الولد على مال والده ما دام ولده فى حجره ولو كان بالغا ، وما كان أوفر للزكاة من حمل الورق على الذهب أو الذهب على الورق حمل ، ويقوم الذهب والفضة بأوسط صرف البلد ، ومن أراد أن يعطى ما يلزمه من الفضة فضة بقدر ما وجب عليه بالمصارفة على صرف فضة فى البلد فله ذلك .

واعلم أن الناس يختلفون فى محل صدقاتهم ، وكل امريء منهم تؤخذ صدقته فى محلها ولا تعجل عليه قبل وقته ، ولا تؤخر بعد وقته ، وأما السلف فإنما يحسب رأس المال ما لم يقبض ، وقد قيل فيه أنه إذا حل قوم على سعر البلد إذا كان على الأوفياء ، والقول الأول أحب إلينا ونرجوا أن يكون أبعد من الشبه وأسلم، وهو أكثر قول الفقهاء ، وأما الثمار فتؤخذ منها الصدقة على ما أدركت عليه ، وإن أدركت على سقى الأنهار أو ماء الأمطار وبلغت ثلاثمائة صاع بصاع النبى صلى الله عليه وسلم أخذ من كل عشرة مكائك مكوك ، ولا يحمل شيء من الثمار بعضها على بعض ، إلا البر والشعير فإنه يحمل أحدهما على صاحبه ،

وليس على ما يطعم الفقير صدقة ، ولا ما أعطى لله إلا أن يعجز الكيل عن تمام الزكاة ، فعند ذلك يحسب ما أطعم الفقراء حتى يكمل به الصدقة ثم يأخذ ما بقى ، وليس فيما يدفع إلى الفقراء صدقة ، وإذا كان الزوجان متفاوضين فى الثمار حمل ثمرة أحدهما على الآخر ، ولا تحبس على الناس ثمرة نخلهم ، بعد إدراكها من أجل حضوركم إياها لأخذ صدقاتكم فإن الرياح والأمطار تضر بها وتفسدها بعد إدراكها ، ولكن يؤذن لهم بجدادها ، وهم أمناء على ما ائتمنهم الله عليه ، ومن اتهم بالخيانة استحلف بالله ما ستر من ثمرته حذار الصدقة ، وكذلك ينبغى أن يعجل عليهم فى جداد ثمرتهم شيئا من ثمرته حذار الصدقة ، وكذلك لا ينبغى أن يعجل عليهم فى جداد ثمرتهم قبل إدراكها ، ولا صدقة فى البسر الذى لم يدرك ، ولا فى الرطب حتى يصير تمرا .

واعلم أن الذين يجمعون الصدقة من أصحابك تكون نفقة من جملة الصدقة ما داموا فى جمعها ، فإذا فرغوا من جمعها كانت نفقتهم فى الثلثين دون الثلث ، فإذا اجتمع الصدقة من الورق دون الثمار ، فأخرج ثلث جميع ذلك ، ثم اجمع صالحى أهل البلد وأشهد على ذلك أنت بنفسك فى كل قرية حتى يقسموا صالحوا القرية ثلثها على فقرائهم ، ويفضل أهل الفضل فى دينهم ، وأهل الأمانة وأهل الفقه على غيرهم ، ولا تستبق من ذلك شيئا ، ولا تعط أحدا من أصحابك منها شيئا إلا من كان محتاجا إلى ذلك فتعطيه ما تعطى رجلا من أهل البلد ، ولا تمكن من قسم الثلث واحدا ولا اثنين إلا الجماعة من ثقات البلد ، ولا تغب أنت عن ذلك إن شاء الله .

وإذا خرج الساعى فلا يفرق بين مجتمع ولا يجمع بين مفترق ، حذرا الصدقة، والمجتمع ما اجتمع فى الرعى والحلب والمأوى ، فإن تفرق فى شيء من هذه الخصال فهى متفرقة ، وإن اجتمعت فى الحلب فهى مجتمعة ، فإذا وجدت الغنم يبلغ فيها

الصدقة فلتصدعها بنصفين ، فيبتدئ رب المال فيختار أحد النصفين ، ثم يختار أيضا رب المال من النصف الآخر شاة ، ويختار المصدق شاة ، ويختار رب المال شاة ، ثم يختار المصدق شاة ، ولا يزال على ذلك حتى يستوفى المصدق ، ولا يعد من السخال إلا ما قطع الوادى راعيا ، ولا يأخذ المصدق ، الفحل ولا الماخض ، ولا ذات النتاج ، وليس عليه أيضا أن يأخذ ذات عور ، ولا جربة ، ولا جذعة ، وعليه أن يأخذ من الضأن بقدر حصتها ، ومن المعز بقدر حصتها .

وأما الإبل والعوامل ، والبقر والزواجر ، فإنها لا تؤخذ منها الصدقة ، فما كان فى الشنق أخذ من صاحبها شاة وسطا ، ولايكلف صاحبها شططا ، ولايؤخذ من الدراهم حتي[1] نصف الشاة شاة وسطة ، يقبضها المصدق ثم إن أراد أن يبيعها منه عن تراض منهما على ما اتفقا عليه من الثمن بغير جبر ، ولا إكراه ، وكذلك الفريضة إذا وجبت فى الإبل فلا تباع من صاحبها حتى يحضر فيقف ثم يقبضها المصدق ، فإن اتفقا على المبايعة وإلا أخذ المصدق فريضته ، ولا يكلف صاحب المال أن يأتى بفريضة من غير إبله ، ولا يقال إن إبلك ليس فيها فريضة كريمة ، فأحضرنا فريضة كريمة ، فإن ذلك ليس عليه إنما عليه أن يعطى ذلك الشيء الذى وجب عليه من إبله ، وإن لم يوجد ذلك فى الشيء ووجد دونه ، أو فوقه أخذ المصدق ما فوق ذلك السن ، ويرد على صاحب الإبل بقدر الفضلة من الورق والغنم، ولا يأخذ دون ذلك السن ويسترد الفضل من صاحب الإبل ، ويأمر الساعى أن يقسم ثلث كل حى على فقرائهم ، ولا يسلم ذلك إلى أهل الأموال ، فإن لم يكن معه فقراء تجاوز إلى فقراء أقرب الأحياء إليهم ، وليس للسعاة أن يحسبوا شيئا من مؤنتهم على الثلث .

---

(١) سقط بالأصل .

واعلم أن أهل الذمة تؤخذ منهم الجزية عند انسلاخ الشهر ، ويؤخذ من الدهاقين والملوك من كل واحد أربعة دراهم كل شهر ، ويؤخذ من سائرتهم وأهل السعة من كل واحد منهم درهمان كل شهر ، وليس على الصبيان والشيخ الفانى . ولا على الفقــراء ، ولا على الــزمنــاء ، وعلى النســاء ، ولا على العبيــد ، ولا على الإماء شيء ، وينبغى أن يؤخذوا بربط أوساطهم بالكساتيج[1] ، وجنز نواصيهم ، وشرك نعالهم حتى لا يشبهوا بأهل الصلاة ، ويركبوا على الأكف . ولايركبوا على السروج ، ويزجروا عن شراء عبيد أهل الصلاة وإمائهم ، فمن فعل ذلك منهم عزم عليه حتى يبيعهم لأهل الصلاة ، وكل مال من مال أهل الصلاة اشتراه أهل الذمة ففيه العشر تاما ، وكذلك المواشى التى كانت لأهل الصلاة ثم صارت إليهم ففيها الصدقة ، وأظهر الشدة والتخويف لأهل الخلاف لقول المسلمين . ومن يرى رأى القدرية ، والمعتزلة ، والخوارج ، والمرجئة ، وأخمد أمرهم وأمت بدعتهم ، وأوعر عليهم فى اللفظ على ألسنتهم ، والكف عن القول بغير قول أهل هذه الدعوة ، فمن أظهر شيئا من ذلك فارفع إلى أمرهم حتى أنظره ، وآمرك فيهم برأى إن شاء الله .

واعلم أنى قد وضعت لك جملا فى كتابى هذا ، مما أرجو لك ولى فيه السلامة من العيب ، والإحياء للسنة ، والإماتة للبدعة ، واقتد بما كتبت لك ، ولا تجاوز شيئا من ذلك ، ولا تختر عليه غيره ، فإنك إن تركت شيئا مما كتب لك ، وعملت بخلافه لم آمن عليك العيب فى الدنيا والآخرة ، وكلما جاوزت أمرى فلزمك فى ذلك قصاص لأحد أو أرش أو غرامة فى مال فهو عليك فى نفسك ومالك دون مال المسلمين ، وإن عرض لك أمر مما لم أكتب به لك فى كتابى هذا فلا تقدم على إنفاذه

---

(١) واحدها كستيج بضم الكاف خيط غليظ يشده الذمى فوق ثيابه دون الزنار.

حتى تشاورني فيه إن شاء الله .

هذا كتابي لك ، ونصيحتي إياك ، وموعظتي لأهل ولايتك ، والله أسأله لك ولنا التوفيق ، وقبول النصائح والاقتداء بآثار الصالحين ، وأن يهجم بنا وبك على عدل الأمور وأصوبها وأرضاها لله ، واقرأ كتابي هذا على ولاتك إن شاء الله ، والحمد لله رب العالمين ، وصلاته على خير خلقه محمد ، وآله الطيبين وسلم ، ورحم وكرم ، ولا تخرج أصحابك إلى الماشية إلا بعد الفطر ، فإن كل شيء أخذوه قبل الفطر فهو حرام مردود ، وإن ارتبت فرد العهد إلى إن شاء الله تعالى ، والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما »[1] .

(١) انظر : نور الدين السالمي ، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان جـ١ ص ١٨٤ إلى ١٩٣ (مكتبة الاستقامة ، سلطنة عمان) .

ملحق رقم (٤)

رؤية معاصرة للإباضية

فى مؤتمر الفقه الإسلامى

المنعقد فى سلطنة عمان

فى شهر مارس ١٩٨٨م

رؤية معاصرة للإباضية فى مؤتمر الفقه الإسلامى المنعقد فى سلطنة عمان فى شهر مارس ١٩٨٨م

* * *

عقد مؤتمر للفقه الإسلامى بسلطنة عمان فى شهر مارس سنة ١٩٨٨م[١] ، وكان الفقه الإباضى أحد محاوره الأساسية، وكان فى مقدمة كبار الحضور كافة المسئولين عن الأزهر ، شيخه ووكيله ورئيس جامعته، ومفتى مصر وأمين مجمع البحوث الإسلامية، وبعض وزراء الأوقاف السابقين، وعدداً من أساتذة الشريعة والأصول، ومن السعودية شارك رئيس مجمع الفقه الإسلامى، ومن الأردن وزير الأوقاف[٢] ، والمفتى وعميد كلية الشريعة، والدكتور مصطفى الزرقا[٣] . ومفتى سوريا، وممثلوا كليات الشريعة فى الجامعات الخليجية، وعدد من فقهاء الإباضية فى تونس والجزائر وعمان، وعدد من أساتذة الجامعات العربية والإسلامية[٤] .

وقد تم تقديم خمسة أبحاث تتعلق بالمذهب الإباضي، من بين أربعة عشر بحثا عرضت على المؤتمر، إلا أن محاور البحث الأخرى كانت متصلة بالموضوع بصورة غير مباشرة.

(١) إن أحد الأسباب الرئيسية لعقد هذا المؤتمر هو : أن بعض الشباب السعودى توجه إلى فضيلة الشيخ / عبد العزيز بن باز (رئيس الإفتاء بالمملكة العربية السعودية) وسألوه، هل تجوز الصلاة خلف أتباع المذهب الإباضى / فرد فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز : إن الإباضية فرقة ضالة لاتجوز الصلاة وراء أتباعها !! انظر : جريدة الأهرام المصرية ، العدد الصادر بتاريخ ٢٦/٤/١٩٨٨م.

(٢) على يحيى معمر، مؤلف كتاب الإباضية فى موكب التاريخ .

(٣) يطلق عليه الفقهاء، شيخ فقهاء الشام المعاصرين .

(٤) راجع قائمة المشاركين فى «مؤتمر الفقه الإسلامى» سلطنة عمان مارس ١٩٨٨م .

وقد أشارت أبحاث المؤتمر إلى أن عدد الإباضية فى العالم الإسلامى يبلغ الآن مليونين من المسلمين، حافظوا على أنفسهم فى التجمعات البعيدة عن الأنظار فى المناطق النائية ، غائبة عن المعترك السياسى والفكرى الذى ارتبط بمقر الخلافة فى المشرق الإسلامى، مما ساهم فى التجهيل بها ، فضلاً عن الترويج لمختلف الاتهامات التى ألصقت بهم، وفى مقدمتها نسبتهم إلى الخوارج، وأضافتهم إلى من ضل من فرق المسلمين، رغم أن الحركة الإباضية كان لها حضورها فى التاريخ الإسلامى، هذاالحضور الذى لم يظهر بحجمه فى مختلف كتب التراث الإسلامى، وماظهر منه إما جاء مشوهاً أو نادر المعلومات وقليل الحقائق.

والمشكلة أن هذه الفرقة تعرضت إلى التباس كبير أحاط بمذهبهم وأهله طوال القرون التى انقشت من التاريخ الإسلامى، فهم خرجوا فعلاً على الإمام على ولكنهم يبرأون من الخوارج[١] ، والتقاؤهم مع الخوارج فى الموقف السياسى لم يؤثر على التقائهم مع أهل السنة فى الموقف الفكرى أو الفقهى، وهم دائماً جزء من الواقع الجغرافى الإسلامى، لكنهم أسقطوا من الحسبان عندما دون التاريخ الإسلامى.

وعلى الرغم من كثرة وفخامة مصنفاتهم الفقهية، فإنها لم تر النور إلا منذ سنوات قليلة، عندما أنشأت سلطنة عمان وزارة للتراث القومى، ونهضت بتلك المهمة .

والواقع أن فرقة الإباضية قد تعرضت لملاحقة الأمويين عملياً وأدبياً منذ وقفوا فى صف المعارضة لهم[٢] ، ولذا فإن موسوعات التاريخ الإسلامى لاتمر على عمان وأهلها من الإباضية إلا مروراً سريعاً وخاطفاً، وعلماء الإباضية لايشار إليهم فى كتب الطبـقات[٣] .

---

(١) انظر فهمى هويدى، جريدة الأهرام المصرية عدد يوم ١٩٨٨/٤/٢٦م.

(٢) انظر بحث د. الشكعة فى «موتمر الفقه الإسلامى»، سلطنة عمان مارس ١٩٨٨م.

(٣) أشهرها ابن سعد، كتاب الطبقات .

وحسناً فعل «مؤتمر الفقه الإسلامى» حين اختار أصول المذهب الإباضى كمؤشر هام لاختبار مدى صحة هذاالمذهب من الناحية الفقهية، وما يشمله من أصول تمس العقيدة، وغيرها من الأصول الإسلامية الهامة لسلامة العقيدة والعبادة.

وقد أشار الدكتور يحيى محمد بكوش[١] (الجزائر) ، إلى أن مجرد زعامة جابر بن زيد لهذا المذهب فيه سلامة له [٢] ، فجابر بن زيد هو أحد رموز عصر التابعين الذى لم يعرف التعصب أو التقاليد الجامدة، ولم تكن تلزمهم سوى القيود الشرعية المتفق عليها بين أهل الثقة والورع، وان هذا العصر حلقة الوصل بين عصر النبوة والصحابة، وعصر تكوين المذاهب الفقهية التى ظهرت فيما بعد .

وقد أكد الدكتور فرحات بن على الجعبيرى على دور المدرسة الإباضية فى الفقه والحضارة الإسلامية فى بحثه المقدم لمؤتمر الفقه الإسلامى، أن المدرسة الإباضية سلكت منذ يومها الأول المسلك المتفق عليه فى الفقه والاجتهاد، فاعتبرت مصادر الشريعة الإسلامية الأساسية ، متمثلة فى الكتاب والسنة والرأي.

وتساءل هذا الباحث فى استغراب لماذا لايعترف الكتاب المحدثون بأن المذهب الإباضى هو من صميم السنة الأصيلة ؟ ولماذا يخشون ذلك ؟ ويعلنون دائماً أنه أقرب المذاهب إلى أهل السنة، بعد أن ثبت أن المذهب الإباضى هو أسبق المذاهب اعتماداً على السنة اعتماداً كلياً فى تأصيل الشريعة .

وقد أكد أيضاً الدكتور إبراهيم عبد العزيز بدوى (جامعة الأزهر)[٣] ، أن المذهب الإباضى ليس مستحدثاً، وإنما نشأ متأصلاً على القواعد الصحيحة، مدعماً بالأصول الواضحة الثابتة، فبالنظر والتتبع لايوجد فى فقهه ما يخالف الكتاب والسنة النبوية،

---

(١) يحيى محمد بكوش، البحث المقدم حول «مدرسة جابر بن زيد وأثرها فى الفقه الإسلامى».

(٢) يقصد : الفقه الإباضى .

(٣) انظر البحث المقدم من إبراهيم بدوى «مؤتمر الفقه الإسلامى » سلطنة عمان ١٩٨٨م. «دور المدرسة الإباضية فى الفقه والحضارة الإسلامية.

ولعموم الأصول التى اتفق عليها المسلمون جميعاً .

والمهم كماأكد الأستاذ فهمى هويدى[١] ، أن كل مناقشات «مؤتمر الفقه الإسلامى» الذى عقد فى رحاب جامعة قابوس بمسقط، اتفقت على صحة المحاور الأساسية للفقه الإباضى، ولم يجادل فيها أحد، ولم يختلف عليها أحد .

وهذا ما يعنى «براءة الإباضية» من كل ما ألـصق بهم من تهم وأباطيل، وأنهم فرقة أصيلة من فرق الإسلام آن الأوان كى يعرف أبناء الإسلام دورها ورجالهاوحقائقها، وهو يعنى أيضاً أن المسلمين كـسبوا جولة هامة من جولات معركة وحدة الصف الإسـلامى .

ومع ذلك فإنه لايستطيع الباحث أن يقطع الصلة بين مؤسس المذهب الإباضى وعلاقته بحركة الخوار حتى وإن كانت علاقة سلبية اتخذت فيها مواقف مع الرأى العام والأغلب لعناصر الرفض.

إلا أن المذهب الإباضى بانتمائه التاريخى يشكل مذهباً جذره التاريخى منطلق من تيار الخوارج، حتى وإن اختلف المذهب فيما بعد وأصبح يشكل معطيات جديدة لاتضعه أبداً بين أجنحة الغلو فى الفكر الخارجى[٢] .

ويستخلص من ذلك كله أنه لاالتقاء بين الإباضية مع الخوارج إلا فى نقطتين اثنتين هما:

أ - رأيهما فى التحكيم بإعتباره خطأ وخدعة كبرى.

ب- أنهم لايعترفون بالقرشية أساساً أو مؤهلاً وحيداً للإمامة، وسواء كان ذلك خطأ أم صواب - وهى قضية ليست محل مناقشة، فإن الأمة ، كل الأمة، سواء عن رضى واقتناع أو عن واقع تعيشه، فقد أصبح رأى الأمة الإسلامية اليوم هو : رأى

---

(١) جريدة الأهرام المصرية، عدد يوم ١٩٨٨/٤/٢٦م.

(٢) صابر طعيمة، الإباضية «عقيدة ومذهباً» (دار الجمل، بيروت ١٩٨٦م) .

الإباضية والخوارج لما فيه الكثير من الوجاهة والقبول.

وفيما عدا هاتان النقطتان فإن الإباضية تنفصل عن الخوارج إنفصالاً كاملاً لا لقاء معه، ويقفون أمامهم أعنف المواقف .

وتتجه الرؤيا المعاصرة لأصول الإباضية - على نحو ما جاء فى مؤتمر الفقه الإسلامى فى سلطنة عمان - أن الإباضية ساروا وفق المنهج الإسلامي ولم يخرجوا عن ملة الإسلام، ولم يفعلوا ما يغضب الله والمسلمين منهم، وإنما كان لهم رأيهم حينما قبل على بن أبى طالب التحكيم، وترك أمر الخلافة لحكمين.

لذا فهم يرون أن من حقهم - كما هو حق لكل المسلمين - أن يبدوا رأيهم حسب ما تقتضية الشريعة الإسلامية وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم : ﴿ وأمرهم شورى بينهم﴾ ، ﴿ وشاورهم فى الأمر﴾ ، أى أن الأمر شورى، كما أن أسس اختيار الخليفة وطرق الاعتراض عليه لم تتبع هنا .

لذلك انشقت جماعة على الخليفة على بن أبى طالب عندما أصر على تنفيذ اجراءات التحكيم، ونادت بإنتخاب خليفة للمسلمين عبر طريق الشورى دون إعتبار للنسب القبلى، من هذه الجماعة، جماعة الإباضية(١) .

أى أن الإباضية لم يفعلوا ما يعطى الحق باتهامهم بالخروج عن ملة الإسلام، وعلى الرغم من ذلك فإن كثيراً من كتاب الفرق والعقائد والنحل والكثير من الكتاب القدماء والمحدثين، يعتبرون الإباضية احدى فرق الخوارج، وهذا واضح فى كتابات الأشعرى(٢) ، والملطى الشافعى(٣) .

---

(١) على يحيى معمر، الإباضية فى موكب التاريخ ص ٣٣، ٣٥ (مكتبة وهبة، القاهرة ١٩٦٤).

(٢) الأشعرى: أبو الحسن على بن إسماعيل (ت٣٣٥هـ) ، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ج٢١: تحقيق محيى الدين عبد الحميد (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م) .

(٣) الملطى الشافعى : المعروف بالطرائفى (أبو الحسن محمد أحمد بن عبد الرحمن) (ت٢٧٧هـ)، التنبية والرد على أهل الأهواء والبدع (الطبعة الثانية، القاهرة ١٣٦٨هـ) .

والبغدادى[١] والخطيب الرازى[٢] ، وابــن حزم الأندلسى[٣] والشهرستانى[٤] والشاطبى الغرناطى[٥] .

فضلاً عن الكثير جداً من الكتاب المعاصرين المستشرقين منهم وغير المستشرقين[٦] .

وأدخل بعضهم عن جهل أو تعصب الإباضية ضمن فرق الغلاة الذين غلو بدينهم، وخرجوا عن أصول الإسلام، ولايوجد أدنى شك فى أن أعداء الإسلام فى مختلف الأزمنة، قد دسوا نصوصاً ليحطموا روح دولة الإسلام ويدمروا كيان المسلمين[٧] .

ومعروف أن الإباضية أخذوا بالقرآن الكريم كمصدر رئيسى للدين، ومصدرهم الثانى هو السنة الصحيحة، وبعدها الإجماع إذا استوفى الشروط المعروفة عند الأصوليين، والمصدر الرابع هو القياس، وأخيراً المصدر الخامس وهو الاستدلال.

---

(١) البغدادى: عبد القاهر بن طاهربن محمد البغدادى، الإسفرائينى، التميمي المتوفى ٤٢٩هـ، الفرق بين الفرق، (الطبعة الأولى، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٧٣م) .

(٢) الرازى: الإمام فخر الدين محمد بن عمر الخطيب (ت٦٠٦هـ)، اعتقادات فـ ق المسلمين والمشركين، (مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م).

(٣) ابن حزم الأندلسى: الإمام أبو محمد على الظاهرى (ت٤٥٦هـ)، الفصل فى الملل والأهواء والنحل (مؤسسة الخانجى، مصر)

(٤) الشهرستانى: محمد بن عبد الكريم، (ت٥٤٨هـ)، الملل والنحل، اخرجه محمد بن فتح الله بدران، مطبعة الأزهر .

(٥) الشاطبى الغرناطى: أبو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمى، الاعتصام (المكتبة التجارية الكبرى القاهرة ١٣٣٢هـ) .

(٦) أمثلة لذلك: فلهوزن (يوليوس) الخوارج والشيعة ترجمة عبد الرحمن بدوى (القاهرة ١٩٥٨م)، على مصطفى الغرابي، تاريخ الفرق الإسلامية (الطبعة الأولى القاهرة ١٩٤٨م) .

(٧) سيده إسماعيل كاشف، عمان فى فجر الإسلام ص ٥٠.

كما أنهم كانوا معتدلين بآرائهم ولم يغالوا بفكرهم،ولم يستحلوا دماء وأموال العصاة من المسلمين، وأن كبائرهم كالزنا والخمر، لاتخرجهم من ملة الإسلام، فهم موحدون، أي يشهدون أن لاإله إلا الله، وأن محمداً رسول الله[١] .

لذلك فإن من يخلط بين الإباضية والخوارج ، ويعتبر الإباضية من فرق الخوارج عليه أن يعيد النظر في ذلك، ويتعمق بدراسة الفقه الاباضي، ويعادل كفه مصادره ومراجعه بالرجوع إلى المصادر والمراجع الإباضية .

ولكن هذا الخلط مقصوداً كان أو غير مقصود، فإن هناك عدة أسباب ربما كان لها أثراً كبيراً في هذا الخلط منها : تزامن ميلاد الاتجاهين، ومنها استخدام الإباضية أنفسهم لوصف «الخوارج» في حديثهم عن باقي الفرق الإسلامية المتهمة بالغلو والتطرف أو الخروج على الإسلام .

ومنها أيضاً اشتراك الإباضية مع الخوارج في إطلاق اسم «الشراة» على أنفسهم أحياناً، فيذكر مؤرخو الإباضية أحياناً أن الإمام الإباضي «بويع على الشراء»[٢] أو كان «إماماً شارياً»[٣] ، أو بويع على قطع الشرى[٤] ، كما يقول الخوارج «شرينا أنفسنا لدين الله فنحن لذلك شراة»[٥] .

كذلك من أسباب الخلط بين الإباضية والخوارج هو اتفاقهم في بعض آرائهم حول إمام المسلمين أو «خلافة المسلمين».

وبالرغم من وجود هذه المؤشرات للخلط بين الإباضية والخوارج، إلا أنه توجد هناك

---

(١) أبو يعقوب الوارجلاني، الدليل لأهل العقول (طبعة القاهرة ١٣٠٦هـ) .

(٢) السالمي (الشيخ محمد عبد الله بن حميد السالمي) : تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان. الجزء الأول ص ١٤ (الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٣٢هـ) .

(٣)المصدر السابق ج١ ص ٢١٤.

(٤) المصدر السابق ج١ ص ٢١٤.

(٥) المقريزي: المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ج٢ ص ٣٥٥، ٣٥٦ (طبعة بولاق، القاهرة ١٢٧٠هـ) .

أفعال إباضية لاتدع مجالاً للخلط، منها ماتورده المصادر الإباضية، ومنها ما ورد فى المصادر غير الإباضية .

فى موقف تنقله المصادر الإباضية: ان عبد الله بن إباض لما عزم على الخروج بعد لقاء ابن الزبير - بالقطع - مع نافع بن الأزرق وسمع دوى القراء ورنين المؤذنين وحنين المسبحين عندئذ قال لأصحابه: أعن هؤلاء أخرج؟ وكتم أمره، واختفى ولم يخرج معهم»[١] .

وفى موقف آخر تنقله المصادر غير الإباضية : حين اصطلح أهل البصرة على عبدالله بن الحارث، فتجرد الناس للخوارج وأخافوهم، فلحق نافع بالاهواز فى شوال سنة أربع وستين،و خرج من بقى منهم بالبصرة إلى ابن الأزرق إلا من لم يُرد الخروج يومه ذلك، منهم عبد الله بن الصفار، وعبد الله بن إباض، ورجال معهما على رأيهما، ونظر نافع فيما يرويه عنه ابن الأثير[٢] ، فرأى أن ولاية من تخلف عنه لانجاة له، فقال لأصحابه ذلك ودعاهم إى البراءة منهم، وأنهم لايحل لهم مناكحتهم ولا أكل ذبائحهم ولايجوز قبول شهاداتهم وأخذ العلم عنهم ولايحل ميراثهم، ورأى قتل الأطفال والاستعراض وأن جميع المسلمين كفار مثل كفار العرب لايقبل منهم إلا الإسلام أو القتل، فأجابه إلى ذلك بعضهم وفارقه بعضهم.

وممن فارقه «نجدة بن عامر» وسار إلى اليمامة ، فأطاعة الخوارج الذين بها وتركوا أبا طالوت، فكتب نافع إلى عبد الله بن إباض وإبن الصفار يدعوهما ومن معهما إلى ذلك، فقرأ ابن صفار الكتاب ولم يقرأه على أصحابه خشية أن يتفرقوا أو يختلفوا ، فأخذه ابن إباض فقرأه فقال: «قاتله الله أى رأى رأى ؟ لو كان القوم مشركين كان أصوب الناس رأياً، وكانت سيرته كسيرة النبى صلى الله عليه وسلم فى المشركين، ولكنه كذب

---

(١) سالم بن حمد الحارثى، العقود الفضية فى أصول الإباضية ص١٢٢ (طبعة دار اليقظة العربية فى سوريا ولبنان) .

(٢) إبن الأثير، الكامل فى التاريخ ج٤ ص ١٦٧ (طبعة دار صادر - بيروت ١٩٧٩م) .

فيما يقول: إن القوم براء من الشرك ولكنهم كفار بالنعم والأحكام ولايحل لنا إلا دماؤهم، وما سوى ذلك فهو حرام علينا، فقال له ابن الصفار: بريء الله منك فقد قصرت، وبرئ الله من ابن الأزرق فقد غلا، فقال إبن إباض، بريء الله منك ومنه[١] .

أي أن الإباضية يتبرأون من الفرق التي غالت في الدين،ويؤكدون في هذا أنه لاتجمعهم بالخوارج جامعة، ولايمتون إليهم بصلة.

ويتعجب مؤرخو الإباضية من لصق صفة «الخوارج» بأتباع المذهب الإباضي، فهم لم يشاركوا في سفك قطرة دم واحدة من دماء المسلمين التي حرم اله قتلها إلا بالحق، ولم يكن للإباضية في المغالاة ناقة ولا جمل، ولم يكن بفكرهم ما يؤدي إلى الإلحاد والزيـغ[٢] .

ويطل الإباضية عبد الله بن إباض هو أول من فارق المارقين[٣] : من الرافضة، والزيدية، والأشعرية، والخوارج المارقين من المعتزلة.

أما المحدثون من الباحثين والمؤرخين فقد سار معظمهم حسب ماأورده قدامى الكتاب، وأنهم - وقد تعدد المصادر والمراجع أمامهم، وعرفوا كثيراً عن حقائق الإباضية وآرائهم - حاولوا أن يصححوا مفاهيماً وردت في كتب المقالات القديمة تجاه الإباضية، ولكن ليس جميعهم ملك الشجاعة وأعلن حكمه النهائي في الإباضية من حيث براءتهم من الخروج على الدين أو المروق والتمرد على الخلفاء الأتقياء، وكذلك حول براءة الإباضية من تهمة «الخوارج».

ورغم ذلك لايمكن إنكار أن الإباضية قد خرجوا مع كافة من خرج، لكنهم استطاعوا

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج٤ ص١٦٧، ١٦٨ و الطبري، ج٥ ص ٥٦٦، ٥٦٨.
(٢) محمد يوسف إطفيش، إزالة الاعتراض عن محقي آل إباض ص٥٣.
(٣) حميد بن حمد بن رزيق، الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان ص١١ (وزارة التراث القومي، سلطنة عمان) .

أن يتميزوا عن الخوارج منذ نشأتهم، ففكر الإباضية شيء وفكر الخوارج شيء آخر، وما يراد الخوارج من مغالاة وتطرف يقابله الإباضية بالاعتدال وعدم التطرف.

أى أن تراث الإباضية فى مفهومه وفلسفته يختلف عن تراث الخوارج بقيادة الأزارقة والنجدات .

وقد أوضح الدكتور عوض خليفات[1] فى نفيه صفة الخوارج عن الإباضية ما يلى:

١- أن الإباضيين ليسوا خوارج كما تزعم بعض كتب المقالات والملل والنحل، وكما يعد بعض الكُتاب المحدثين الذين قلدوا هذه المؤلفات دون تدقيق وتمحيص، والواقع أن الإباضية لا يجمعهم بالخوارج سوى انكار التحكيم.

٢- أن الإباضية حرموا قتل الموحدين وإستحلال دمائهم وحرموا استعراض الناس وامتحانهم كما فعل متطرفو الخوارج مثل الأزارقة والنجدية.

٣- أن الإباضيين ينظرون إلى الدين نظرة واحدة متكاملة لافصل فيها بين المظاهر الروحية والمادية ولا طغيان لأحدهما على الأخرى، وتبعاً لذلك فقد أنكروا التصوف ورفضوه.

٤- إن المدقق فى المصادر الفقهية الإباضية يجد أن أصحاب المذهب الإباضى من أكثر المسلمين إتباعاً للسنة الشريفة والاقتداء بها. أما ما تلصقه بهم بعض المصادر من تهم فإنما هو ناتج عن أحد أمرين: الجهل أو التعصب.

٥- أنهم وحدهم الذين طبقوا مبدأ الشورى فى الحكم بعد الخليفتين أبى بكر وعمر.

---

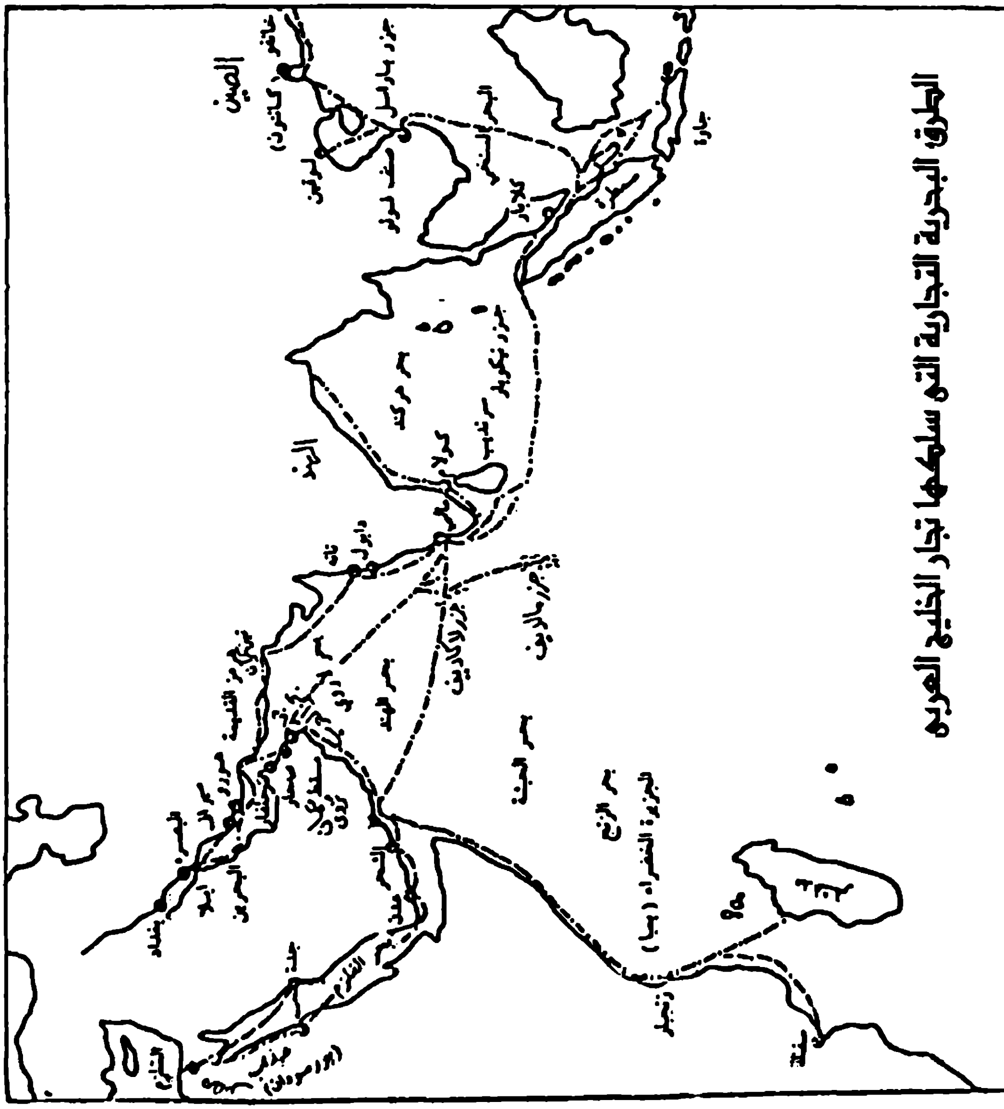
(١) عوض خليفات، الأصول التاريخية للفرقة الإباضية ص ٥٣، ٥٤.

ويتضح من ذلك كله أن الإباضية خرجوا مع من خرج على التحكيم ولكنهم ابتعدوا عن التطرف الذى سار فكر الخوارج ونشاطهم، ومن ثم كانت الرؤيا المعاصرة نحوهم تميل إلى انصافهم مع عدم تغيير حقيقة وضعهم التاريخى، واعتبارهم نموذجاً للفكر الإسلامى للتحرر من التطرف ومواكبة متطلبات المجتمع الإسلامى وهو الأمر الذى اتسم به الإباضية فعلاً وعملاً حتى الوقت الحاضر.

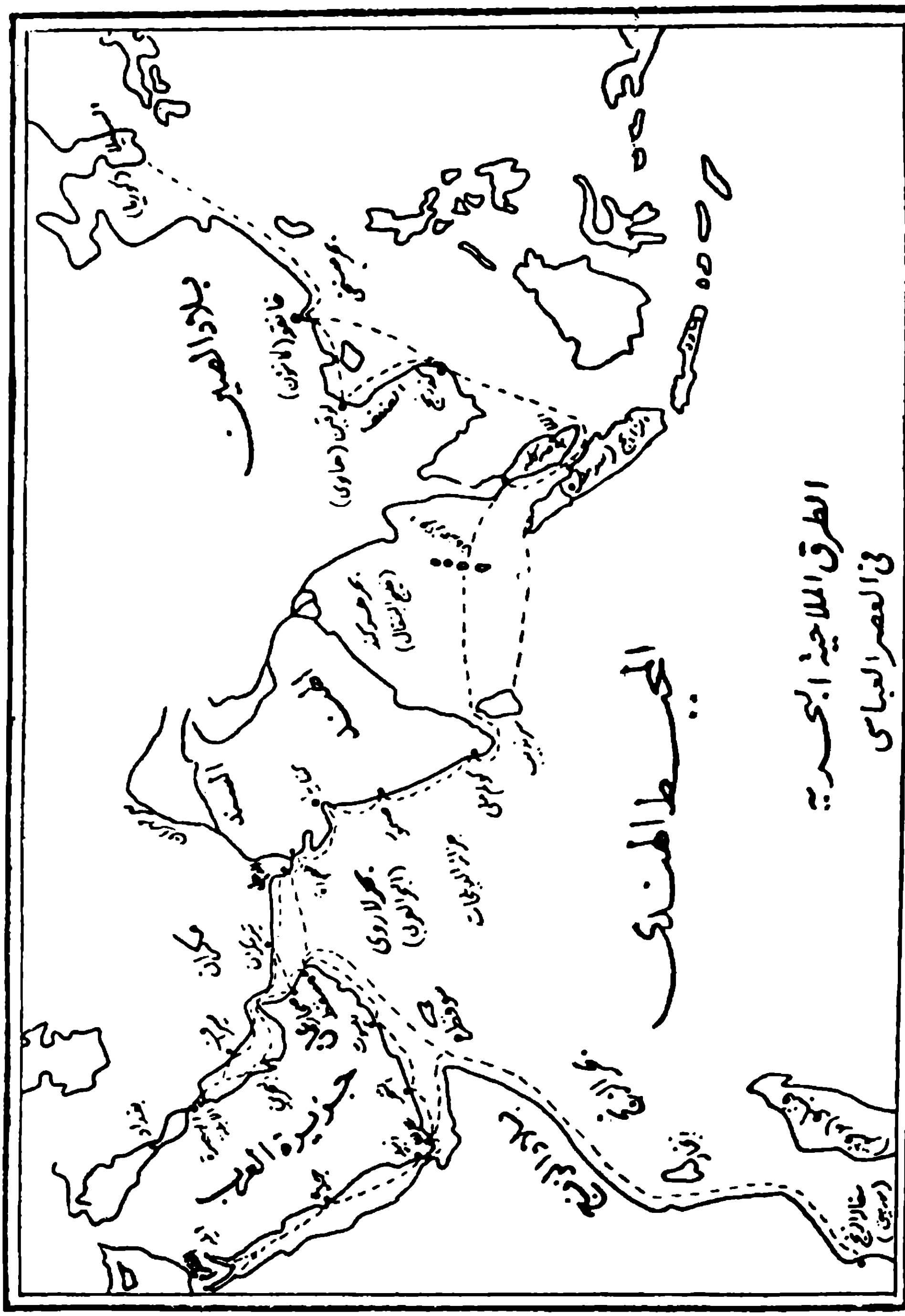
* * *

ملحق رقم (٥)

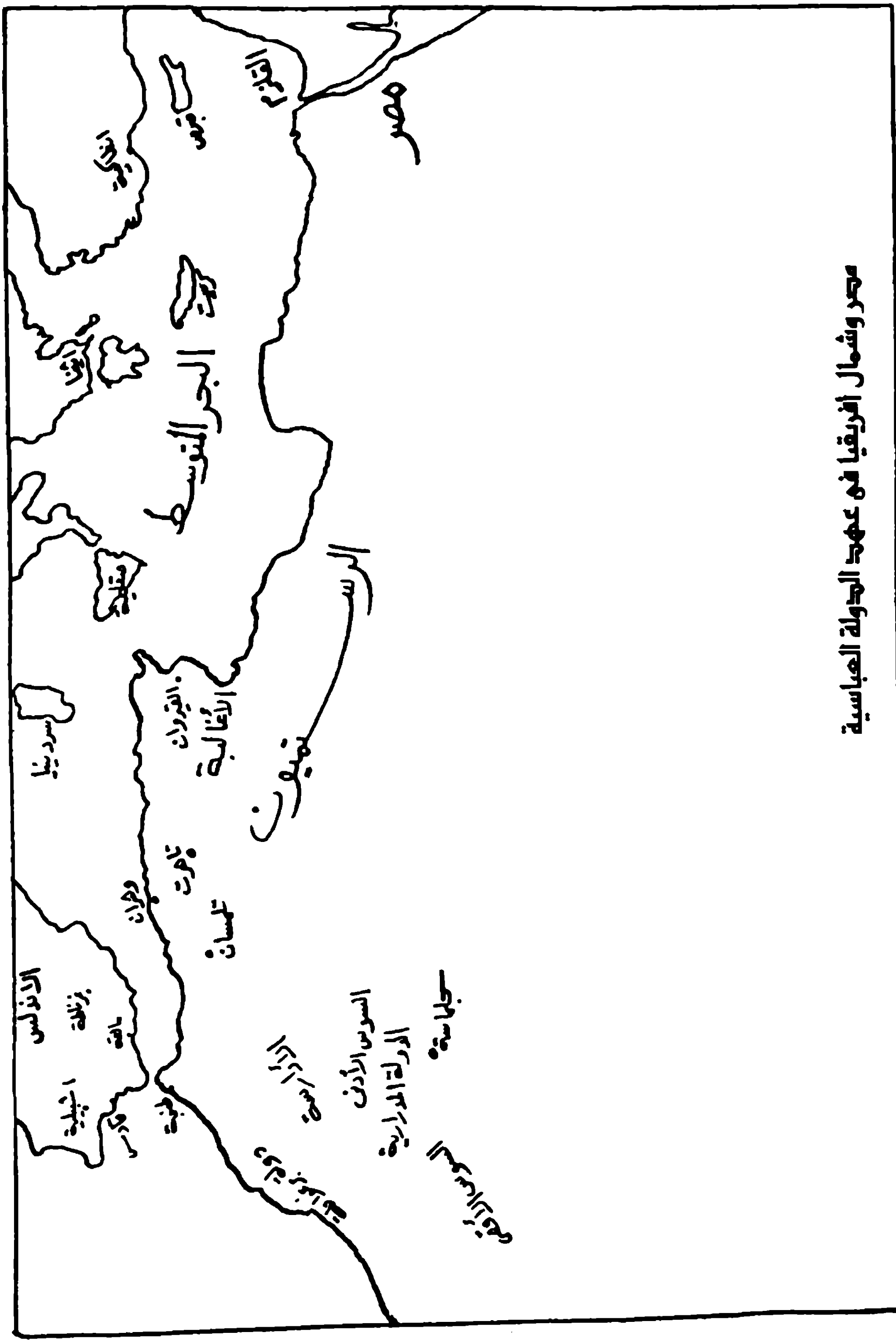
الخرائط

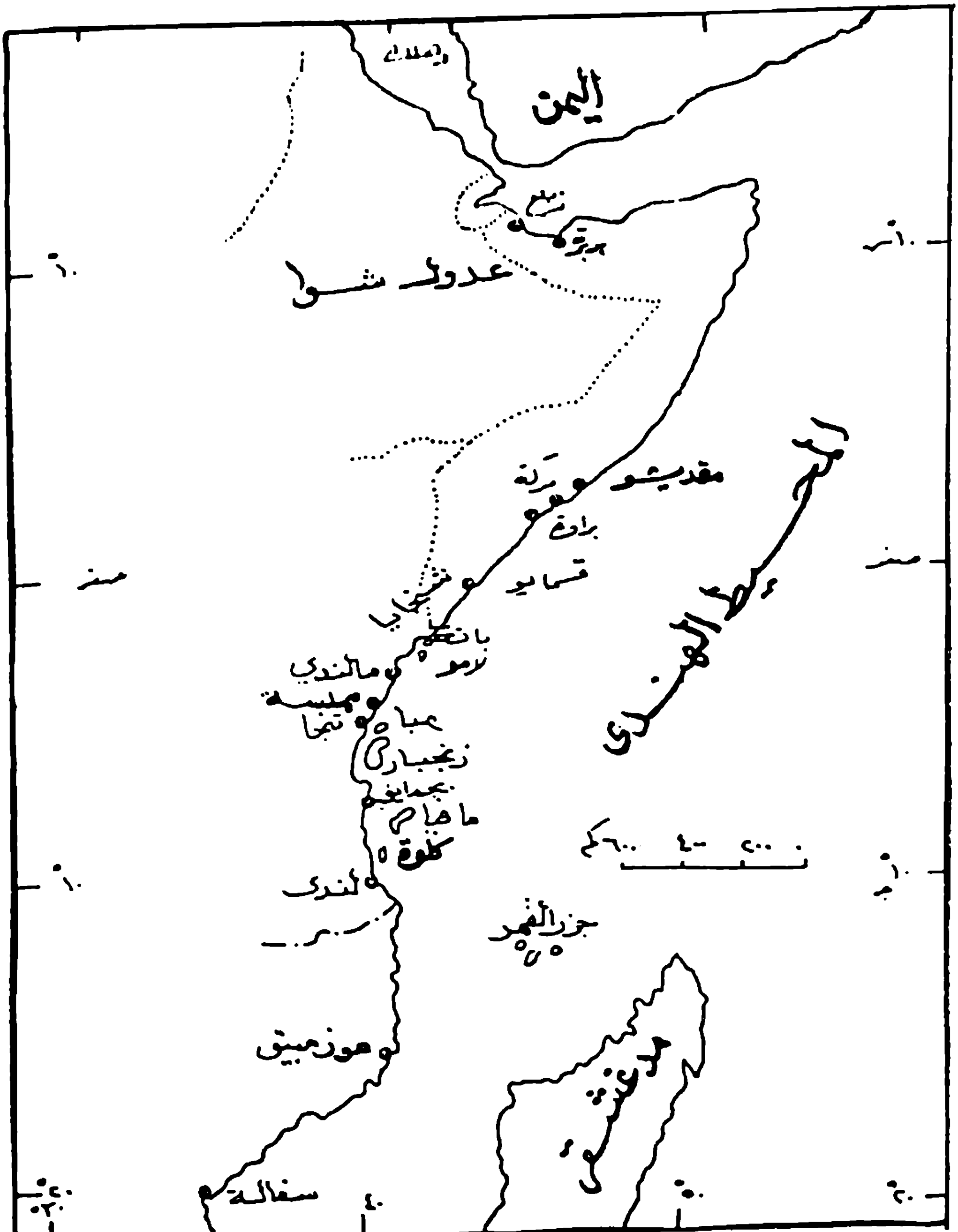


الطرق البحرية التجارية التي سلكها تجار الخليج العربي

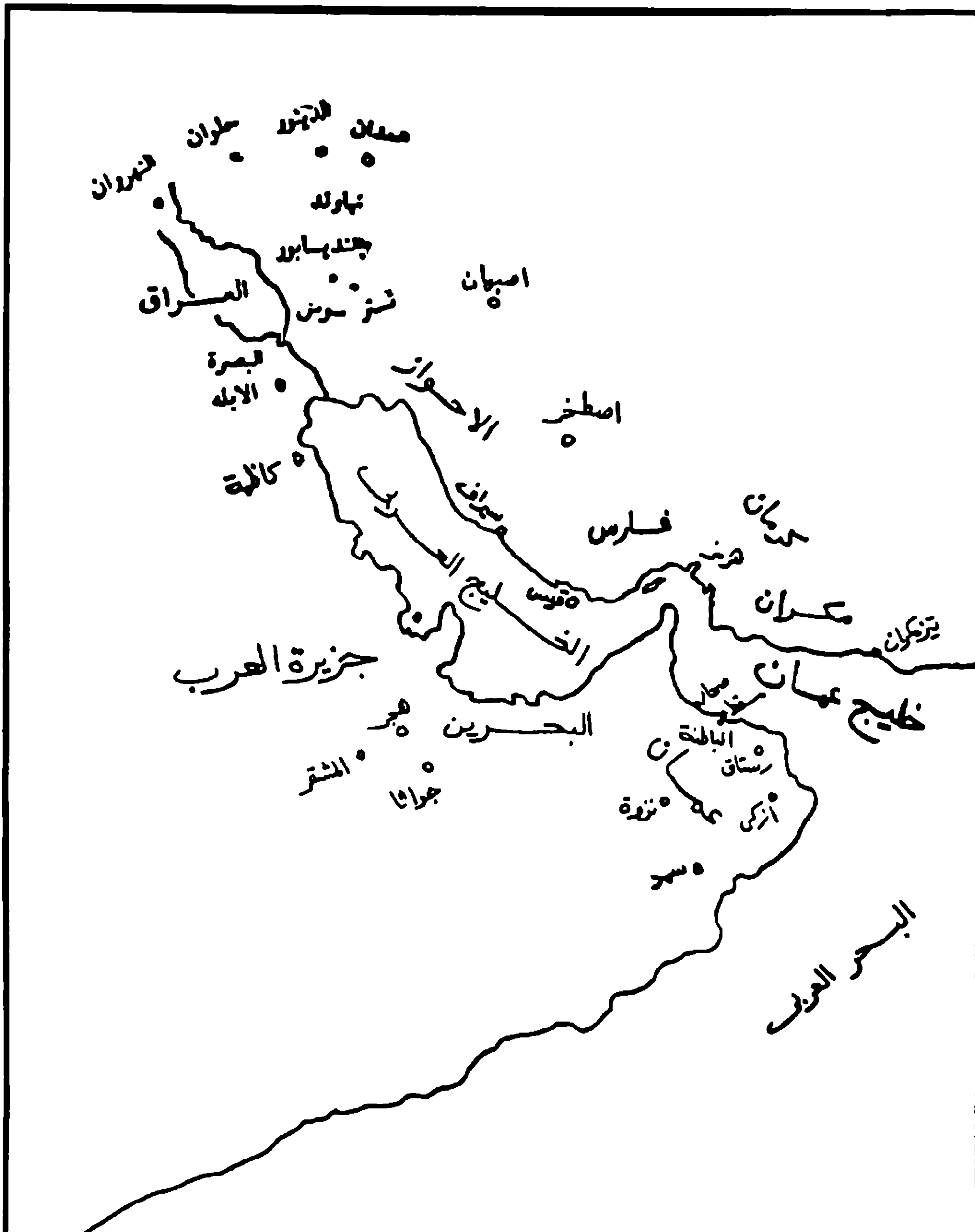


نقلاً عن الدكتور سليمان العسكري، التجارة والملاحة في الخليج العربي


مصر وشمال افريقيا في عهد الدولة العباسية
مصر
البحر المتوسط
قبرص
كريت
صقلية
سردينيا
القيروان
الأغالبة
طرابلس
وهران
تاهرت
تلمسان
سجلماسة
الأندلس
بلنسية
قرطبة
طنجة
إشبيلية



الساحل الشرقي لأفريقيا



أقاليم الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين

بسم الله الرحمن الرحيم

المصادر والمراجع

* * *

المصادر والمراجع

هذه المصادر والمراجع رتبت ترتيباً أبجدياً حسب اسم المؤلف ، مع عدم وضع (ال، ابن، أبو) في الاعتبار .

أولاً : القرآن الكريم :

ثانياً : المصادر العربية القديمة :

ابن الأثير (ت٦٣٠هـ/١٢٣٨م) : على بن أحمد بن أبى الكرم.

١- الكامل فى التاريخ، ١٢ مجلد (بيروت ، ١٩٨٢م).

الإدريسى (ت٥٥٧هـ/١١٦٢م) : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحسنى

٢- نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، نسخة مصورة بجامعة القاهرة، بدون تاريخ.

الأزكوى (عاش فى القرن ١٢هـ/١٨م) : سرحان بن سعيد

٣- كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، مخطوط بمكتبة معالى السيد / محمد بن أحمد بن سعود البوسعيدى برقم ٥٧١، وكذلك تحقيق عبد المجيد حسيب القيسى (الطبعة الثانية، سلطنة عمان ١٩٨٦م) .

أبو إسحاق الحربى (١٩٨-٢٨٥هـ/٨١٣-٨٩٨م) : إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير بن عبد الله بن ديسم.

٤- مناسك الحج، حققه د. حمد الجاسر تحت عنوان «كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة»، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

الاصطخرى (ت قبل عام ٣٥٠هـ/ ٩٦١م) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد المعروف بالكرخى

٥- مسالك الممالك، ليدن سنة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

أبو الفرج الأصفهانى (ت٣٥٦هـ/٩٧٦م) : على بن الحسين

٦- الأغانى، ٢٤ مجلد، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، دار إحياء التراث العربى سنة ١٩٦٣م.

أبو بركة (عاش فى القرن ٤ هـ/١٠م) : أبو محمد عبد الله بن محمد بن بركة البهلوى العمانى.

٧- كتاب الجامع، جزءان، حققه وعلق عليه عيسى بن يحيى البارونى، مسقط الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

بزرك (عاش فى القرن ٣، ٤هـ/ ٩/ ١٠م) : بزرك بن شهريار الناخداه الرامهرمزى

٨- عجائب الهند، جمع مادته بين عامى ٢٨٨، ٢٩٣هـ، ليدن سنة ١٨٨٣ - ١٨٨٦م.

ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م) : أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتى الطنجى

٩- رحلته المسماة تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، جزءان، تحقيق د. على المنتصر الكتانى، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) .

أبو بكر الكندى (ت٥٥٧هـ/١١٦٢م) : أبو بكر أحمد بن عبد الله موسى الكندى

١٠- المصنف ، ٤٢ جزء، تحقيق عبد المنعم عامر، مسقط ١٩٨١م. الأهتداء، تحقيق د. سيده كاشف.

البكرى (٤٨٧هـ/١٠٩٤م) : أبو عبد الله بن عبد العزيز.

١١-المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ليدن، الطبعة الثانية، ١٩١١م.

١٢- جزيرة العرب، جزء من كتاب «المسالك والممالك» تحقيق ودراسة د. عبد الله يوسف الغنيم، ذات السلاسل، الكويت، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

البلاذري (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م) : أبو الحسن بن يحيى بن جابر البغدادي.

١٣- فتوح البلدان، تحقيق (د. رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

الجاحظ (١٥٠-٢٥٥هـ/ ٧٦٧-٨٦٩م) : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

١٤- البيان والتبيين، أربعة أجزاء في ملجدين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الخامسة، سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

الجيطالي (عاش في القرن ٨٠٧هـ/١٣، ١٤ م) : أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي النفوسي.

١٥- قناطر الخيرات، ثلاثة أجزاء، مسقط، سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

ابن حزم الأندلسي (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م) : أبو محمد علي الظاهري

١٦- الملل والأهواء والنحل (مؤسسة الخانجي، جمهورية مصر العربية).

الحميري (ق٩هـ/١٥م) : محمد بن عبد المنعم الصنهاجي.

١٧- الروض المعطار في خبر الأقطار، جمعة عام ٩٦٦هـ/١٤٦٣م، تحقيق د. إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٤م.

ابن حوقل (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م) : أبو القاسم محمد بن علي النصيبي

١٨- صورة الأرض، أو المسالك والممالك (مكتبة الحياة بيروت، ١٩٧٩م).

ابن خرداذبة (ت حوالى عام ٣٠٠هـ/٩١٢م) أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله

١٩- المسالك والممالك، ومعه نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة لأبى الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادى (المتوفى ٣٢٠هـ/٩٣٢) ، مكتبة المثنى، بغداد بدون تاريخ .

ابن خلدون (٨٠٨هـ/ ١٤٠٥-١٤٠٦م) : عبد الرحمنبن محمد

٢٠- مقدمة ابن خلدون (طبعة القاهرة ١٣١١و طبعة بيروت)

٢١- العبر وديوان المبتدأ والخبر، المعروف بتاريخ ابن خلدون ٧ أجزاء (القاهرة ١٢٨٤هـ) وطبعة (دار الكتاب اللبنانى، بيروت) .

ابن خلكان (٦٠٨-٦٨١هـ/ ١٢١١-١٢٨٣م) : أبوالعباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر

٢٢- وفيات الأعيان وأنباء الزمان، ٧ مجلدات، تحقيق د. إحسان عباس، (دار صادر ، بيروت، بدون تاريخ) .

الدرجينى (ت٦٧٠هـ/١٢٧١م) : أبو العباس أحمد بن سعيد.

٢٣- كتاب طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاى، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، سنة ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

ابن أبى دينار (ت١١١٠هـ/١٦٩٨م) : محمد بن أبى القاسم بن عمر القيروانى

٢٤- المؤنس فى أخبار أفريقية وتونس (تونس، ١٢٨٦هـ) .

ابن رسته (عاش فى القرن ٣هـ/ ٩م) : أبوعلى أحمد بن عمر.

٢٥- الأعلام النفيسة، ألفه عام ٢٩٠هـ/٩٠٣م، المجلد السابع (ليدن ، ١٨٩١م) .

أبو زكريا (ت ٤٧١هـ): أبو زكريا يحيى بن أبى بكر.

٢٦- كتاب سير الأئمة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبى زكريا، تحقيق إسماعيل العربى، دار الغرب الإسلامى، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

ابن سعد (٢٣٠هـ/٨٤٥م) : أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهرى

٢٧- الطبقات الكبرى، ٨ أجزاء دار التحرير، القاهرة، سنة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

أبو سعيد الكدمى (عاش فى القرن ٤ هـ/ ١٠م) : الشيخ أبو سعيد محمد بن سعيد محمد بن سعيد الكدمى

٢٨- الجامع المفيد من أحكام أبى سعيد، ٥ أجزاء، مسقط ١٩٨٦م.

٢٩- الاستقامة، تحقيق محمد أبو الحسن، مسقط ١٩٨٥م.

ابن سعيد المغربى (٦١٠-٦٧٣هـ/١٢١٤-١٢٧٥م) : أبو الحسن على بن موسى

٣٠- كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربى، المكتبة التجارية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت الطبعة الأولي ١٩٧٠م.

ابن سلام الإباضى (عاش فى النصف الثانى من القرن ٣ هـ/ ٩ م).

٣١- الإسلام وتاريخه من وجهة نظر إباضية، تحقيق ر. ف. شفارتز، وسالم ابن يعقوب، دار اقرأ للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت الطبعة الأولى سنة ١٩٨٥م.

الشماخى (ت٩٢٨هـ/١٥٢٢م) : أحمد بن سعيد بن عبد الواحد.

٣٢- كتاب السير، جزءان، تحقيق أحمد بن سعود السيابى، مسقط ١٩٨٧م.

الشهرستانى، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م).

٣٣- الملل والنحل، القسم الأول (طبعة بيروت) .

ابن الصغير (عاش فى القرن ٣هـ/٩ م):

٣٤- أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق د. محمد ناصر، إبراهيم بحار، دار الغرب الإسلامى، بيروت سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

الطبرى (٢٢٤-٣١٠هـ/ ٨٣٨-٩٢٣م) : أبو جعفر محمد بن جرير

٣٥- تاريخ الطبرى (تاريخ الأمم والملوك) ، ١٠ أجزاء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، بدون تاريخ .

أبو عبد الله الكندى (٥٠٨هـ/ ١١١٤م) : محمد بن إبراهيم بن سليمان الكندى.

٣٦- بيان الشرع، ٧٢ مجلد، مسقط ١٩٨٤ - ١٩٨٨م.

ابن عبد الحكم (ت٢٥٧هـ/ ٨٧١م) : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين القرشى المصرى.

٣٧- فتوح مصر وأخبارها ، ليدن، ١٩٢٠م.

ابن عبد ربه (ت٣٤٩هـ/ ٩٦٠م) شهاب الدين أحمد

٣٨- العقد الفريد ، ٣ أجزاء. القاهرة ١٣٤٦هـ.

ابن عذارى المراكشى (عاش فى القرن ٧ هـ/١٣م):

٣٩- البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج. س. كولان، أ. ليفى بروفنسال، دار الثقافة بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨٣م.

العوتبى الصحارى (عاش فى القرن ٥ هـ/ ١١م) : سلمة بن مسلم

٤٠- الأنساب، جزءان ، مسقط، ١٩٨٤م.

أبو الفدا (٧٣٢هـ/١٣٣١م) : إسماعيل بن على عماد الدين صاحب حماه

٤١- تقويم البلدان، (طبعة القاهرة)

القزوينى (٦٢٨هـ/ ١٢٨٣م) : أبو عبد الله زكريا الأنصارى

٤٢- أثار البلاد وأخبار العباد، جوتنجن ١٨٤٨م.

القلقشندى (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) أبو العباس أحمد بن على

٤٣- صبح الأعشى فى صناعة الانشا، سلطنة عمان بدون تاريخ

الكندى (٢٨٣ - ٣٥٠هـ/٨٩٦-٩٦١م) محمد بن يوسف

٤٤- ولاة مصر، تقحيق د. حسين نصار، دار صادر ، بيروت، بدون تاريخ.

المبرد (ت٢٨٥هـ/٨٩٨م) : أبو العباس محمد بن يزيد.

٤٥- الكامل فى اللغة والآدب، جزءان فى مجلد ، مكتبة العارف، بيروت، بدون تاريخ .

مجهول :

٤٦- تاريخ أهل عمان، تحقيق وشرح د. سعيد عاشور، الطبعة الثانية، سلطنة عام ١٩٨٦م.

المسعودى (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) : أبو الحسن على بن الحسين بن على

٤٧- موج الذهب ومعادن الجوهر، أربعة أجزاء، شرح وتقديم د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

المقدسى (٣٣٥-٣٩٠هـ / ٩٤٦-١٠٠٠م) محمد بن أحمد بن أبى بكر البناء الشامى المقدسى المعروف بالبشارى

٤٨- أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ليدن، الطبعة الثانية ١٩٦٧م.

ابن النديم (ت٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م) : محمد بن إسحاق المعروف بالوراق

٤٩- الفهرست ، تحقيق د. ناهد عباس عثمان، دار قطرى ابن الفجاءة، قطر، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٥م.

ابن النظر (عاش فى القرن ٥هـ/١١م) : أبو بكر أحمد بن النظر العمانى

٥٠- كتاب الدعائم، مسقط، سنة ١٩٨٠م.

النويرى (٧٧٣هـ/١٣٧١م) : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب

٥١- نهاية الأرب فى فنون الأدب، تحقيق على محمد البجاوى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٧٦م.

ياقوت (٦٢٦هـ/١٢٣٠م) : الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى

٥٢- معجم البلدان، طبعة دار صادق ودار بيروت سنة ١٩٨٤م.

اليعقوبى (ت٢٧٢هـ/ ٨٩٥م) : أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسى المعروف باليعقوبى.

٥٣- تاريخ اليعقوبى، جزءان، طبعة دار بيروت ١٩٨٠م.

ثالثاً : المراجع العربية الحديثة والكتب المترجمة :

إبراهيم أحمد العدوى :

٥٤- الأمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية (الدار القومية للطباعة والنشر

٥٥- تاريخ العالم الإسلامى ج١ (طبعة الأنجلو المصرية ١٩٨٣م)
ج٢ طبعة الانجلو المصرية ١٩٨٤م) .

أحمد أمين:

٥٦- فجر الإسلام (القاهرة : ١٩٢٨م) .

أحمد شلبى :

٥٧- موسوعة التاريخ الإسلامى ، أجزاء مختلفة وطبعات متعددة، مكتبة النهضة المصرية .

أحمد عطية سالم

٥٨- الجاليات العربية فى أفريقيا (بحث فى كتاب العرب وأفريقيا) بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م) .

أحمد محمود المعمرى :

٥٩- عمان وشرقى أفريقيا ، مسقط، ١٩٨٠م.

أندروويلياسون :

٦٠- صحار عبر التاريخ، ترجمة محمد أمين عبد الله (الطبعة الثانية مسقط، ١٩٨٢م) .

أرنولد ويلسون :

٦١- تاريخ الخليج ترجمة محمد أمين عبد الله، مسقط، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٥م.

بكير بن سعيد

٦٢- دراسات إسلامية فى الأصول الإباضية (سلطنة عمان)

يومنجهام

٦٣- الإسلام فى شرق أفريقيا ، ترجمة محمد عاطف النواوى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٧٣م.

تشانغ زون يان:

٦٤- الاتصالات الودية المتبادلة بين الصين وعمان عبر التاريخ، مسقط ، ١٩٨١م.

تيم سفرن :

٦٥- رحلة السندباد، ترجمة، د. سامى عزيز ، مسقط ١٩٨٥م.

جان جاك بيرى:

٦٦- الخليج العربى، تعريب نجده هاجر وسعيد الغزو (بيروت ، ١٩٥٩م).

جمال زكريا قاسم:

٦٧- استقرار العرب فى ساحل شرقى أفريقيا ، حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس، مصر عدد ١٠، سنة ١٩٦٧.

جودت عبد الكريم يوسف :

٦٨- العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، طبعة الجزائر، ١٩٨٤م.

جورج فاضلو حورانى :

٦٩- العرب والملاحة فى المحيط الهندى، ترجمة د. يعقوب بكر، مكتبة الأنجلو المصرية.

جيان :

٧٠- وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن أفريقيا الشرقية، كتبة عام ١٨٥٦م، نقله إلى العربية ملخصاً كمال، القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م.

حسن إبراهيم حسن :

٧١- تاريخ الإسلامى السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، أربعة أجزاء، طبعات مختلفة، مكتبة النهضة المصرية.

حسن أحمد محمود:

٧٢- الإسلام والثقافة العربية فى أفريقيا (الطبعة الثالثة، دار الفكر، ١٩٨٦م) .

حسن على حسن :

٧٣- دراسات فى تاريخ المغرب العربى (طبعة القاهرة).

٧٤- قيام دولة الأدارسة بالمغرب : قيامها وتطورها حتى منتصف القرن الثالث الهجرى.

حسين مؤنس :

٧٥- معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار ومطابع المستقبل، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٠م.

ابن حميد الحارثي :

٧٦- العقود الفضية فى أصول الإباضية (طبعة، مسقط).

خليفة بن أحمد النبهانى:

٧٧- التحفة النبهانية فى إمارات الجزيرة العربية (طبعة، بغداد) .

دافد سون، بازل :

٧٨- أفريقيا تحت أضواء جديدة،ترجمة جمال محمد أحمد، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، بيروت بدون تاريخ .

سالم بن حمود السيابى السمائلى :

٧٩- ازالة الوعثاء عن أتباع أبى الشعثاء، تحقيق د. سيدة إسماعيل كاشف، مسقط ١٩٧٩م.

٨٠- أصدق المناهج فى تمييز الإباضية من الخوارج، تحقيق وشرح د. سيده إسماعيل كاشف، سلطنة عمان ١٩٧٩م.

٨١- الحقيقة والمجاز فى تاريخ الإباضية باليمن والحجاز (مسقط ١٩٨٠م) .

ستودارد

٨٢- حاضر العالم الإسلامى، جزءان، ترجمة وتعليق وإضافة شكيب أرسلان ، دار الفكر العربى، مصر ، بدون تاريخ .

سعيد عاشور :

٨٣- حصاد ندوة الدراسات الإسلامية، باب عمان حصن الأمان للعروبة والإسلام (سلطنة عمان) .

سليمان العسكرى :

٨٤- التجارة والملاحة ى الخليج العربى فى العصر العباسى (طبعة المدنى، القاهرة) .

سيده إسماعيل الكاشف :

٨٥- عمان فى فجر الإسلام، الطبعة اثالثة، سلطنة عمان ١٩٨٩م.

٨٦- مصر فى فجر الإسلام، دار الرائد العربى، بيروت الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

شاكر مصطفى :

٨٧- دولة بنى العباس، جزءان، وكالة المطبوعات ، الكويت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٧٣م.

شوقى الجمل:

٨٨- حضارة زمبابوى، مجلة الدراسات الأفريقية، العدد٥٦ لسنة ١٩٧٧م.

صالح أحمد العلى :

٨٩- التنظيمات الإدارية والاقتصادية فى البصرة فى القرن الأول الهجرى (طبعة بيروت).

صالح باجية:

٩٠- الإباضية بالجريد فى العصور الإسلامية الأولى، دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونس، الطبعة الأولى، (سنة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) .

فرحات الجعبيرى :

٩١ - نظام العزابة عند الإباضية الوهبية فى جربة، تونس ١٩٧٥م .

قدرى قلعجى :

٩٢- الخليج العربى (دار الكتاب العربى) .

عامر النجار :

٩٣- الخوارج، عقيدة وفكر وفلسفة (مكتبة القدسى) .

عبد الجبار الجومرد :

٩٤- هارون الرشيد (جزءان) طبعة المكتبة العمومية بيروت .

عبد الرحمن عبد الكريم العانى :

٩٥- دور العمانيين فى الملاحة والتجارة الإسلامية حتى القرن الرابع الهجرى الطبعة الثانية، مسقط ١٩٨٦م.

٩٦- تحويل الطريق التجارى من الخليج إلى البحر الأحمر، مقالة منشورة فى مجلة كلية آداب بغداد العدد ٢٨/ ١٩٨٠.

عبد المجيد أبو الفتوح بدوى :

٩٧- التاريخ السنى فى المشرق الإسلامى من القرن الخامس الهجرى حتى سقوط بغداد، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، المنصورة، ١٩٨٨م.

عبد المنعم ماجد:

٩٨- التاريخ السياسى للدولة العربية ج١ (الطبعة السابعة، القاهرة ١٩٨٢م)

٩٩- العصر العباسى الأول فى القرني الذهبى فى تاريخ الخلفاء العباسيين، (الطبعة الثالثة فى ١٩٨٤م).

عبد الهادى التازى:

١٠٠- الصلات التاريخية بين المغرب وعمان، مسقط، ١٩٨١م.

على يحيى معمر:

١٠١- الإباضية بين الفرق الإسلامية، مسقط، ١٩٨٦م.

١٠٢- الإباضية فى موكب التاريخ، القاهرة، ١٩٦٦م.

عمر رضا كحالة :

١٠٣- جغرافية «شبة الجزيرة العربية» (الشركة المتحدة للتوزيع) .

١٠٤- العالم الإسلامى (الشركة المتحدة للتوزيع)

عوض خليفات:

١٠٥- الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، الطبعة لثالثة،مسقط، ١٩٨٨م.

١٠٦- نشأة الحركة الإباضية، الأردن، ١٩٧٨م.

مايلز، س. ب (١٨٣٨-١٩١٤م)

١٠٧- الخليج، (مسقط - سلطنة عمان) .

محمد بن أبى زهرة:

١٠٨- تاريخ المذاهب الإسلامية (القاهرة ١٩٥٩م) ، وطبعة دار الفكر العربى بالقاهرة ١٩٧١م.

محمد رشيد العقيلى:

١٠٩- الإباضية فى عمان وعلاقاتها مع الدولة العباسية فى عصرها الأول، (سلطنة عمان ، ١٩٨٤م).

محمد عبد الله النقيرة :

١١٠- انتشار الإسلام فى شرقى أفريقيا ومناهضة الغرب له، دار المريخ للنشر، الرياض سنة ١٩٨٢م.

محمد عيسى الحريرى :

١١١- مقدمات البناء السياسى للمغرب الإسلامى (الدولة الرستمية) دار القلم، الكويت، الطبع الثانية، ١٩٨٣م.

محمد يوسف أطفيش:

١١٢- رسالة إن لم تعرف الإباضية ياعقبى ياجزائرى، ذيلها عبد الله بن حميد السالمى، وصححها قاسم الشماخى ومصطفى بن إسماعيل العمري.

محمود إسماعيل عبد الرزاق :

١١٣- الخوارج فى بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجرى، القاهرة ١٩٨٦م.

مصطفى مراد الدباغ:

١١٤- جزيرة العرب، جزءان (دمشق، سوريا) .

موريس لومبارد :

١١٥- الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامى ، ترجمة عبد الرحمن حميدة (دار الفكر دمشق) .

نايف معروف :

١١٦- الخوارج فى العصر الأموى، (الطبعة الثالثة، دار الطليعة، بيروت).

نور الدين عبد الله بن حميد السالمى (ت ١٣٣٢هـ) .

١١٧- تحفة الأعيان فى سيرة أهل عمان جزءان فى مجلد (مكتبة الاستقامة ، مسقط، الطبعة الثانية، بدون تاريخ) .

١١٨- اللمعة المرضية من أشعة الإباضية ، (الطبعة الثانية، مسقط ١٩٨٣م).

يوسف فضل حسن:

١١٩- الجذور التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، بحث فى كتاب العرب وأفريقيا، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

رابعا: الدوريات:

١٢٠- تقرير الأمم المتحدة للبيئة عام ١٩٨٢.

١٢١- جريدة الأهرام.

١٢٢- مؤتمر الفقه الإسلامي المنعقد بسلطنة عمان في شهر مارس سنة ١٩٨٨م.

خامسا: المراجع الأجنبية:

- **Lewis, I. M :**
  - Regiond Review of the Disnbuhan's pread of islam.
  - Islam in Tropical Africa, second Edition, London, 1980.
- **Marsh, Zoe & Kingsnorth , G. W:**
  - An Introduction to the history of East Africa, Combridge, 1961.
- **Murphy, Iefferson:**
  - Mohammedan Empire in Spain.
  - History of African Cwilization, New York, 1972.
- **Reusch, Richard:**
  - History of East Africa, Stuttgart, 1954.
- **Goseph, Thomson:**
  - Mohammed in Central Africa.
- **Trinningham, J , Spencer:**
  - The influence of Islam upon Africa, London, 1968.

مطابع النهضة ، تليفون : ٥٦٣١٠٤ ، سلطنة عمان